جامعة أم القرى
عمادة البحث العلمي
DSR.UQU
موسوعة الهدايات القرآنية

تعظيم الله تعالى

في

هدايات القرآن الكريم

دراسة تأصيلية

وكبره تكبيرا

الفريق البحثي
لكرسي الهدايات القرآنية

أ.د. طه عابدين طه

د. ياسين حافظ قاري

د. فخر الدين الزبير علي

مكتبة المتنبي
AL MOTANABI BOOK SHOP

نسخة إلكترونية

....

للتواصل مع المؤلف

proftaha11@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

صدر هذا الكتاب بمناسبة إنعقاد المؤتمر العالمي الثاني في تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم، المنعقد في مدينة الخرطوم في الفترة من ١٤- ١٦/ ٥/ ١٤٤١هـ الموافق ٩-١١/ ١/ ٢٠٢٠م بجامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة

ح مكتبة المتنبي، ١٤٤١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
حمد، طه عابدين طه
تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم./ طه عابدين طه
حمد.- الدمام، ١٤٤١هـ
٤٠٠ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٥-٤٩-٨٢٨٩-٦٠٣-٩٧٨
١- الألوهية ٢- الأسماء والصفات أ. العنوان
ديوي ٢٤١ ٤٢٨٧/ ١٤٤١

رقم الإيداع: ٤٢٨٧/ ١٤٤١
ردمك: ٥-٤٩-٨٢٨٩-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

مكتبة المتنبي
AL MOTANABI BOOK SHOP

المركز الرئيسي: الدمام شارع المستشفى ت: ٨٤١٣٠٠٠ - فاكس: ٨٤٣٢٧٩٤
فرع غرب الدمام: شارع أبو بكر الصديق التجاري ت: ٨٠٢٩٠٠٩
فرع الرياض: شارع السويدي العام ت: ٠١١٤٢٤٧١٠٠
فرع جدة: شارع الجامعة - جوال: ٠٥٥١١٩٤٧٨٤
E-mail: mb.book.sa@gmail.com

مقدمة كرسي الهدايات القرآنية

تعظيم الله جلَّ في علاه ..هو الجلال والجمال والكمال .. هو أصل الأصول .. ورأس العلوم .. وأساس الأعمال .. هو روح العبادة وسر الطاعة ..يجتمع فيه كمال الحب مع كمال الذل لله العظيم .. ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

- ومن نحن حتىٰ نتحدث عن تعظيم الله سبحانه؟
- ومن نحن حتىٰ يأذن لنا العظيم في النطق باسمه وتسبيحه، أو تلاوة آياته، أو سماع كلماته، أو مشاهدة دلائل عظمته؟
- ومن نحن حتىٰ تنبس شفاهنا، وتتحرك أناملنا، وتفكر عقولنا في عظمته، والحديث عن تعظيمه؟

تجرأنا ففكرنا وقدرنا .. تطاولنا فبحثنا وكتبنا .. تجاوزنا فأتمرنا وتناقشنا..

فيارب رحمتك وعفوك .. ويارب مغفرتك وفضلك ..ويارب حنانك وكرمك ..

غفرانك ربنا غفرانك .. لكنَّا فعلنا مافعلنا .. إجلالاً لك ربنا - وأنت أعلم -.

وحسبنا أن اجتهدنا .. تعظيماً لشأنك ربنا -وأنت أعلم -.

ووالله وبالله وتالله.. مهما نظمنا من مؤتمرات أو سطرنا من كلمات.. أو أصدرنا من مطبوعات..

فهي دلائل تقصيرنا في حق الله، وعلامات تفريطنا في جنب الله .. فرحمتك بنا يا ربنا ..

﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾: أمرك هذا ربنا – وأنت الكبير – هو الذي دعانا لفعل ما فعلنا .. فجعلناه شعاراً لمؤتمرنا .

اللهم فاغفر لنا وارحمنا، وأنت أرحم الراحمين.

أ.د/ يحيىٰ بن محمد زمزمي

١١/ ٤/ ١٤٤١هـ

المقدمة

الحمد لله العلي الكبير، العليم القدير، العظيم الذي لا منتهىٰ لعظمته، العزيز الذي لا منتهىٰ لعزته، فهو فوق ما يصفه الواصفون، وما يثني عليه المثنون، وما يحمده به الحامدون، ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٥٩]، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، قيوم السموات والأرضين، وخالق الخلق أجمعين، مالك يوم الدين، ذو الجلال والإكرام، والفضل والأنعام، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، والكل لك عبد.

ماذا نقول في عظمتك فأنت الخالق وغيرك مخلوق، أنت الرازق وغيرك مرزوق، أنت القوي وغيرك الضعيف، أنت الغني وغيرك الفقير، أنت الباقي وغيرك الفاني، أنت المعطي وغيرك الآخذ، أنت الحي وغيرك الميت، أنت الملك وغيرك المملوك، أنت الكامل وغيرك الناقص، أنت العزيز وغيرك الذليل، أنت الأعلىٰ وغيرك الأدنىٰ، أنت الهادي وغيرك المهدي، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥،٣٤].

ماذا نقول في عظمتك فأنت الذي عنت الوجوه لجلالك، وخشعت الأصوات لكبريائك، وسبح الكون بعظمتك، وأشرق الوجود بنور وجهك،

وسِعْتَ كلَّ شيء رحمةً وحلمًا، وأحطت بكلِّ شيء خبرةً وعلمًا، وسع سمعك الأصوات، شمل رزقك الكائنات، وعمَّ فضلك البريات، لا راد لقضائك، ولا معقب لحكمك، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران ٢٦، ٢٧].

ماذا نقول في عظمتك وأنت الحي القيوم، المبدئ المعيد، الغفور الودود، مبدع الوجود، السميع العليم، البر الرحيم، العزيز الحكيم، القوي المتين، المؤمن المهيمن، الجبار المتكبر، الخالق الرازق، القدير القاهر، الكبير المتعال، الأول الذي ليس قبلك شيء، والآخر الذي ليس بعدك شيء، والظاهر الذي ليس فوقك شيء، والباطن الذي ليس دونك شيء، خلقت فسويت، وقدرت فهديت، السماء رفعتها بغير عمد، وزينتها بنجوم لا نحصي لها عدد، وحفظتها من كل شيطان مارد، والأرض فرشتها ودحيتها، وبالنبات أبهيتها، وبالجبال الشامخات أرسيتها، وبالماء النازل من السماء أحييتها، ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النمل: ٦٠-٦١].

ماذا نقول في عظمتك ونور السموات والأرض من نورك، والكون كله بوحدانيتك شاهد، ومسبح لك وحامد، وخاضع لعظمتك وساجد، قلت في كتابك: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء:٤٤]، وقلت: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الرعد:١٥]، وقلت: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨].

ماذا نقول في عظمتك وكل يوم أنت في شأن، تعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير، وأنت علىٰ كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، ومن كل شيء قريب، وبكل شيء حفيظ، قولك فصل، وحكمك عدل، وأمرك نافذ، السر عندك علانية، والغيب عندك شهادة، عالم بمثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل، وأشرق عليه النهار، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ماذا نقول في عظمتك وأنت أعظم مَنْ ذُكر، وأحق من شُكِر، وأعز من نصر، وأنصر من ابتُغي، وأرأف من ملك، وأعفىٰ من قدر، وأعدل من حكم، وأجود من سُئل، وأكرم من قصد، وأوسع من أعطىٰ، كل شيء هالك إلا وجهك، وكل ملك زائل إلا ملكك، وكل فضل منقطع إلا فضلك، أنت

الملك لا شريك لك، كل شيء هالك إلا وجهك، لن تطاع إلا بإذنك، ولن تعصىٰ إلا بعلمك، تطاع فتشكر، وتعصىٰ فتغفر، أقرب شهيد، وأدنىٰ حفيظ، حِلْتَ دون الثغور، وأخذت بالنواصي، وكتبت الآثار، ونسخت الآجال، القلوب لك مفضية، والسر عندك علانية، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرمت، والدين ما شرعت، والأمر ما قضيت، والخلق خلقك، والعبد عبدك، وأنت الله الرؤوف الرحيم.

والصلاة والسلام علىٰ خير النبين، وسيد المعظمين، وإمام المتقين، وقدوة الخلق أجمعين، المعظم عند ربِّ العالمين، الذي صلىٰ عليه، ثم ثنىٰ بملائكته المسبحة بقدسه، ثم دعا الخلق للصلاة عليه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين، وصحبه البررة الصادقين، ومن سار علىٰ نهجهم إلىٰ يوم الدين، ثم أما بعد:

فبين أيدينا هذا الموضوع العظيم الذي نقدم له بالنقاط الآتية:

أولًا: أهمية هذه الدراسة ودواعي الكتابة فيها:

- تمثّل قضية «تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ» جانبًا محوريًا في العقيدة الصحيحة، وهي من أشرف الأعمال القلبية التي لها الأثر الفاعل في توجيه الأعمال والسلوك.

- اهتمام القرآن بموضوع «تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ» من حيث عدد الآيات التي اعتنت بإبرازه، وتنويع الأساليب القرآنية في عرضه. وهو أمر يدعو إلىٰ دراسته، والعمل علىٰ استجماع مسائله، من أجل الوصول إلىٰ الهدي القرآني المتكامل فيه.

◉ عدم وجود دراسة علمية كافية حول قضية «تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ» -حسب علمنا وبحثنا- خاصة فيما يتعلق بالجوانب التأصيلية في ضوء هدايات القرآن؛ وذلك بالرغم من أهمية هذه القضية، وما تتميز به من الثراء الإيماني والبعد المعرفي، وهو أمر ملاحظ من خلال توافر النصوص، وتنوع الدلالات والأساليب القرآنية.

◉ إبراز مناهج أهل العلم وجمع جهودهم في تفسير آيات القرآن الكريم التي اعتنت بقضية «تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ»، وبيان كيفية دراستهم لها، وتفاعلهم مع دلالتها العظيمة.

◉ إحياء الروح الإيمانية في نفوس أفراد هذه الأمة، وذلك عن طريق تأصيل علمي، يسهم في العناية بقضية «تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ» والتفاعل معها، وترسيخها في النفوس علىٰ علم وبصيرة.

◉ شدة حاجة الأمة اليوم لتناول هذه القضية العلميّة الإيمانية التربوية التي عليها مناط صلاح القلوب والسلوك، التي تطرب لها أفئدة المتقين، وتتشوق لمعرفة تفاصيلها قلوب الموحدين، في زمان ضعف فيه العناية بأعمال القلوب عموم، وموضوع التعظيم والتبجيل في نفوس بعض المسلمين خصوصًا في جوانبه العقدية والسلوكية بسبب بعدهم عن هدي القرآن الكريم، وطغيان الجوانب المادية وكثرة الصوارف والملهيات.

ثانيًا: أهداف الدراسة:

١) التأصيل لقضية التعظيم من حيث مفهومه وأهميته ومراتبه وأركانه ومجالاته ومظاهره وطرق تحقيقه، وما يترتب علىٰ معرفته من فوائد وثمرات.

٢) الاستفادة من جهود العلماء التي كتب في موضوع التعظيم من أجل جمع خلاصاتها المتناثرة، واستكمال الجوانب التي لم تجد حظها من الدراسة والتأصيل.

٣) وضع معالم واضحة للباحثين في هذه القضية حتىٰ يهتدوا بها في دراساتهم التطبيقية لموضوع التعظيم، فهي مقدمات تأصيلية للموضوع.

٤) إبراز هذه القضية الكبرىٰ ووضعها أمام المهتمين، حيث يكثر تناولها والحديث عنها وتجد الاهتمام الذي يليق بها.

ثالثًا: مميزات الدراسة:

- هي أول دراسة تأصيلية في هذا الموضوع المهم - حسب علمنا واطلاعنا - قصدنا بها التأصيل لموضوع «تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ» حتىٰ تتم دراسته بصورة عميقة في ضوء هدايات القرآن.

- السعي لخدمة هذا الموضوع العظيم الكبير وفق جهود جماعية تتكامل مع هذه الدراسة التأصيلية في تناول قضية «تعظيم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ» وفقًا لهدايات القرآن الكريم من كل جوانبها، وتمد المكتبة بمؤلف علمي يترسم سبيل أهل السنة والجماعة في عرض هذه القضية المهمة بمنهج علمي واضح وميسر.

- السعي لتحويل قضية التعظيم إلىٰ برامج تعليمية وتربوية وإعلامية قابلة للتطبيق، يسهم في ترقية الأمة في جوانب أعمال القلوب، وتربيتها في جوانب السلوك والأخلاق.

رابعًا: منهجية الدراسة:

قامت هذه الدراسة التأصيلية علىٰ منهج تحليل وصفي، لما كان هذا الموضوع من السعة بمكان، ويصعب حتىٰ استيفاء المبحث الواحد فيه رأينا في هذه الدراسة التأصيلية التزام الآتي:

١. الكتابة في كل فصل بما يوضح فكرته ويبرز معالمه دون تطويل يخرج عن المقصود أو اختصار مخل بالمطلوب.

٢. أن تتم الدراسة في ضوء هدايات القرآن الكريم وبيان سنة سيد المرسلين، وتدعم كل نقطة بأقوال العلماء الموثقين.

٣. أن يلتزم في معالجة هذه القضية العقدية بمنهج السلف الصالح.

٤. وضع الآيات بين قوسين، ثم ذكر اسم السورة ورقم الآية بعدها.

٥. تخريج جميع الأحاديث، فإذا كانت في الصحيحين يكتفىٰ بهما، وإذا كان في غيرهما يخرج ويوضح حكمه، ويلتزم بالأحاديث الصحيحة والحسنة، ويكتفىٰ بحكم علماء الحديث دون التوسع في دراسة الإسناد.

٦. توثيق الأقوال في أسفل الصفحة بذكر الكتاب ثم المؤلف ثم الجزء والصفحة، وتترك بقية معلومات التوثيق إلىٰ فهرس المراجع.

٧. لم نترجم للأعلام خوفًا من التطويل وتماشيًا مع حال الدراسة وأهدافها.

نسأل الله العظيم الكريم بمنه وفضله أن يبلغنا ما به ننال رضاه، وأن يكون هذا العمل معينًا علىٰ تعظيمه وتقواه.

خامسًا: هيكل الدراسة:

هيكل الدراسة:

تتكون خطة الدراسة التأصيلية من مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: مفهوم التعظيم وألفاظه ومنزلته:

المبحث الأول: مفهوم تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.

المبحث الثاني: الألفاظ الدالة علىٰ تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن.

المبحث الثالث: منزلة تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.

الفصل الثاني: مراتب التعظيم وأركانه وثماره:

المبحث الأول: مراتب تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.

المبحث الثاني: أركان تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.

المبحث الثالث: ثمار تعظيم الله تعالىٰ.

الفصل الثالث: مجالات التعظيم ومظاهره وطرقه وأساليب القرآن في عرضه:

المبحث الأول: مجالات تعظيم الله تعالىٰ.

المبحث الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالىٰ.

المبحث الثالث: الطرق المحققة لتعظيم الله تعالىٰ.

المبحث الرابع: أساليب القرآن في عرض موضوع تعظيم الله تعالىٰ.

الخاتمة: وتشتمل علىٰ أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس.

تمهيد

القرآن الكريم نور يكشف الظلمات، وهدىً يعصم من الضلالات، أنزله الله تعالىٰ ليهدي به عباده للتي هي أقوم في سائر الأمور والمجالات، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة ١٥-١٦]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

فيجب على المسلم أن يستضيء بنور هذا الكتاب المبين، ويهتدي بهديه في عقيدته وعباداته ومعاملاته وسائر شؤون حياته، ملتزمًا لأمره منتهيًا عن نهيه، معتقدًا أنه الهدىٰ والحق كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، وقال تعالىٰ عن الجن عند ما سمعته: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١،٢]، وكل من لم يعتقد ذلك في حياته فهو في عمىٰ وضلال، وسفه وجهالة، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

فالتوجه لتعلم ما في كتاب الله تعالىٰ، والنظر لكل قضية شرعية من خلال القرآن الكريم هو مسلك العلماء الراسخين، والهداة المهتدين على الصراط

المستقيم، الذين عرفوا طريق الحق والرشد واهتدوا إليه علمًا وعملًا، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ۝١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

وإن من أعظم ما هدىٰ إليه القرآن الكريم تعريف الخلق بالخالق في أسمائه وصفاته وأفعاله، حتىٰ يحققوا العبودية الحق التي هي الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، كما قال تعالىٰ حاكيًا عن قول عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آل عمران: ٥١]، وقال تعالىٰ مخاطبًا لهذه الأمة: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١].

ومن أعظم ما بينه القرآن وهدىٰ إليه فيما يحقق التوحيد الخالص لله رب العالمين بيان عظمته جَلَّ وَعَلَا وكبريائه التي هي خلاصة ما نطق به رسله والمصطفون من عباده؛ ولذا سلم الله تعالىٰ عليهم عند ما وصفوه بما يليق بعظمته وكماله، ونزه نفسه عن كل وصف لما يأتي عن طريق وحيه المنزل علىٰ أنبيائه ورسله، المستوجب لحمده وإخلاص العبودية له، قال تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصفات١٨٠ – ١٨٢].

فهذا الموضوع الواسع الكبير في هدايات القرآن الكريم –موضوع تعظيم الله تعالىٰ– يحتاج أن يفرد بدراسات متنوعة، تظهر مجالاته المتعددة، وتبين موضوعاته المتنوعة، وتبرز نماذجه التطبيقية، وتبين دوره وأثره في اصلاح الفرد والأسرة والمجتمع؛ ليهتدي بها من أراد الهدىٰ من عباده، مستنيرين

في ذلك بهذه الدراسة التأصيلية التي بينت مفهومه وأهميته ومراتبه وأركانه ومجالاته ومظاهره وسبل تحققه وغيرها من مباحث جاءت هداية لمعالم هذا الموضوع المهم الذي يستحق أن تخصص له البحوث والدراسات الواسعة والمتعمقة.

تعظيم الله تعالى

الفصل الأول

تعظيم الله تعالى مفهومه وألفاظه ومنزلته

المبحث الأول: مفهوم تعظيم الله تعالىٰ.

المبحث الثاني: الألفاظ الدالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ.

المبحث الثالث: أهمية موضوع تعظيم الله

تعظيم الله تعالى

المبحث الأول

مفهوم تعظيم الله تعالى

إعداد

أ.د. طه عابدين طه

تعظيم الله تعالى

مفهوم تعظيم الله تعالى

أولًا: التعظيم في اللغة:

التعظيم: مصدر عَظَّمَ يعظِّم تعظيمًا[1]، فهو مُعظِّم، والمفعول مُعظَّم، «وعَظَّمَه تَعْظِيمًا وأعْظَمَهُ: فَخَّمَهُ وكَبَّرَهُ. واسْتَعْظَمَهُ: رآهُ عَظيمًا»[2]، وعظَّم شعائر الله تعالىٰ وحرماته: كبَّرها وفخَّمها وبجَّلها ووقَّرها واحترمها وأجلَّها، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، قال ابن سيده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واستعظمتُ الشّيء رأيته عظيمًا، وتعاظَمَني عَظُم عندي، وعَظَّمْته: كَبَّرْته، ومنه تعظيم الله تعالىٰ»[3].

وهي في أصلها من عظم، قال الزبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(عِظَم) العين والظاء والميم أصلٌ واحد صحيح يدلُّ علىٰ كِبَر وقُوّة. فالعِظَم: مصدر الشَّيء العظيم. تقول: عَظُمَ يَعْظُم عِظَمًا، وعظّمته أنا. فإذا عَظُم في عينيك قلت: أعْظمتهُ واستعظَمْتُه»[4]. وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعِظَمُ في صِفاتِ الأَجْسام كِبَرُ الطُّولِ والعرضِ والعمْق...وعظَّمَ الأمرَ كَبَّره وأَعْظَمَه، واسْتَعْظَمَه رآه عَظيمًا، وتَعاظَمَه عَظُمَ عليه... ورجلٌ عَظِيمٌ في المَجْدِ والرَّأْيِ علىٰ المَثلِ، ولِفلان

(١) الكتاب، لسيبويه (ص:٣٤١).

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص:١٤٧٠).

(٣) المخصص في اللغة لابن سيده (٨/ ٥٢).

(٤) مقاييس اللغة (٤/ ٢٨٩).

عَظَمَةٌ عندَ النَّاسِ أي حُرْمةٌ يُعظَّمُ لهَا وله مَعاظِمُ مِثْلُه، واسْتَعظَمَ الشيءَ أخذ مُعظَمَه»[1].

فالتعظيم في اللغة بمعنىٰ: التفخيم، والتبجيل، والتوقير، والتكبير، وهو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١] معناها: «أي: عظمه تعظيمًا تامًا شاملًا شديدًا»[2].

والعَظِيمُ: هو الله جَلَّ جَلَالُهُ» الَّذِي جاوَزَ قدْرُهُ وجلَّ عَنْ حدودِ العُقول حَتَّىٰ لَا تُتَصَوَّر الإِحاطةُ بِكُنْهِه وحَقِيقتهِ»[3].

والعَظَمَة: الكِبْرِياء، وعَظَمَة العبدِ كِبْرُه المذمومُ وتَجَبره، وإذا وُصِفَ العبد بالعَظَمة فهو ذمٌّ[4]؛ لأن العظمة في الحقيقةِ لله عَزَّوَجَلَّ: قالَ الله تَعَالىٰ في الحديث القدسي: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»[5].

---

(١) لسان العرب (١٢/ ٤٠٩)، ينظر: العين للخليل بن أحمد (١/ ١٠٤)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ص: ١١٢٩).

(٢) ينظر: **معاني القرآن لأبي جعفر النحاس** (٤/ ٢٠٨)، والنكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٨٢)، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (٥/ ١٩)، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٧/ ٨٥)، وأضواء البيان، للشنقيطي (٣/ ١٩٠).

(٣) لسان العرب (١٢/ ٤٠٩)، ينظر: العين للخليل بن أحمد (١/ ١٠٤)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ص: ١١٢٩)، وتحفة الأحوذي لمحمد المباركفوري (١٨/ ٤١٢).

(٤) أما إذا عظمه الناس تعظيمًا مناسبًا للمخلوق ومكانته فلا يكون مذمومًا، أما إذا كان علىٰ وجه المبالغة فمذمومًا.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ح رقم ٤٠٩٢، وابن ماجة في سننه ح رقم ٤١٧٤، وابن حبان في صحيحيه ح رقم ٣٢٨، وأحمد في المسند ح رقم ٨٨٨١، وابن أبي شيبة في مصنفه ح رقم ٢٠٠، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم ٨١٥٨، وصححه الألباني في صحيح وضعيف

ثانيًا: مفهوم تعظيم الله تعالى عند العلماء:

تنوعت عبارات العلماء في بيان مفهوم تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ؛ وذلك لسعة متعلقاته وكثرة أنواعه التي لا يحصيها العدُّ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ تجاوزت عظمته حدود العقول، فتعجز الكلمات والحروف البشرية عن تحديد عظمته، أو الإحاطة بكنهه وحقيقته.

وهو يستحق من عباده من الإجلال والتعظيم ما لا يدانيه أو يصل إليه أو يستحقه مخلوق مهما عظم خلقه وقدره ومنزلته، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في معنىٰ» الْعَظِيمُ» الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء، والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت عن الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العليّ العظيم»[(١)]. ومن هنا كان المطلوب من الخلق أن يدركوا معنىٰ عظمة الله تعالىٰ ويعظموه بها حق عظمته، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣]، وهي بمعنىٰ: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته؟!؛ وذلك لأن» الوقار: بمعنىٰ العظمة. والتوقير: التعظيم»[(٢)].

وقد حاول العلماء بيان مفهوم تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ، وسوف نستعرض ما ذكروه - بإذن الله تعالىٰ - للوصول لمفهوم عام للتعظيم.

فمن العلماء من بيَّن أن تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ باعتقاد العبد أن عظمة الله

الجامع ح رقم٤٣١١.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٥٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٣٠٣).

تعالىٰ لا منتهىٰ لها، وأن كنه عظمته لا تنتهي إليها العقول[1]، وأنه أكبر من كلِّ شيء[2].

ومنهم من اختصره في معرفة العظمة والخضوع له، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التعظيم: معرفة العظمة مع التذلل»[3].

ومنهم من ذكر أن تعظيم الله تعالىٰ يكون بتعظيمه بما أمر أن يعظم به من قول وفعل مع امتثال أمره، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]»يقول: وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك»[4]. وقال الماتريدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتعظيمه: أن يجيبه فيما دعاه إليه، ويطيعه فيما أمره، وأن يتحمل ما ألزمه عمله، فذلك هو تعظيمه لا أن يقول بلسانه: «يا عظيم» فقط»[5]. وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويظهر تعظيم الله في شدة المحافظة علىٰ امتثال أمره واجتناب نهيه، والمسارعة إلىٰ كل ما يرضيه»[6]. وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أي عظمه وأجلَّه بالإخبار بأوصافه العظيمة، وبالثناء عليه بأسمائه الحسنىٰ، وبتحميده بأفعاله المقدسة، وبتعظيمه وإجلاله بعبادته

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٥/ ٤١٠).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٤٥).

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (٢/ ٤٩٦).

(٤)جامع البيان (١٧/ ٥٩٠).

(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٣٠٠).

(٦) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٣/ ١٩٠).

وحده، لا شريك له، وإخلاص الدين كله له»[1] فهؤلاء نظروا إلىٰ ثمرة التعظيم وأثره الذي يكون في القلب وينعكس علىٰ الجوارح في القول والفعل.

وقد رأى الباحث أنه يمكن تعريف مفهوم تعظيم الله تعالى بالآتي:

اعتقاد إجلاله وكبرياءه جَلَّجَلَالُهُ بما لا يحيط بكنهه الواصفون، مع تنزيهه عن كل ما لا يليق به، وتحقيق ذلك قولًا وفعلًا وفق ما ورد به الوحي.

شرح محترزات التعريف:

«اعتقاد إجلاله وكبرياءه جَلَّجَلَالُهُ »:

الله تعالىٰ قد بين لنا عظمته في كتابه بأدلة قاطعة، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤]، فالدلائل علىٰ عظمة الله تعالىٰ أكثر من أن تحصىٰ، فيجب أن يعتقد العبد بأن الله تعالىٰ عظيم في ذاته، وعظيم في أسمائه وصفاته، وعظيم في أفعاله، وعظيم في وحيه وشرعه وتنزيله؛ وأنه يستحق من التّعظيم والتكبير والإجلال والتمجيد في قلوب عباده ما لا يستحقه غيره.

«بما لا يحيط بكنهه الواصفون»:

فيجب الإيمان بعظمته وفق ما وصف الله تعالىٰ به نفسه، أو وصفه به رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ الوجه اللائق بكماله وجلاله، مع قطع الطمع عن الإحاطة بكنه عظمته؛ وذلك لأن الخلق مهما أوتوا من قدرة لا يمكن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٤٦٨).

أن يحيطوا بعظمته، وهم مطالبون بتعظيمه لا بالإحاطة بعظمته؛ لأن ذلك غير ممكن، وليس في مقدور الخلق الإحاطة به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]، فهو جَلَّ وَعَلَا أعظم من أن تحيط به علوم عباده، أو تدركه أبصارهم، وذلك لنقص المخلوقين، وعظمة الخالق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ومن هنا كان من عظمته» أنه يُرىٰ ولا يُدرك كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وكذلك من عظمته تعالىٰ أن يُعلم ولا يُحاط به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠]، «فهم مهما علموا لا يعلمون تفاصيل ذات الله تعالىٰ ولا ما هو عليه إلا ما أطلعهم عليه»(١).

«مع تنزيهه عن كل ما لا يليق بعظمته»:

ومن كمال تعظيمه جَلَّ وَعَلَا تنزيهه عن كل ما لا يليق بعظمته جَلَّ وَعَلَا وتمجيده خاصة عن ما قالته اليهود والنصارىٰ والمشركون، من أن لله تعالىٰ ولدًا، وأن له شريكًا، ويده مغلولة وغيرها - تعالىٰ الله عما يصفون علوًا كبيرًا - قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

فيُنَزَّه عن المثيل والنظير والشريك، ويُنَزَّه عن مشابهة صفات المخلوقين، ويُنزَّه عن كلِّ وصف لا يليق بعظمته وكماله جَلَّ وَعَلَا من صفات

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين (٢٠/ ١٤).

النقص في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء:١١١]. وقد نزه تعالىٰ نفسه عن ضلال اليهود والنصارىٰ في هذا الباب فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة ١١٦]، كما نزه نفسه عن ضلال المشركين فقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام ١٠٠، ١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

فالله تعالىٰ كما أوجب علينا تعظيمه، أوجب علينا تنزيهه عن كل وصف لا يليق بعظمته، قال تعالىٰ: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقد عرَّف العلماء التسبيح لله تعالىٰ «بأنّه: قول أو مجموع قول مع عمل يدلّ علىٰ تعظيم الله تعالىٰ وتنزيهه وبراءته من كل سوء ونقيصة وممّا لا ينبغي أن يوصف به فيما لا يليق بجلاله وكماله»(١)، وقال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُبْحَانَ: تَنْزِيه الله من كل سوء، وَحَقِيقَته تَعْظِيم الله بِوَصْف الْمُبَالغَة، وَوَصفه بِالْبَرَاءَةِ من كل نقص. وَكلمَة سُبْحَانَ؛ كلمة ممتنعة لَا يحوز أَن يُوصف بهَا

(١) تسبيح الله ذاته العلية في آيات كتابه السنية (ص: ١٧).

غير الله؛ لِأَن الْمُبَالغَة فِي التَّعْظِيم لَا تلِيق لغير الله»[1].

«وتحقيق ذلك قولًا وفعلًا»:

إنَّ العبد إذا استقرت عظمة الله تعالىٰ في قلبه بطريقة صحيحة فإن تلك العظمة والمهابة والإجلال تنعكس مباشرة علىٰ أقواله وأفعاله من خلال حسن عبوديته لربه، فلا ينطق لسانه إلا بما يليق بعظمته، ويصعب عليه أن يتخلف عن طاعته، أو يفرط فيما أوجبه عليه، أو يرتكب ما نهاه عنه، أو يدين لغيره بالعظمة؛ لأنه يستحضر عظمة ربه وكبرياءه وجلاله وصمديته وغناه عن خلقه، ثم يستحضر ضعف الخلق كلهم، وفقرهم وفاقتهم، وحاجتهم الشديدة إليه؛ ولذا كان من تعظيمه سبحانه أن يطاع فلا يُعصىٰ، ويُذكر فلا يُنسىٰ، ويُشكر فلا يُكفر، ومن تعظيمه وإجلاله أن يخضع العبد لأوامره وشرعه، ويرضىٰ بقضائه وقدره، وألَّا يُعترض علىٰ شيء من حكمه الشرعي والقدري.

ومن هنا كان التعظيم هو خلاصة العبودية، حيث إن العبادة هي التذلل لله تعالىٰ بالطاعة بفعل أمره واجتناب نهيه مع غاية التعظيم والمحبة له جَلَّ وَعَلَا، لما له من صفات الإجلال، وغاية الإنعام، فروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلىٰ أحدهما عن الآخر فسدت العبادة. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف العبادة في الشرع: «عبارة عمَّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»[2]. وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبادة الطاعة مع خضوع وتذلل لله وحده، وقيل:

---

(١) تفسير القرآن، السمعاني (٣/ ٢١٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٣٤).

لغة الخضوع، وعرفًا فعل المكلف علىٰ خلاف هوىٰ نفسه تعظيما»[1]، وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبادة عبارة عن تعظيم الله تعالىٰ وإظهار الخضوع له»[2]، وقال: «العبادة في الشرع صارت اسمًا لكل طاعة لله أديت له علىٰ وجه التذلل والنهاية في التعظيم... ثم نقول: لا بد في كون الفعل عبادة من شيئين أحدهما: غاية التعظيم... والثاني: أن يكون مأمورًا به»[3]، وقيل: «تعظيم الله وامتثال أوامره»[4]، ومن خلال ما سبق يتضح أهمية تعظيم الله في تحقيق كنه العبادة والعبودية.

«وفق ما ورد به الوحي»:

فهم يعظمون الله تعالىٰ وفق ما ورد في الشرع من ألفاظ التعظيم وأفعاله، كما يعظمونه بتعظيم ما عظمه تعالىٰ في كتابه من مكان أو زمان أو حرمة وغيرها، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]. كما يعظمونه بإثبات ما أثبته لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وبنفي ما نفاه عن نفسه أو بنفي ما نفاه عنه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] «فإن كمال الإيمان بالله يتضمن

(١) فيض القدير (١/ ٥٤٩).

(٢) مفاتيح الغيب (٢/ ٣٢١).

(٣) المصدر السابق (١٧/ ١٤٢).

(٤) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص: ٢٣٥).

إثبات ما أثبته لنفسه، وتنزيهه عما نزه نفسه عنه»[(١)] من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل، ولا تحريف، ولا إلحاد.

فلا يعظم الله تعالىٰ بقول أو فعل لم يرد عليه دليل في الكتاب والسنة، كما لا يكون تعظيمه بنفي شيء مما ورد في الكتاب والسنة خاصة فيما يتعلق بنفي أو تأويل أو تحريف أو تعطيل بعض صفاته عند بعض الفرق بدافع التنزيه لله تعالىٰ والتعظيم والإجلال؛ ولهذا كان منهج أهل السنة أعدل المناهج في هذا الباب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه... فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل»[(٢)].

فمن كمال ما هدىٰ إليه القرآن تباين صفات الخالق عن صفات المخلوق، وتنزيه عن مشابهة خلقه، قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع تنزيهه جَلَّ وَعَلَا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٢/ ٤٦٢).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣،٤).

الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل»[1].

فهذه الاصطلاح يمثل خلاصة ما ذكره العلماء في مفهوم تعظيم الله تعالىٰ، الذي لا يكون إلا بمعرفة عظمته جَلَّ وَعَلَا، وتعظيمه في القلب والقول والفعل مع تنزيه عن كل ما يناقض أو ينقص تلك العظمة، ويترجم ذلك في فعل أوامره وترك نواهيه.

(١) أضواء البيان (٢/ ١٨).

تعظيم الله تعالى

المبحث الثاني

الألفاظ الدالة على تعظيم الله تعالى

إعداد

أ.د. طه عابدين طه

تعظيم الله تعالى

الألفاظ الدالة على تعظيم الله تعالى

هنالك ألفاظ كثيرة جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية دالة على تعظيم الله بمعنى من المعاني الجليلة التي قد لا يشملها ذلك اللفظ أو الاسم أو الجملة، وهي في مجموعها تدل على مفهوم التعظيم الذي يصعب أن تحتويه مصطلحات ودلالات ألفاظ محدودة؛ فهو ذو العظمة والجلال والكبرياء المطلق الذي لا يُدرَك كنه عظمته؛ لأن تعظيم الله تعالى هو ثمرة فهم معاني القرآن الكريم؛ بل كلما أطال العبد النظر والتأمل والتدبر في ألفاظ القرآن وجمله أثمرت في قلبه من معاني التعظيم ما الله به عليم؛ فللتعظيم معان كثيرة تفجرها في القلب دلالات ألفاظ الوحي المتنوعة التي إذا فاضت في القلب أثمرت العبودية الحقَّة لله تعالى؛ ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

فتأملت في الكتاب والسنة في بداية بحثي لأجمع وأحصر بعض الألفاظ التي تدل على معاني التعظيم فوجدت أن كل لفظة في القرآن الكريم وجمله وآيه وسوره تقود وتدل على ذلك؛ بل لو تأمل العبد في معاني لفظة واحدة من الألفاظ التي جاءت لهذا الغرض لأفنى عمره ولم يستوعب غورها، فقصرت النظر مرة أخرى لأجد أعظمها دلالة على ذلك، فوجدت أن أعظم معاني ودلالات التعظيم وردت في أسماء الله تعالى؛ بل وجدت أن جميع أسماء الله تعالى وصفاته دالة على عظمة الله تعالى وجلالِهِ ووجوب تعظيمه الذي ليس هنالك ما هو أعظم منه جَلَّ وَعَلَا بدلالة المطابقة، أو التضمن، أو اللزوم،

ثم فكَّرت مرة أخرىٰ في أسماء وصفات دالة علىٰ التعظيم بدلالة المطابقة، وجدت نفسي أمام بحث يطول في جمع كلماته، وسبر غور دلالة كل كلمة واسم من أسمائه؛ لذا قررت بعد ذلك أن أكتفي ببعض الأسماء والمعاني في هذا الباب الذي يمكن أن يستوعب البحث فيه أعمار الأجيال، تاركًا جوانبه الأخرىٰ الكثيرة لبحوث أخرىٰ سوف تأتي تباعًا لهذه الدراسة التأصيلية- إن شاء الله -، فمن تلك الأسماء الدالة علىٰ التعظيم بدلالة المطابقة ما يلي:

١/ الكبير:

أدلة وروده: ورد اسم الكبير في القرآن الكريم في ستة مواضع، خمسة منها اقترنت باسم العلي، وواحدة منها باسم المتعال، قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٤].

واسمه الكبير كما جاءت في القرآن جاء كذلك في السنة النبوية كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَالسِّلسِلَةِ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ)[١]. وعن عدي بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال له حينما

---

(١) البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحجر ٤/ ١٧٣٦ (٤٤٢٤).

دعاه إلىٰ الإسلام: «أَتُنْكِرُ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُ اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَتُنْكِرُ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، فَأَسْلَمْتُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ»[١]. فالله تعالىٰ هو الكبير الذي له الكبرياء المطلق، قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧].

معناه: هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن، فصغر دون جلاله كل كبير، وقيل: هو الذي كبر عن صفات المخلوقين، وقيل: إنه كبير عن مشاهدة الحواس، وقيل: هو العظيم، الجليل، ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله تعالىٰ، وقيل معناه: الله أكبر من أن يُعْرف كُنْه كبريائه وعظمته»[٢]، فهو أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، وأجلّ من كل جليل، وكل شيء دونه جَلَّ وَعَلَا؛ لأن كل كبير يصغر بالإضافة إلىٰ عظمته، وقيل: هو الذي وسع كل شيء قدرةً وعلمًا ورحمة[٣]، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الكبير) يعني العظيم، الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه»[٤]،

(١) أخرجه أحمد في مسنده ح رقم ١٩٤٠٠، والترمذي ح رقم٢٩٥٤، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم ٢٣٧، وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان ح رقم ٧٢٠٦، والبيهقي في دلائل النبوة ح رقم ٢٠٨٦، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ح رقم ٢٠٨، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش، وهو ثقة.

(٢) ينظر: المفتاح للتبريزي (١٧/ ١٦٣)، والمقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٠٩)، والاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد (ص: ٥٩)، ولسان العرب (٥/ ١٢٥).

(٣) ينظر: زاد المسير (٤/٣٠٨)، وروح المعاني، الألوسي (٩/ ٢١٠)، وتفسير القطان (٢/ ٤٦٦).

(٤) جامع البيان (١٨/ ٦٧٦).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكبير: الذي له الكبرياء والعظمة والمجد، في أسمائه وصفاته وأفعاله المتنزه عن كل آفة وعيب ونقص»(١).

دلالته على التعظيم: اسمه تعالى الكبير دلالته على التعظيم ظاهرة، لأنه يستلزم أن يُكبر الله تعالى ويعظمه في كل وقت وحين اعتقادًا وقولًا وعملًا، فإن من لوازم التكبير التعظيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي قوله الله أكبر إثبات عظمته فإن الكبرياء تتضمن العظمة؛ ولكن الكبرياء أكمل»(٢)، وقد أمر الله تعالى به رسوله في بداية البعثة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر: ١ - ٣]، وأمر به عباده بتكبيره في سائر حياتهم فقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١]،أي وعظِّمه جَلَّ وَعَلَا تعظيمًا، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن أسمائه المجيد، الكبير، العظيم، الجليل: «وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلَّ وأعلى. وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، والخضوع له والتذلل لكبريائه»(٣).

فلفظة «الله أكبر» من أبلغ الألفاظ الدالة على تعظيم الله تعالى وتمجيده وتقديسه؛ لأن فيها الشهادة لله تعالى بأنه الكبير المتعال؛ ولذا دوت بهذه الكلمة مآذن المسلمين عبر الزمان، ونودي بها لأعظم أركان الإسلام، شعيرة الصلاة

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٧٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٢٥٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٤٦).

التي هي أعظم شعائر الدين، وافتتحت بها، بل أمر العبد المسلم بتكريرها في ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده وهو يتنقل بين أركانها حتىٰ يتذكر عظمته جَلَّ وَعَلَا وهو واقف بين يديه، بل جعلت وردًا دبر الصلوات، وعند الانتهاء من الصيام، قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وعند بداية كل شوط في الطواف، وعند رمي الجمار، بل جعل ذكرًا في أيام التشريق، وعند النحر الهدي وغيره، قال تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧]، وعند ركوب الدابة وغيرها من مواضع كثيرة شرع فيها التكبير؛ بل جعل في أعظم الأوراد وأحبها إلىٰ الله تعالىٰ، التي هي الباقيات الصالحات فقد جاء في الحديث عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»[1]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ هذه المواضع الكثيرة التي شرع فيه هذا الذكر، وكيف يدل ويقود إلىٰ تعظيمه: «وهذا كله يبين أن التكبير مشروع في المواضع الكبار لكثرة الجمع، أو لعظمة الفعل، أو لقوة الحال، أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة؛ ليبين أن الله أكبر، وتستولي كبرياؤه في القلوب علىٰ كبرياء تلك الأمور الكبار، فيكون الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرين، فيحصل لهم مقصودان مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد سائر المطالب لكبريائه»[2].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الآداب، باب: كَرَاهَةِ التَّسْمِيَةِ بِالْأَسْمَاءِ الْقَبِيحَةِ وَبِنَافِعٍ وَنَحْوِهِ ح رقم ٥٧٢٤.

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٢٤/ ٢٢٩).

٢/ المتكبر:

أدلة وروده: ورد اسم المتكبر في موضع واحد في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]. وقد جاء في السنة كذلك عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا المُتَعَالِ، يُمَجِّدُ نَفْسَهُ قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَدِّدُهَا حَتَّىٰ رَجَفَ بِهِ المِنْبَرُ، حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَخِرُّ بِهِ»[١].

معناه: قيل: هو العظيم المتعالي، القاهر لعُتَاة خَلقِه إذا نازعوه العظمة قصمهم، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر علىٰ عُتاةِ خَلْقه، وقيل: إنه تكبر عن كل شر[٢]، قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي تكبر عن كل سوء. وقيل: المتعظم عما لا يليق به. وأصل الكبر، والكبرياء: الامتناع. وقيل: ذو الكبرياء، وهو الملك»[٣]، وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله. وقيل: المتكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به من صفات

(١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم ٥٦٠٨، والنسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم ٧٦٩٦، وابن ماجة ح رقم ١٦٤، وابن حبان بترتيب ابن بلبان ح رقم ٧٣٢٧، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم ينظر: مسند الصحابة في الكتب التسعة (١٦/ ٤١٧).

(٢) جامع البيان (٢٣/ ٣٠٤).

(٣) تفسير البغوي (٨/ ٨٨).

الحدث والذم... وقيل: المتكبر معناه العالي، وقيل: معناه الكبير؛ لأنه أجلَّ من أن يتكلف كبرًا»[1]. وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصم ذكرهم... والكبر لا يليق بأحد من المخلوقين وإنما سمة العبد الخضوع والتذلل، وقيل: إن المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله لا من الكبر الذي هو مذموم في الخلق»[2]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتكبر» عن السوء والنقص والعيوب، لعظمته وكبريائه»[3].

دلالته على التعظيم: دلالة اسمه تعالى المتكبر على التعظيم ظاهرة، لأنه يستلزم أنه لا كبرياء لسواه، فهو المتفرد بالملك والكبرياء والعظمة، وأن التكبر لا يليق بسواه جَلَّ وَعَلَا، وإنما شأن العباد الخضوع والتذلل له، وقد مغت الله تعالى المتكبرين من عباده فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر: ٣٥]، وبين سوء مصيرهم في الآخرة قال تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [غافر:٢٧].

٣/ العظيم:

أدلة وروده: ورد في القرآن الكريم في ستة مواضع، اقترن اثنان منهما باسم العلي، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال تعالى:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٨/ ٢٢٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٤٦).

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢].

وقد ورد اسمه العظيم في السنة كذلك في كثير من المواضع منها: ما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ)[1]. وجاء عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ قَالَ: (أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلطَانِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[2].

معناه: ذو العظمة والكبرياء والجلال والكمال الذي لا شيء أعظم منه[3]، فهو العظيم ذو العظمة المطلقة، في ذاته التي ليس كمثلها شيء، وفي أسمائه وصفاته، فهو عظيم في علمه وقدرته ورحمته وحكمته وبره وعطائه وعفوه وعدله وعلوه وقهره، وعظيم في أفعاله عظمة لا تُكَيَّفُ ولا تُحدُّ، جاوَزَ قدْرُه وعظمته حدود العقل، وجل عن تَصور الإحاطة بكنْهِهِ وحَقِيقتِه، فلا أحد يساويه ولا عظيم يدانيه، أعظم من كل شيء، وكل عظيم بالنسبة لعظمته

(١) البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح ٥/ ٢٣٥٢ (٦٠٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل ثم دخوله المسجد ١/ ١٢٧ (٤٦٦) وصححه الألباني.

(٣) فقه الأسماء الحسنىٰ للأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (ص: ١٤٩).

لا شيء[1]، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنى العظيم الكامل في ذاته وصفاته»[2]، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن اسم العظيم له لوازم ينكرها من لم يعرف عظمة الله ولوازمها»[3].

دلالته على التعظيم: دلالة اسمه تعالى العظيم على التعظيم ظاهرة؛ لأنه من صيغ المبالغة التي تعني «المعظم الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه»[4]، فهو الذي له صفة العظمة المطلقة في كل شيء، ولا شيء أعظم منه جلالة وهيبة وسلطانا وكبرياء وقدرة؛ بل كل شيء يصغر عندما تذكر عظمته، فهو العظيم المعظم، الذي يعظمه خلقه لما له من عظمة لا يُدْرَك كنهها، ومن أدرك معنى العظيم عظَّم ربه وعظَّم أمره ونهيه ولم يتعد حدوده، ومن هنا كانت المخلوقات كلها منزهة ومعظمة ومبجلة مكبرة له تعالى، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤]؛ بل وخاضعة لعظمته، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩﴾ [الحج:١٨].

---

(١) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٨٥١)، أسماء الله الحسنى (٣٢/ ٨٨)، صفات الله وآثارها في إيمان العبد (٧/ ١)، كتاب الإبهاج في شرح المنهاج (١/ ٩).

(٢) التفسير القيم لابن القيم (١/ ٢٦).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٤١٧).

(٤) جامع البيان (٥/ ٤٠٧).

٤/العلي ٥/ والأعلى ٦/ والمتعال:

أدلة ورودها:

أولًا: العلي: ورد اسم العلي في القرآن الكريم في ستة مواضع، أربعة منها اقترنت باسم الكبير، واثنان منهما باسم العظيم، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورىٰ: ٤].

ثانيًا: الأعلىٰ: ورد اسم الأعلىٰ في القرآن الكريم في موضعين قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [العلق:١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:٢٠].

ثالثًا: المتعال: وورد اسم المتعال في القرآن الكريم موضع واحد، قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، وقال تعالىٰ في بيان صفاته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

وقد جاء في السنة كذلك عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا

الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا المُتَعَالِ، يُمَجِّدُ نَفْسَهُ قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَدِّدُهَا حَتَّىٰ رَجَفَ بِهِ المِنْبَرُ، حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَخِرُّ بِهِ »[(١)].

معناها:

أولًا: العلي: قيل هو البالغ في علو الرتبة بحيث لا رتبة إلا وهي منحطة عن رتبته. وقال بعضهم هو الذي علا عن الإدراك ذاته وكبر عن التصور صفاته[(٢)]، وقيل: «العلىٰ المتعالي عن الأشياء والأنداد، وقيل العلىٰ بالملك والسلطنة»[(٣)]، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلف أهل البحث في معنىٰ قوله: «وهو العلي» فقال بعضهم: يعني بذلك؛ وهو العلي عن النظير والأشباه... وقال آخرون: معنىٰ ذلك: وهو العلي علىٰ خلقه... لأنه تعالىٰ ذكره فوق جميع خلقه وخلقه دونه، كما وصف به نفسه أنه علىٰ العرش، فهو عال بذلك عليهم»[(٤)]. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن من لوازم اسم العلي العلو المطلق بكل اعتبار، فله العلو المطلق من جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه العلي»[(٥)]،وقال ابن منده - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «معنىٰ العلي: تعالىٰ علىٰ الخلق، وهو أعلىٰ من كل شيء،

(١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم ٥٦٠٨، والنسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم ٧٦٩٦، وابن ماجة ح رقم ١٦٤، وابن حبان بترتيب ابن بلبان ح رقم ٧٣٢٧، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم ينظر: مسند الصحابة في الكتب التسعة (١٦/ ٤١٧).

(٢) ينظر: المفتاح للتبريزي (١٧/ ١٦٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم السمعاني (٧/ ٢٣٠).

(٤) جامع البيان (٥/ ٤٠٦).

(٥) التفسير القيم لابن القيم (١/ ٢٦).

وتعالىٰ في كل شيء، فلا شيء أعلىٰ منه»[1].

ثانيًا: الأعلىٰ: قيل: هو الذي ارتفع عن غيره وفاقه في الوصف[2]، وقيل: هو الأعلىٰ سبحانه بمعنىٰ العالي»[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأعلىٰ يجمع معاني العلو جميعا، وأنه الأعلىٰ بجميع معانىٰ العلو، وقد اتفق الناس علىٰ أنه عليّ علىٰ كل شيء، بمعنىٰ أنه قاهر له قادر عليه متصرف فيه»[4].

ثالثًا: المتعالي: قيل: إنه المتعالي عن الشبيه والنظير، وقيل: المتعالي من العلو، أي المرتفع، وهو يدل علىٰ كمال العلو ونهايته، قال الألوسي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «معنىٰ: (المتعال) المستعلي علىٰ كل شيء في ذاته وعلمه وسائر صفاته سبحانه»[5].

فاشتقاق هذه الأسماء واحد، ومعناها متقارب، نقل الأزهري عن الليث رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو: العلِيّ المتعالي، العالي الأعلىٰ، ذو العلاء والعُلا والمَعَالىٰ، تعالىٰ عما يقول الظالمون عُلُوّا كبيرا»[6].وهي تعني إثبات العلو المطلق لله تعالىٰ، علو الذات فهو فوق جميع مخلوقاته مستو علىٰ عرشه، وعلو المكانة والقدر، فهو له من كل صفة كمال أعلاها وغايتها،

(١) التوحيد لابن منده (ص: ٣٩٢).

(٢) لسان العرب (٥/ ٣٨٨).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١/ ٣٧٢).

(٤) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٦/ ١١٩).

(٥) روح المعاني، الألوسي (٩/ ٢١٠).

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (١/ ٣٧٢).

وعلو القهر والغلبة فهو القاهر فوق عباده فلا ينازعه منازع، ولا يغالبه مغالب، وكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، فهو القوي العزيز الغالب[1]. قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العلي الأعلىٰ) وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر. فهو الذي علىٰ العرش استوىٰ، وعلىٰ الملك احتوىٰ. وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهىٰ»[2]، وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الصفات سبحانه يَقْرُب بعضُها من بعض، فالعَلِيّ الشريف فَعِيل من علا يعلو، وهو بمعنىٰ العالِي، وهو الذي ليس فوقه شيء. ويقال: هو الذي علا الخلق فَقَهَرهم بقدرته. وأما المُتعالي: فهو الذي جَلَّ عن إفْكِ المُفْتَرِين وتَنَزَّه عن وَساوس المتحيِّرين، وقد يكون المُتعالي بمعنىٰ العالي. والأَعْلىٰ: هو الله الذي هو أَعْلىٰ من كل عالٍ، واسمه الأَعْلىٰ أَي صفته أَعْلىٰ الصفات... ولم يزل الله عَلِيًّا عاليًا متعاليًا، تعالىٰ اللهُ عن إِلحاد المُلْحِدِين»[3]. فالله تعالىٰ له كل أنواع العلو، ومن أنكر منها شيئًا فقد ضل ضلالا مبينًا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو العلي فكل أنواع العلـ … ـو له فثابتة بلا نكران[4].

دلالتها علىٰ التعظيم: دلالة اسمه تعالىٰ العلي والأعلىٰ والمتعالي علىٰ التعظيم ظاهرة؛ لأنه يستلزم أن يعتقد العبد أنه ليس هنالك من هو أعلىٰ ولا أرفع منه قدرا، وأنه تعالىٰ عن العيب والنقص والسوء والشر، وتعالىٰ

---

(١) ينظر: الهداية الىٰ بلوغ النهاية (١/ ٨٥٠)، ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوها بها، لعبد العزيز بن ناصر الجليل (ص:٢٥٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٤٦).

(٣) تفسير العدل والاعتدال (٢/ ٣٣٦).

(٤) النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٢/ ١١).

عن النظراء والأشباه، فليس له ظهير ولا معين ولا ولي من الذل، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام:١٠٠]، وهو الذي تعالىٰ عن الصاحبة والولد كما قال تعالىٰ علىٰ لسان الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾ [الجن:٣]، وهو «الذي ليس فوقه فيما يجب له من معالي الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركًا بينه وبينه، لكنه العلي بالإطلاق»[١] كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٤٢- ٤٣]، وهو «القاهر المقتدر الذي لا يُغلب»[٢]؛ بل تعالىٰ أن يحيط به وصف الواصفون، فليس لكمال علوه حدّ ولا عد[٣]، فهذه معانٍ عظيمة جامعة لجميع العظمة والكبرياء، والإيمان بهذه المعاني: «يورث العبد تعظيمًا لله، وذلًا بين يديه، وانكسارًا له، وتنزيهًا له عن النقائص والعيب، وإخلاصًا في عبادته، وبعدًا عن اتخاذ الأنداد والشركاء»[٤].

٧/الملك، ومالك الملك:

أدلة ورودهما:

أولًا: الملك: ورد اسم الملك في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، اقترن اثنان منهما باسم الحق، وواحد باسم القدوس، قال تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه: ١١٤]،

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٢).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي (١١/ ١٤٦).

(٣) أسماء الله الحسنىٰ جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها للشيخ ماهر مقدم (ص: ٤٩).

(٤) المصدر السابق (ص: ٤٩).

وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

وجاء اسمه الملك في السنة كذلك، فعَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَقْبِضُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ»(١)، وفي رواية أخرى للبخاري «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ».

ثانيًا: مالك الملك: وورد باسم «مالك الملك» في موضع واحد، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦].

معناهما:

أن الله تعالى له ملك كل شيء، ومتصرف فيها كيف يشاء، وملكه ثابت بلا زوال ولا انتقال ولا نقصان على الدوام، قهر بملكه وسلطانه الخلق على الدوام، وكل ملك في الكون من ملكه، وكل ملك يزول ملكه إلا هو، وكل ملك تحت سلطانه وقهره، وكل ملكه بتدبيره وأمره بلا منازعة ولا ممانعة(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الرقاق، باب: يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ح رقم ٦٥١٩، ومسلم في كتاب: صفة القيامة والجنة والنار باب: (١٤) ح رقم ٧٢٢٧.

(٢) أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها للشيخ ماهر مقدم (ص:٨٩).

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الملك الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلا دونه»[1]، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المالك لجميع الاشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة»[2]، وقال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الملك (المتصرف بالأمر والنهي، أو المالك لجميع الأشياء الذي له التصرف فيها، أو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، ويستحيل عليه الإذلال، أو الذي يولي ويعزل ولا يتصور عليه تولية ولا عزل، أو المنفرد بالعز والسلطان، أو ذو الملك والملك خلقه أو القادر»[3].

دلالته علىٰ التعظيم: دلالة اسمه تعالىٰ الملك، ومالك المُلك علىٰ التعظيم ظاهرة؛ لأنه يعنىٰ أنه خالق كل شيء، والمحتوي علىٰ كل شيء، والمدبر لكل شيء، والمتصرف في مُلكه بما يشاء بلا ممانعة ولا مدافعة، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وأن سلطانه نافذ في السماوات والأرض ومن فيهما، فلا يخرج شيء عن ملكه، وأنه يملك أن يتصرف في خلقه كيف يشاء؛ ومن تمام ملكه أنه يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، بيده خزائن السموات والأرض يصرفها كيف يشاء، خزائنه ملأىٰ لا ينقصها عطاء، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أسمائه الملك ومعنىٰ الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكل وجه، وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال، إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة ولا قدرة ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به، وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا

---

(١) جامع البيان (٢٣/ ٩١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٨٢).

(٣) روح المعاني (١٩/ ١٢٦).

ينهىٰ ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعطي ولا يمنع ولا يعز ويذل ويهين ويكرم وينعم وينتقم ويخفض ويرفع ويرسل الرسل إلىٰ أقطار مملكته، ويتقدم إلىٰ عبيده بأوامره ونواهيه فأي ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك»[1].

والخلق لا يملكون من قطمير، ولا مثقال ذرة في السموات والأرض، لا استقلالًا ولا شراكة، وما يملكونه هو مما ملكهم الله إياه عارية، فليس ملكًا تامًا، وليس لهم التصرف فيه بإطلاق، قال تعالىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سبأ: ٢٢]، فمن عرف كمال ملكه هان عنده كل ملك وملك، وخضع بكل جوارحه لملك الملوك، ومالك الملكوت جلا وعلا.

٨/ القوي:

أدلة وروده: ورد في القرآن في موضعين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورىٰ: ١٩].

ووردت بالصفة في عدة مواضع قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٢/ ٦٠٩).

﴿لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

معناه: أنه تعالىٰ له القوة المطلقة، والقدرة الكاملة، فلا يغلبه غالب، ولا يمنعه مانع، ولا يدفعه دافع، ولا يرد قضاءه راد، ولا يفلت منه هارب، ولا يستولىٰ عليه عجز ولا نصب في حال من الأحوال، ولا يُعجِزه شيء في الأرض ولا في السماء، قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء. فهو الفعال لما يريد، لا يفتقر إلىٰ نصرة وعون أحد، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ القوي: «الذي لا يغلبه ذو أيد لشدته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته»[(١)]، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القوي: هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء»[(٢)].

دلالته علىٰ التعظيم: دلالة اسمه تعالىٰ القوي علىٰ التعظيم ظاهرة؛ لأنه يعني كمال قدرته التي يعز به أولياءه ويذل به أعداءه، ويفعل بها ما يريد، فلا يلتفت من عرفه لسواه، ولا يضعف توكله عليه، ولا يذل من لاذ بجانبه واعتمد عليه، قال تعالىٰ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، فهو القوي المتين، أي المتناهي في القوة والقدرة الذي لا يضل من طلبه، ولا يذل من لاذ بجانبه واعتمد عليه، لأنه اعتمد علىٰ القوي الذي قهر بقوته من

(١) جامع البيان (٢١/ ٥٢١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٤٥٤).

في السموات والأرض، الذي يغلِب ولا يُغلب، والذي يقهر ولا يُقهر، وعليه» فإن إيمان العبد بهذا الاسم يثمر فيه انكسارًا بين يدي الله وخضوعًا لجانبه، وخوفًا منه، ولُجوءًا إليه وحده، وحسن توكل عليه، واستسلامًا لعظمته، وتفويض الأمور كلِّها إليه، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به»[1].

٩/ القهَّار ١٠/ والقاهر:

أدلة ورودهما:

أولًا: القهار: ورد اسمه تعالى القهار في ستة مواضع في القرآن الكريم مقترن فيها كلها باسمه سبحانه الواحد، قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦]، وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥]، وقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤]، وقال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]. وفي اقتران القهار بالواحد؛ لأن القهار لا يكون إلا واحدًا، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القهر المطلق مع الوحدة فإنهما متلازمان، فلا يكون القهَّار إلا واحدًا؛ إذ لو كان معه كفؤ له فإن لم يقهره لم يكن قهارًا على الإطلاق، وإن قهره لم يكن كفؤا، وكان القهار واحدًا»[2]، وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه لا توجد الوحدة والقهر إلا لله وحده، فالمخلوقات وكل مخلوق فوقه مخلوق يقهره ثم فوق ذلك

(١) فقه الأسماء الحسنى (ص: ١٥٧).

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٣/ ١٠٣٢).

القاهر قاهر أعلىٰ منه، حتىٰ ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد متلازمان متعينان لله وحده»[1].

ثانيًا: القاهر: وورد اسمه تعالىٰ القاهر في موضعين في القرآن قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

معناهما:

أولًا: القهار: صيغة مبالغة تدل علىٰ قهره لجميع الخلق، قهر جميع الكائنات في السموات والأرض وما بينهما، ودان لقهره وعزته جميع المخلوقات، وهو الذي قهر الجبابرة العتاد، وذل لكبريائه المردة الطغاة، فلا يخرج شيء عن قهره وغلبته وكل شيء خاضع لأمره في حركته وسكونه، فلا موجود إلا وهو مقهور تحت قدرته مسخر لقضائه عاجز في قبضته، فهو يحيي خلقه إذا شاء ويميتهم إذا شاء، ويفقرهم إذا شاء ويغنيهم إذا شاء[2].

ثانيًا: القاهر: هو الغالِب علىٰ جميع الخلائق، الذي يعلو في قهره وقوته، فلا غالب ولا منازع له سبحانه، بل كل شيء تحت قهره وسلطانه، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاهر: المذلل المستعبد خلقه، العالي عليهم»[3] له علوُّ القهر المطلق علىٰ جميع خلقه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٤١٥).

(٢) أسماء الله الحسنىٰ جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها للشيخ ماهر مقدم (ص: ١٢٥)، وينظر: تفسير الخازن علاء الدين البغدادي (٣/ ٢٨٤).

(٣) جامع البيان (١١/ ٢٨٨).

وكــذلك القهــار من أوصــافــه فالخلق مقهورون بالسلطــان
لــو لم يكــن حيا عــزيزا قادرا ما كان من قهر ومن سلطان[1].

الفرق بين القاهر والقهار: أن القاهر هو الذي له علو القهر الكلي المطلق باعتبار جميع المخلوقات علىٰ اختلاف تنوعهم، فهو قاهر فوق عباده له علو القهر مقترنا بعلو الشأن والفوقية فلا يقوىٰ ملك من الملوك علىٰ أن ينازعه في علوه، مهما بلغ في سلطانه أو ظلمه، وإلا قهره الله باسمه القهار... أما القهار فهو الذي له علو القهر المطلق باعتبار الكثرة في الجزء ونوعية المقهور، فالله عَزَّوَجَلَّ أهلك قوم نوح وقهرهم، وقهر قوم هود، وقهر فرعون وهامان والنمرود، ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكَ تَتَمَارَى هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَى﴾ وقهر قوم صالح وقهر قوم لوط، وقهر أبا جهل والمشركين، و قهر الفرس والروم الصليبيين، والله قهار لكل متكبر جبار، والأرض فيها المتكبرون وما أكثرهم، وفيها الظالمون المجرمون وما أجرمهم، والمستضعفون المظلومون كثيرون وعاجزون، ويفتقرون إلىٰ معين قهار وملك قادر جبار، يعينهم وينصفهم، فالواحد القهار هو ملجأهم وهو بالمرصاد للطغاة المعتدين، فالقهار هو كثير القهر، وقهره عظيم، يقهر من نازعه في ألوهيته وربوبيته وحاكميته وأسمائه وصفاته»[2].

دلالتهما علىٰ التعظيم: ودلالة القاهر والقهار علىٰ التعظيم ظاهرة؛ لأنه ينفي الشركة، ويبطل اتخاذ الأنداد، فهو القاهر لعباده، وله العلو الغلبة

(١) القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٢/ ١٤).

(٢) الاسماء الدالة علىٰ صفات الفعل (٦/ ٩).

والقدرة المطلقة علىٰ خلقه؛ بما يستلزم الذل والخضوع له تعالىٰ، ولأنه قهار ذل لعظمته كل شيء وخضع لكبريائه، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ القهار موضحًا هذه المعاني: «أي هو: الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه»(١).

١١/ الجبار:

أدلة وروده: وردت في موضع واحد، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وقد وردت في السنة النبوية أدلة كثيرة منها ما جاء عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الْجَنَّةِ)(٢). وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمِنبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: (يَأْخُذُ الْجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ سَماوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ)(٣). وجاء كذلك أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٦٠).

(٢) البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ٥/ ٢٣٨٩ (٦١٥٥).

(٣) مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/ ٢١٤٩ (٢٧٨٨).

(٤) أحمد ح رقم ٢٤٠٢٦، وأبو داود ح رقم ٨٧٣، والنسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم ٧١٨،

معناه: اختلفت عبارات العلماء في معنى الجبار، وهو من باب اختلاف التنوع وليس التضاد؛ لأن كل واحد منهم عبر بجزء المعنى، فقيل معناه: الذي يجبر الكسير ويغني الفقير، وقيل هو: الذي يجبر الناس ويقهرهم لما يريد، وقيل: هو القهّار الذي إذا أراد أمرًا فعله وحكم فيه بما يريد لا يحجزه عنه حاجز ولا يفكّر فيمن دُونه، وقيل: هو الذي لا ينال ولا يداني، وقيل: هو الذي ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد ولا تنفذ فيه مشيئة أحد الذي لا يخرج أحد من قبضته وتقصر الأيدي دون حمى حضرته، فالجبار المطلق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنه يجبر كل أحد ولا يجبره أحد ولا مثنوية في حقه في الطرفين تنبيه وغيرها[1]، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: (الجبار) يعني: المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم. وكان قتادة يقول: جبر خلقه على ما يشاء من أمره»[2]، وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن عباس: «الجبار» هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وهو على هذا القول صفة ذات الله، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح يقال: جبرت الأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويُصلح الكسير. وقال السدي ومقاتل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد. وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال: هو القهار

والترمذي في الشمائل المحمدية ح رقم ٣٠٤، والبيهقي في السنن الكبرى ح رقم ٤٠٣٨، وصححه الألباني في صحيح أب داود..

(١) ينظر: تفسير الخازن علاء الدين البغدادي (٧/ ٧٢)، والمقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (ص: ٧٤)، وأسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة (٢/ ٢٥)، وكتاب أسماء الله الحسنى وصفاته العليا دراسة نظرية تطبيقية في مؤلفات شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، جمع وإعداد وتحقيق عماد زكي البارودي (ص:١٤٠).

(٢) جامع البيان (٢٣/ ٣٠٤).

الذي إذا أراد أمرًا فعله لا يحجزه عنه حاجز»(١). قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ (الْجَبَّارُ): «قال ابن عباس: هو العظيم. وجبروت الله عظمته. وهو علىٰ هذا القول صفة ذات، من قولهم: نخلة جبارة... فكان هذا الاسم يدل علىٰ عظمة الله وتقديسه عن أن تناله النقائص وصفات الحدث. وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت العظم فجبر، إذا أصلحته بعد الكسر، فهو فعال من جبر إذا أصلح الكسير وأغنىٰ الفقير. وقال الفراء: «هو من أجبره علىٰ الأمر أي قهره. قال: ولم أسمع فعالا من أفعل إلا في جبار ودراك من أدرك. وقيل: الجبار الذي لا تطاق سطوته»(٢).. وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجبار» هو بمعنىٰ العلي الأعلىٰ، وبمعنىٰ القهار، وبمعنىٰ»الرؤوف» الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه»(٣)، قال ابن القيم-:

وكذلك الجبار من أوصافه ... والجبر في أوصافه نوعان

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ... ذا كسرة فالجبر منه دان

والثاني جبر القهر بالعز الذي ... لا ينبغي لسواه من إنسان(٤)

دلالته علىٰ التعظيم: دلالته علىٰ التعظيم ظاهرة فإنه تدل علىٰ القهر والعلو والغلبة والملك والكبرياء، فهو العظيم القوي القادر علىٰ ما يشاء، الممتنع عن الذل والقهر، الذي قهر خلقه علىٰ ما يريد، فلا غالب لأمره

(١) معالم التنزيل البغوي (٨/ ٨٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٤٦).

(٤) القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٢/ ١٤).

ولا معقب لحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ بما يجعل العبد يذل ويخضع لجبروته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو الجابر لخلقه بما فيه صلاحهم، وجابر الفقير بالغنىٰ، والمريض بالشفاء، والخائف بالأمن والسلامة بما يدل علىٰ عظمته كذلك وكمال فضله علىٰ عباده.

١٢/ المهيمن:

أدلة وروده: ورد في القرآن في موضع واحد، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣].

معناه: فهو المهيمن بقدرته علىٰ الخلائق أجمعين، الشاهد الذي لا يغيب عنه شيء في السماء والأرض، المحيط بهم، العليم بأحوالهم، الرقيب علىٰ حركاتهم وسكناتهم، فلا يخرج عن قدرته مقدور له الملك الكامل والسلطان النافذ علىٰ جميع خلقه، لا يعجزه شيء في السموات والأرض[(١)]. قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ قالوا: معناه الشاهد الذي لا يغيب عنه شيء. ثم في أصله قولان، قال الخليل وأبو عبيدة: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبًا علىٰ الشيء، وقال آخرون: مهيمن أصله مؤيمن، من آمن يؤمن، فيكون بمعنىٰ المؤمن... وقال ابن الأنباري: «المهيمن القائم علىٰ خلقه برزقه»[(٢)]، وقال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه في حق الله عَزَّوَجَلَّ أنه القائم علىٰ

(١) ينظر: جامع البيان (٢٣/ ٣٠٤)، وتفسير القرآن، السمعاني (٥/ ١٥٦)، واللباب في علوم الكتاب (١٨/ ٦١٢).

(٢) مفاتيح الغيب الرازي (١٥/ ٣١٤).

خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه، وكل مشرف علىٰ كنه الأمر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه، والإشراف يرجع إلىٰ العلم، والاستيلاء إلىٰ كمال القدرة، والحفظ إلىٰ الفعل، فالجامع بين هذه المعاني اسمه»المهيمن«، ولن يجتمع ذلك علىٰ الإطلاق والكمال إلا لله عَزَّوَجَلَّ»[1].

دلالته علىٰ التعظيم: ودلالة اسم المهيمن علىٰ التعظيم بيِّنَة لأنه يعني أنه القائم علىٰ خلقه في أرزاقهم وآجالهم وسائر أمورهم، الذي يملك التصرف فيهم كيف يشاء؛ لأن ذلك من لوازم هيمنته علىٰ خلقه، وهو الشاهد الرقيب علىٰ حركات وسكنات خلقه مع كثرتهم واختلاف أحوالهم وتباين زمانهم وأماكن تواجدهم لا تغيب عنه غائبة في السماء والأرض، ولا يخفي عليه شيء من أمر خلقه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء قال تعالىٰ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وهنالك الكثير من الأسماء الواضحة الدلالة في التعظيم كالحي والقيوم، الواحد الأحد، والفرد الصمد، والخالق الخَلَاَّقُ، والبارئ المصور، القادر والقدير والمقتدر، والغني والواسع، والعزيز والمجيد والحفيظ والرقيب والمتين، والسميع والبصير، والرازق والرَّزاق، والحافظ الحفيظ، والولي والمولىٰ، والأول والآخر، والظاهر والباطن، الوهاب والتواب والرحيم والرحمن، والعليم والحكيم والخبير وغيرها مما يدل علىٰ جلاله، وحتىٰ

(١) المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٧٢).

الأسماء التي تدل علىٰ إكرامه وجوده وبره فهي تحمل معاني التعظيم كالغفور والشكور، والودود، والوهاب والباسط، الرحمن والرحيم، الحفيظ، المعطي، المحسن، الكريم، وكلها مما يحتاج أن يفرد بمؤلفات خاصة. كيف لا يكون كذلك وهو «خلق الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وذللها بعزته، فذل لعظمته المتكبرون، واستكان لعز ربوبيته المتعظمون، وانقطع دون الرسوخ في علمه العالمون، وذلت له الرقاب، وحارت في ملكوته فطن ذوي الألباب»[١].

(١) الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١).

تعظيم الله تعالى

المبحث الثالث

منزلة تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ

إعداد

د. ياسين حافظ قاري

تعظيم الله تعالى

منزلة تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ

مدخل

إن الناظر في كتاب الله تعالىٰ، المتأمل لآياته، المهتدي بهديه يجد أن القرآن الكريم كله تضمن تعظيم الله تعالىٰ، وتمجيده، وإجلاله، والدعوة إلىٰ ذلك، بل لا تكاد تجد آية في القرآن الكريم إلا وهي دالة علىٰ عظمته عَزَّوَجَلَّ، وداعية إلىٰ تعظيمه عَزَّوَجَلَّ، فليس هناك كتابٌ حوىٰ من التعظيم والثناء والحمد والتقديس لله عَزَّوَجَلَّ مثل ما حواه القرآن الكريم[(١)].

ولا شك أن تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أهم المهمات، وأولىٰ الأولويات، وأرفع المنازل قدرًا، وأجلها شأنًا، وأعلاها مكانة، وسأتكلم في هذه اﻻلمطالب عن بيان هذه المنزلة في ضوء آيات القرآن الكريم وهداياته، وذلك ضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: ارتباط الإيمان بتعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.

المطلب الثاني: تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ دعوة الرسل جميعًا.

المطلب الثالث: أسماء الله الحسنىٰ وصفاته دالة علىٰ عظم منزلة تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.

المطلب الرابع: محبة الله عَزَّوَجَلَّ لتعظيمه، ومحبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمن يعظمه.

(١) ينظر: تعظيم الله جَلَّ جَلَالُهُ (ص:٨١).

سائلًا المولىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يمدني بالتوفيق والسداد، وأن يجري قلمي بالخير والرشاد، وأن يخلص نيتي، ويحسن عملي، إنه جواد كريم.

وبعد: فهذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده، وما كان فيه من خلل أو نقص فهو من نفسي المقصرة والشيطان.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: ارتباط الإيمان بالتعظيم:

علىٰ قدر تعظيم العبد لله تعالىٰ في قلبه يكون إيمانه ويقينه، فمن لم يعظم الله تعالىٰ حق تعظيمه، ويجله حق إجلاله فليس بمؤمن حقًا؛ لأن الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ مرتبط بتعظيمه جل في علاه، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله، والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يُتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره علىٰ الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبًا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلًا لما فيه من المنفعة والصلاح، إذ الاعتقادات الإيمانية تزكي النفوس وتصلحها، فمتىٰ لم توجب زكاة النفس ولا صلاحا فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب، ولم تصر صفة ونعتا للنفس وصلاحًا..»[1].

فتعظيم الله تعالىٰ من أجل الأعمال وأزكاها عند المولىٰ سبحانه، لأنه كالأساس الذي تبنىٰ عليه أعمال القلوب، وتزكية النفوس؛ كالإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء.. ونحوها.

(١) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص:٣٦٩، ٣٧٠).

وبقدر قوة التعظيم أو ضعفه في القلوب تقوىٰ أو تضعف هذه الأعمال القلبية[1]، يقول ابن مندة رَحِمَهُٱللَّهُ: «والعباد يتفاضلون في الإيمان علىٰ قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السر والعلانية»[2]، ويقول بشر الحافي رَحِمَهُٱللَّهُ: «لو تفكر الناس في عظمة الله تعالىٰ لما عصوه»[3]، وقد بيَّن سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في كتابه أن الشرك والكفر ناشئان عن عدم تعظيمه، فلو عظمه الناس لما أشرك منهم أحد، فهذا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣، ١٤]، أي: لا تعظمون الله تعالىٰ حق تعظيمه.

ويقول سبحانه عَزَّوَجَلَّ عن المشركين، الذي يتخذون آلهة أخرىٰ مع الله جل وعز، مبينًا أن شركهم لم يكن إلا لعدم تقديرهم له سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وعدم معرفة عظمته عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤]، أي: «ما عظموه حق عظمته، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته، إذ أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب، ولا ينتصف منه»[4]، وتذييل الآية باسمين عظيمين (القوي، العزيز) دلالة وتأكيد علىٰ أنه سبحانه هو المستحق للعظمة لا أحد سواه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ،

(١) ينظر: وما قدروا الله حق قدره، لعبد العزيز الجليل (ص:١٤).

(٢) الإيمان لابن منده (١/ ٣٠٠).

(٣) نقله عنه الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٢٥)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ١٦٣).

(٤) تفسير البغوي (٥/ ٤٠٠).

فمن أشرك «إلـهًا مع القوي العزيز، فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه»[(١)].

فالقوة والعزة يورثان في القلب: التعظيم، والخشية، والتواضع له سبحانه، وهذا ما لم يفهمه هؤلاء القوم من المشركين الذين لم يقدروه حق قدره، فأشركوا معه غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد ذم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المشركين لذلك فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، أي: «ما قدر المشركون اللهَ حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر علىٰ كل شيء، المالك لكل شيء، وكلُّ شيء تحت قهره وقدرته»[(٢)]، وتذييل الآية الأولىٰ بالتسبيح والعلو دلالة علىٰ أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزه عن النقائص، كامل في الصفات، ولازم هذا تعظيمه وإجلاله، وتقديره حق قدره، أخرج الطبري وغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في الآية: «هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله تعالىٰ عليهم، فمن آمن أن الله علىٰ كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره»[(٣)].

---

(١) كتاب: كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتبليس، لعبد الرحمن بن حسن التميمي (ص: ٣٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/ ١٠١)، وينظر: جامع الطبري (١١/ ٥٢١).

(٣) أخرجه الطبري في جامعه (١١/ ٥٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ح/ ٧٥٨٦، ٤/ ١٣٤١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٣) وعزاه أيضًا إلىٰ ابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

وقد كان النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يربي أصحابه علىٰ عظمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويبين لهم ذلك، فقد روي عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قرأ هذه الآية ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ..﴾ [الزمر: ٦٧] ذات يوم علىٰ المنبر، ورسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول هكذا بيده، يحركها، يُقبل بها ويدبر يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ أَنَا الْجَبَّارُ أَنَا الْمُتَكَبِّرُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْعَزِيزُ أَنَا الْكَرِيمُ فرجف برسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المنبر، حتىٰ قلنا ليخرن به(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يَقْبِضُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»(٢).

وجاء أعرابي إلىٰ رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونُهكت الأموال، وهكلت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك علىٰ الله، ونستشفع بالله عليك، فقال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَىٰ سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا» وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ «وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (ح٥٤١٤، ٩/ ٣٠٤)، والنسائي في الكبرىٰ (ح٧٦٤٩، ٧/ ١٣٩) وغيرهما.

(٢) الحديث متفق عليه: صحيح البخاري (ح٤٨١١، ٦/ ١٢٦)، صحيح مسلم (ح٢٧٨٦، ٤/ ٢١٤٧).

(٣) أخرجه أبو داوود في سننه (ح٤٧٢٦، ٧/ ١٠٦، ١٠٧)، والآجري في الشريعة (ح٦٦٧، ٣/ ١٠٩٠).وضعف إسناده الألباني، والأرناؤوط.

وقال رجل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة: ما شاء الله وشئت، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا؟ قل: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»(١).

وعلىٰ هذا النهج سار سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فقد رُوي عن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: كنت أنا وعكرمة نقود ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعدما ذهب بصره، حتىٰ دخلنا المسجد الحرام، فإذا قومٌ يمترون في حلقة لهم مما يلي باب بني شيبة، فقال لنا: أُمَّا بي حلقة المِراء، فانطلقنا به إليهم، فوقف عليهم، وسأل بهم، فأرادوه علىٰ الجلوس، فأبىٰ عليهم، فقال: انتسبوا لي أعرفكم، فانتسبوا له، أو من انتسب منهم، قال: فقال: ما علمتم أن لله عبادًا أصمَّتهم خشيته من غير عِيٍّ ولا بُكمٍ، وإنهم لهم العُلماء الفصحاء النبلاء الطلقاء، غير أنهم إذا تذاكروا عظمة الله عَزَّوَجَلَّ طاشت لذلك عقولهم، وانكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتىٰ إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلىٰ الله بالأعمال الزاكية، فأين أنتم منهم؟(٢).

وعن أبي يزيد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «لم أزل ثلاثين سنة، كلَّما أردت أن أذكر الله تعالىٰ أتمضمض، وأغسل لساني إجلالًا لله أن أذكره»(٣).

وقال مُطَرِّف الشِّخِّير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليعظِّم جلال الله أن تذكروه عند الحمار والكلب، فيقول أحدكم لكلبه أو لشاته: أخزاك الله وفعل الله بك»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس ب(ح٣٢٤٧، ٥/ ٢٩٧)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (ح١٠٧٥٩، ٩/ ٣٦٢).

(٢) ذكره أبو إسماعيل الهروي في: ذم الكلام وأهله (٤/ ٢٥٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٣٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٠٨).

فأي تربية أعظم من هذه التربية في تعظيم الخالق سبحانه جل في علاه؟

المطلب الثاني: تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ دعوة الرسل جميعًا:

إن دعوة جميع الرسل قائمة علىٰ ثلاثة أمور:

- تعريف الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله.
- معرفة الطريقة الموصلة إليه، وهي: ذكره وشكره، وعبادته التي تجمع كمال حبه وكمال الذل له.
- تعريفهم ما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم الأبدي، والجزاء الحسي المعنوي(١).

فالعلم بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتوحيده جل في علاه، هي دعوة الرسل جميعًا، قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٣] فشريعة الأنبياء واحدة ثابتة لا تتغير، كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»(٢)، أي: أن أصل دعوتهم واحدة، وهي: دعوتهم إلىٰ توحيد الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وتعظيمه، وأما شرائعهم فمتعددة ومختلفة(٣).

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية (٤/ ١٤٨٩)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للدكتور/ عبد الرزاق البدر (ص١١).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (ح٣٤٤٣، ٤/ ١٦٧)، وصحيح مسلم (ح٢٣٦٥، ٤/ ١٨٣٧).

(٣) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٩/ ٥٦٨)، وطريق الهجرتين لابن القيم (ص: ١٧٨).

هذه المعرفة هي التي تورث في القلب التعظيم والإجلال، أخرج البخاري وغيره من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن حبرًا من أحبار اليهود جاء إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلائق علىٰ إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ بدت نواجذه تصديقًا لقول الخبر، ثم قرأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ..﴾ الآية [الزمر: ٦٧](١).

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله سبحانه بعث الرسل، وأنزل الكتب بأن يكون هو المعبود وحده لا شريك له، وإنما يُعبدُ بما أَمَر به علىٰ ألسُن رسله.

وأصل عبادته: معرفته بما وصف به نفسَه في كتابه، وما وصفه به رسُلُه.

ولهذا كان مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسَه، وما وصفه به رسُله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، والذي ينكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صِفته، ولا عبدوه حق عبادته.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد ذكر عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابه(٢)؛ ليثبت عظمته في نفسه، وما يستحقه من الصفات، وليثبت

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري (ح٤٨١٢، ٦/ ١٢٦)، صحيح مسلم (ح٢٧٨٧، ٤/ ٢١٤٨).

(٢) تقدم ذكر هذه الآيات الثلاثة من سورة الأنعام، والحج، والزمر.

وحدانيته، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، وليثبت ما أنزله علىٰ رسله، وَلِيُثْبِتَ مَا أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رسله....

وفي المواضع الثلاثة ذمَّ الذين ما قدروه حق قدره من الكفار، فدلَّ ذلك علىٰ أنه يجب علىٰ المؤمن أن يَقْدُر الله حق قدره، كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته، وأن يُجاهد فيه حق جهاده، قال تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، والمصدر هنا مضاف إلىٰ المفعول، والفاعل مرادٌ أي: حق جهاده الذي أمركم به، وحق تقاته التي أمركم بها، واقدروه قدره الذي بينه لكم، وأمركم به، فصدِّقوا الرسول فيما أخبر، وأطيعوه فيما أوجب وأمر.

المطلب الثالث: أسماء الله الحسنى وصفاته العلى دالة على منزلة تعظيمه سبحانه:

أسماء الله تعالىٰ كلها حسن وبهاء وجمال، وصفاته كلها فضل وجلال وكمال، وهذه الأسماء والصفات أكثر شيء ذكر في القرآن الكريم وأعظمه وأفضله(١)، فكل اسم سمىٰ الله تعالىٰ به نفسه، أو سماه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو وصف الله بها عَزَّوَجَلَّ به نفسه، أو رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دال علىٰ كماله وعظمته وجلاله(٢).

والأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ تبين منزلة تعظيم الله تعالىٰ من عدة جهات:

---

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للدكتور/ عبد الرزاق البدر (ص:٩).

(٢) ينظر: كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين، للشيخ / عبدالرحمن بن حسن التميمي (ص:٢٦٢).

الجهة الأولىٰ: كثرتها، وكثرة ورودها في القرآن الكريم، فقلما تختم آية إلا باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته، يقول الفيروز آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن كثرة الأسماء تدل علىٰ شرف المسمىٰ، أو كماله في أمر من المور، أما ترىٰ أن كثرة أسماء الأسد دلَّت علىٰ كمال قوته، وكثرةَ أسماء القيامة دلت علىٰ كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلت علىٰ شدة نكايتها، وكثرة كثرة أسماء الله تعالىٰ دلَّت علىٰ كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دلَّت علىٰ علو رتبته، وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلَّت علىٰ شرفه وفضيلته..»[1].

الجهة الثانية: دلالتها علىٰ أعظم المعاني، وأجل الأوصاف، كما سيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله.

الجهة الثالثة: محبة الله تعالىٰ ذكره ودعاؤه بها، وتنزيهها وتقديسها، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

الجهة الرابعة: التغليظ الشديد والعذاب الأكيد لمن لم يعظم هذه الأسماء والصفات، كما قال تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وطريق تعظيم الله تعالىٰ من خلال أسمائه وصفاته: أن يكون بالإيمان بها، والتسليم لها، والعمل بمقتضاها، دون تحريف أو تشبيه أو تمثيل أو تأويل.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروز آبادي (١/ ٨٨).

فمَن أوَّل أو نفىٰ أو حرف أو شبَّه هذه الأسماء والصفات، فقد انتقص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولم يعظمه حق تعظيمه، يقول شيخ الإسلام: «فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب(١) لم يثبتوا في الحقيقة إلـهًا محمودًا، بل ولا موجودًا»(٢).

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سمىٰ نفسه العظيم، «فهو عظيم في كل شيء، عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته، عظيم في رحمته، عظيم في قدرته، عظيم في حكمته، عظيم في جبروته وكبريائه، عظيم في هبته وعطائه، عظيم في لطفه وخبرته، عظيم في بره وإحسانه، عظيم في عزته وعدله وحمده، فهو العظيم المطلق، فلا أحد يساويه، ولا عظيم يدانيه»(٣)، خضع كل شيء لأمره، ودان كل مخلوق لحكمه، فالكل تحت سلطانه وقهره، وملكه وجبروته، يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فهذه الآية أعظم آية في القرآن الكريم، والتي تسمىٰ (آية الكرسي)(٤) ختمت باسم الله تعالىٰ: العظيم.

---

(١) أي: بالسلب والنفي، يقول شارح التدمرية: «والمراد أن هؤلاء المعطلة الغلاة لا يصفون الله تعالىٰ بصفات ثبوتية كالسمع والبصر والعلو ونحوها من الصفات الكمالية، الدالة علىٰ مطالب عظيمة، ومعارف دالة علىٰ عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل هؤلاء المعطلة الغلاة يصفون الله تعالىٰ بأمور عدمية..».

شرح الرسالة التدمرية، للشيخ / محمد بن عبدالرحمن الخميس (ص٢١٣).

(٢) التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥٩).

(٣) وما قدروا الله حق قدره، لعبد العزيز الجليل (ص٣٧).

(٤) كما صح بذلك عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ =

ومن فوائد هذه الآية ولطائفها: أن الله تعالىٰ ذكر فيها خمسة من أسمائه الحسنىٰ، الدالة علىٰ عظمته جل في علاه، وهي:

الله: هو المألوه المعبود، أي: ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الكمال والجلال والبهاء، وهذا الاسم هو الجامع لجميع الأسماء السنىٰ، ومعاني الألوهية، وصفات الكمال[1].

الحي: وهو الاسم الذي يشير إلىٰ حياة الله تعالىٰ الكاملة العظيمة، فهو سبحانه كامل الحياة، وهذا يتضمن جميع الصفات الذاتية لله تعالىٰ؛ كالعلم، والعزة، والقدرة، والإرادة، والعظمة، والكبرياء.. وغيرها من صفات الذات المقدسة[2].

القيوم: وهو الذي يستغني عن جميع خلقه، ويقوم بنفسه، أي: كامل القيومية، وهو الاسم الجامع لصفات الأفعال؛ لأنه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنىٰ عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها[3].

العلي: وهو الاسم الدال علىٰ ثبوت جميع معاني العلو له سبحانه من كل وجه:

= اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ قال: فضرب في صدري، وقال: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». صحيح مسلم (ح٨١٠، ١/ ٥٥٦).

(١) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للشيخ السعدي (ص:١٦٥).

(٢) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص:١٩١).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص:٩٥٣)، وتفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص١٩١).

علو الذات: فهو سبحانه مستو علىٰ عرشه، بائن بن خلقه، وهو مع هذا عالم بأحوالهم، مطلع علىٰ ظواهرهم وسرائرهم، مدبر لأمورهم.

وعلو القدر: أي علو صفاته وعظمتها، فلا يماثله أحد، ولا يشابهه مخلوق، بل لا يحيط أحد ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، فكيف بصفاته كلها ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وعلو القهر والغلبة: فهو القاهر الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، نواصيهم بيده، فعال لما يريد، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا يمانعه فيه ممانع، ولا ينازعه أحد، كامل القدرة، نافذ المشيئة، الخلق كلهم مفتقر إليه، سبحانه عَزَّوَجَلَّ[١].

وختمت الآية الكريمة العظيمة باسمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: العظيم؛ للدلالة علىٰ جمع الله تعالىٰ لجميع صفات الكبرياء والعظمة والجلال والبهاء سبحانه.

فالعظيم هو الجامع لكل صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح.

والعظيم أي: ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه، يقال: عظيم بني فلان، أي: من له العظمة والرئاسة منهم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١][٢].

وهذا الاسم الجليل: (العظيم) جامع لصفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء، فهو الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، وتأنس به النفوس.

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص:٩٥٤)، وتفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص:١٩١).

(٢) ينظر: اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ، لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي (ص:١١١).

ويعرف العلماء: أن عظمة كل شيء وإن جلّت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم «والله تعالىٰ عظيم له كل وصف ومعنىٰ يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له، ولا يحصىٰ ثناء عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه وفوق ما يتثنىٰ له عباده»[(١)].

وقد ورد اسم الله تعالىٰ (العظيم) في القرآن الكريم في تسعة مواضع للدلالة علىٰ أهمية هذا الاسم، القائم علىٰ التبجيل والكبرياء والتوقير والإجلال، ففي قوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] بيان لعظم فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه، فيختص من يشاء بنبوته ورسالته، ويتفضل بالإيمان علىٰ من أحب من خلقه، رحمة منه بعباده، ليصير من يشاء منهم بفضله ورحمته وعظمته إلىٰ رضاه ورحمته، وفوزه بالجنة[(٢)].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته المشهورة:

وهو العظيم بكل معنىٰ يوجب التعظيم لا يحصيه من إنسان[(٣)]

ولعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عجز الخلق عن الثناء عليه كما ينبغي له، فهو سبحانه لا يحصىٰ ثناء عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده[(٤)].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للسعدي (ص:٢١٧).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢/ ٤٧١).

(٣) الكافية الشافية (ص:٢٠٣).

(٤) ينظر: ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها، لعبد العزيز الجليل (ص:٢٠٢).

ومعرفة هذا الاسم يورث في القلب: الخشية منه سبحانه، والخضوع والخشوع له عَزَّوَجَلَّ، والتذلل لعظمته وجبروته، وإفراده بالعبادة، ونفي الشركاء عنه(١).

فأسماء الله تعالىٰ كلها دالة علىٰ عظمته، فقد سمىٰ نفسه سبحانه بـ:

◉ الجبار: وهو العظيم الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، ويقهر عباده علىٰ ما يريد(٢)، يقول الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

قال محمد بن كعب القرظي: إنما سمي الجبار لأنه جبر الخلق علىٰ ما أراد، والخلق أدق شأنا من أن يعصوا ربهم طرفة عين إلا بما أراد(٣).

يقول ابن القيم في نونيته:

وكذلك الجبار من أوصافه ... والجبر في أوصافه قسمان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ... ذا كسرة فالجبر منه دان
والثان جبر القهر بالعز الذي ... لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مسمىٰ ثالث وهو العلو ... فليس يدنو منه من إنسان
من قولهم جبارة للنخلة الـ ... عليا التي فاقت لكل بنان

---

(١) سيسلط المبحث القادم الضوء علىٰ ثمرات تعظيم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بشيء من التفصيل إن شاء الله.

(٢) أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا، من مؤلفات ابن القيم، لعماد زكي البارودي (ص:١٣٩).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٢٨٨)، والواحدي في التفسير البسيط (٢١/ ٣٩٨).

وكل هذه المعاني دالة علىٰ عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجلاله.

◉ الملك: وهو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، ويحتاج إليه كل موجود، فهو صاحب الـمُلك، المتصرف فيما يملك تصرفًا مطلقًا من جميع الوجوه كما يشاء ويقدر ويختار، وفي هذا الاسم صفة العظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير(١).

◉ المالك: وهو اسم الفاعل من (ملك) فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مالك الأشياء كلها ومصرفها علىٰ إرادته سبحانه جل في علاه، لا يمتنع عليه منها شيء، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ علىٰ قراءة الألف، أي: يملك يوم الدين، أو يملك ما في يوم الدين(٢)، أي: يملك كل شيء في ذلك اليوم، وتخصيصه بذلك اليوم؛ لأنه اليوم الذي لا يجاريه فيه أحد، ولا ينازعه في ملك أحد(٣)، كما قال تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

(١) ينظر: المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ، لأبي حامد الغزالي (ص:٦٦)، وتفسير أسماء الله الحسنىٰ للشيخ السعدي (ص:٢٣٤).

(٢) ينظر: اشتقاق أسماء الله (ص٤٤). قرأ الجمهور من القراء العشرة (ملك) بحذف الألف، وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بإثبات الألف بعد الميم. يقول ابن خالويه في توجيه هاتين القراءتين: «فالحجة لمن أثبتها أن الملك داخل تحت المالك، والدليل له قوله تعالىٰ: [illegible]، والحجة لمن طرحها: أن الملك أخص من المالك وأمدح؛ لأنه قد يكون المالك غير ملك، ولا يكون الملك إلا مالكًا». الحجة في القراءات السبع (ص٦٢).

(٣)فائدة: إن قال قائل: كيف قال الله تعالىٰ: [illegible] ويوم الدين لم يوجد به؟ فكيف يصف الله تعالىٰ نفسه بملك ما لم يوجد بعد؟ فيجاب: بأن ذلك جائز في كلام العرب؛ لأن اسم الفاعل قد يضاف إلىٰ ما بعده وهو بمعنىٰ الفعل المستقبل، كقول القائل: هذا ضارب زيدًا غدًا، أي: سيضربه، وقول الآخر: هذا حاج بيت الله تعالىٰ العام المقبل، أي: سيحج.. ونحو ذلك.

◉ المتكبر: اسم فاعل من تكبر، فهو متكبر من الكبرياء والعظمة(١)، يقول الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، فهو المتكبر عن السوء والنقص والعيوب لعظمته وكبريائه(٢)، وهو ذو الكبرياء المتعالي عن صفات خلقه، المتكبر علىٰ عتاهم، المتكبر عن ظلم عباده(٣).

◉ الكبير: هو العظيم الجليل، يقال: فلان كبير بني فلان، أي: رئيسهم وعظيمهم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧] أي: عظماءنا ورؤوساءنا(٤)، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سمىٰ نفسه بـ (الكبير)، أي: عظيم الشأن، جليل القدر، وقد ورد هذا الاسم العظيم في خمسة مواضع من القرآن الكريم، كما قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

◉ العزيز: وهو الغالب القوي، الذي ذل لعزته كل عزيز(٥)، وأصلها مشتقٌّ من العز: وهو القوة والشدة والغلبة(٦)، ومنه: العزة والعز، أي: الرفعة

(١) ينظر: اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي (ص:٢٤١).

(٢) ينظر: وتفسير أسماء الله الحسنىٰ، للشيخ السعدي (ص:٢٣٥).

(٣) وما قدره الله حق قدره للجليل (ص:٥٨).

(٤) ينظر: اشتقاق أسماء الله (ص:١٥٥).

(٥) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنىٰ للزجاج (ص:٣٤).

(٦) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٨) مادة (ع ز ز).

والامتناع، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] أي: وله العزة والشدة والقوة والغلبة[(١)]، فهو سبحانه له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته [(٢)].

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في أكثر من تسعين مرة مفردًا ومقترنًا وهو الأكثر، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص:٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[(٣)].. وغيرها.

- القوي: أي ذو القوة والقدرة المطلقة، أي: كامل القدرة علىٰ الشيء، وهذه القوة المطلقة دالة علىٰ عظمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فهو القوي المطلق، لا يستطع أحد مجاراته أو منازعته[(٤)]، وهو «الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال»[(٥)].

وقد ورد اسم الله (القوي) في القرآن الكريم في تسع مواضع، جاء في سبعة مواضع منها مقترنًا باسم الله تعالىٰ: العزيز، وفي موضعين مقترنًا بشديد العقاب، وورد بلفظ: ذو القوة، مقترنًا باسم الله: المتين.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٤٠٢)، ولله الأسماء الحسنىٰ للجليل (ص:٣٤٧).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص:٢١٤).

(٣) وردت هذه الآية الكريمة في ثلاث سورة: الأنعام ٩٦، ويس ٣٨، وفصلت ١٢.

(٤) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنىٰ للزجاج (ص:٥٤).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (ص:٧٧)، وينظر: تفسير أسماء الله الحسنىٰ للزجاج (ص:٥٣).

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورىٰ: ١٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠ و ٧٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢٢].. وغيرها.

والقوي كما قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي لا يغلبه ذو أيد لشدته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته»[(١)].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته المشهورة:

وهـو القوي بقوة هي وصفه ومليك يقدر يا أخا السلطان[(٢)]

ويقول كذلك:

وهو القوي له القوىٰ جمعا تعا لىٰ الله ذو الأكوان والأزمان[(٣)]

◉ المتين: هو الشديد القوي، الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب[(٤)]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

يقول الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل علىٰ شدة القوة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من حيث إنه بالغ القدرة، تامها، قوي، ومن حيث

(١) جامع البيان للطبري (٢١/ ٥٢١).

(٢) الكافية الشافية (ص:١٧٣).

(٣) المصدر السابق (ص٢٠٥). وقد ورد بلفظ: ذو الأكوان والأزمان.

(٤) ينظر: شأن الدعاء للخطابي (ص٧٧، ٧٨)، ولله الأسماء الحسنىٰ للجليل (ص:٣٤٦، ٣٤٧).

إنه شديد القوة متين، وذلك يجع إلىٰ معاني القدرة»[1].

◉ القدير والقادر والمقتدر: وهذه الأسماء الحسنىٰ كلها مشتقة من القدرة، والقدرة مصدر قدر علىٰ الشيء قدرةً، أي: ملكه، فهو قادر وقدير، وهذه المادة تدل علىٰ مبلغ الشيء وكنهه ونهايته[2].

فالقادر، والقدير، والمقتدر أصل اشتقاقها واحد، إلا أن القادر اسم فاعل من قدر يقدر، والقدير فعيل منه، هو للمبالغة، والمقتدر مفتعل من اقتدر، وهو أبلغ[3].

وهذا الاسم باشتقاقاته الثلاثة ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة من كتابه، منها: ٤٥ مرة باسم: (القدير)، و ١٣ مرة باسم: (القادر) بالإفراد والجمع، وأربع مرات باسم: (المقتدر) إفرادًا وجمعًا.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النساء: ١٤٩]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٥]، وقال سبحانه: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥٢].. وغيرها.

والقدرة قد يوصف بها الإنسان، لكن لا يوصف بها علىٰ إطلاقها، بل

---

(١) المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ، لأبي حامد الغزالي (ص:١٢٩).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٣٧ وما بعدها)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٦٢، ٦٣).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/ ٢٢).

قدرته مقيدة؛ لأنه يعتريه العجز والنقص والضعف، يقول الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقادر منا وان استحق هذا الوصف فإن قدرته مستعارة، وهي عنده وديعة من الله تعالىٰ، ويجوز عليه العجز في حال، والقدرة في أخرىٰ»[(١)].

وأما في حق الله تعالىٰ فالقدير هو: مبالغ في القدرة، وهو الفاعل لما يشاء سبحانه، علىٰ قدر ما تقتضي الحكمة، لا زائدًا عليه، ولا ناقصًا عنه[(٢)]، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩ والأحقاف: ٣٣]، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القدير) كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[(٣)]، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها علىٰ ما يشاء ويريد»[(٤)].

والقادر في حق الله تعالىٰ هو القادر علىٰ ما يشاء، لا يعجزه شيء ولا

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص٥٩)، وينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص:٦٥٨).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٦٥٨).

(٣) وردت في القرآن الكريم في ٨ مواضع من كتابه: ابقرة: ١١٧، وآل عمران: ٤٧، ٥٩، والأنعام: ٧٣، ٤٠، ومريم: ٣٥، ويس: ٨٢، وغافر: ٦٨). وفي هذه الآيات دلالة علىٰ كمال قدرة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وعظيم ملكه، فهو خالق السماوات والأرض، المدبر لهما، بيده مقاليد الأمور كلها، يبدع ما يشاء، ويحكم بما يشاء، فعال لما يريد، فأمره سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ نافذ، وحكمه جَلَّ وَعَلَا قاطع، لا راد لقضائه وحكمه سبحانه جل في علاه.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٩٤٧).

يفوته مطلوب[١]، أو الذي لا يعترضه عجز ولا فتور[٢]، وهو أبلغ من القدير، ويقال: العكس[٣].

والمقتدر: مبالغة في الوصف بالقدرة، يقول الزجاج: «مبالغة في الوصف بالقدرة، والأصل في العربية أن زيادة اللفظ زيادة المعنىٰ، فلما قلت: اقتدر، أفاد زيادة اللفظ زيادة المعنىٰ»[٤]، ويقول الخطابي: «المقتدر هو التام القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء، ولا يحتجز عنه بمنعة وقوة، ووزنه: مفتعل، من القدر، غلا أن الاقتدار أبلغ وأعم؛ لأنه يقتضي الإطلاق..»[٥].

أقول: هذه الأسماء الأربعة السابقة (العزيز، القوي، المتين، القدير) معانيها متقاربة، كلها تؤدي إلىٰ معاني العظمة والقوة والغلبة والقهر، فهو تعالىٰ: كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة.

فالمخلوقات كلها مقصورة لله تعالىٰ، خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته وقوته، فلا يتحرك منها متحرك، ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله تعالىٰ كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول لأحد إلا به، ولا قدرة لكائن إلا به سبحانه.

ذو الجلال والإكرام: هو من الجلال والعظمة، أي: ذو العظمة والكبرياء، جليل القدر، عظيم الشأن، فهو الجليل الذي يصغر دونه جل

---

(١) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنىٰ للزجاج (ص:٥٩).

(٢) ينظر: شأن الدعاء للخطابي (ص:٨٦).

(٣) ينظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص:٤٨).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص:٥٩).

(٥) شأن الدعاء (ص:٨٦).

جليل، ويتضع معه كل رفيع[1]، «فهو لجلاله وكمال سلطانه وعظمته أهل لأن يكرم ويثنىٰ عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإكرام كل أحد بحسبه، فإكرام الله عَزَّوَجَلَّ أن تقدره حق قدره، وأن تعظمه حق تعظيمه، لا لاحتياجه إلىٰ إكرامك، ولكن ليمن عليك بالجزاء»[2].

فهذه الأسماء الحسنىٰ وغيرها[3]، وما تحتويها من صفات لا شك أنها تؤدي بالعبد إن فقهها وعمل بمقتضاها أن يعظم الله جل في علاه، وتخضع لها جوارحه؛ لأن الله تعالىٰ لم يورد هذه الأسماء كلها عبثًا، بل دعا إلىٰ تأملها، والدعاء بها، والعمل بمضمونها ومقتضاها، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، لذا أرشد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلىٰ ذلك، كما في الحديث: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[4]، والإحصاء يحتمل عدة معان:

---

(١) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٦٨)، وأسماء الله الحسنىٰ لابن القيم (ص:١٩٨).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين (١/ ٢٨٥).

(٣) أسماء الله تعالىٰ كلها دالة علىٰ تعظيمه وإجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولم أقصد هنا في هذا المقام استيفاء هذه الأسماء وبيانها، وإنما قصدت الإشارة إلىٰ بعضها، ووجه بيان عظمة الله تعالىٰ من خلالها، وبيان أن القرآن الكريم لم يذكر هذه الأسماء إلا لبيان عظمته سبحانه، فكل شيء كثر أسماؤه دل علىٰ عظمته، فكيف إذا كانت الأسماء لله تعالىٰ، وهي لا تعد ولا تحصىٰ، وكلها تفيد العظمة والقدرة والسلطان والجلالة؟؟

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: صحيح البخاري (ح٧٣٩٢، ٩/ ١١٨)، صحيح مسلم (ح٢٦٧٧، ٤/ ٢٦٧٧)، وأخرجه ابن منده وبوب له بقوله: ذكر معرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الحسنة التي تسمىٰ بها، وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء (٢/ ١٤).

تنبيه: ورد في بعض روايات الحديث في السنن، ومسند الإمام أحمد، ومستدرك الحاكم، وصحيح ابن حبان.. وغيرها سرد لهذه الأسماء، وهذه الروايات لا تخلو من مقال، لذلك = = كثرت أقوال العلماء واختلفت آراؤهم في تعداد هذه الأسماء وبيانها وتقصيها، يقول الحافظ

المعنىٰ الأول: العد والحصر، أي: يعدها ليستوفيها حقها.

المعنىٰ الثاني: الطاقة، أي: أن من أطاقها بحسن المراعاة لها، وحافظ علىٰ حدودها في معاملة الله تعالىٰ دخل الجنة.

المعنىٰ الثالث: العقل والمعرفة، بمعنىٰ: أن من عرفها، وعقل معناها،

ابن كثير: «والذي عوَّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه».

ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٥)، والتعليق علىٰ القواعد المثلىٰ، للشيخ / عبد الرحمن البراك (ص٣٩).

والمهم في هذا المقام التنبيه علىٰ أن تخصيص أسماء الله تعالىٰ بالتسعة والتسعين، وحصرها بهذه الأسماء المذكورة لا يعني بأن الله تعالىٰ ليس له إلا هذه الأسماء، فأسماء الله تعالىٰ ليست محصورة بعدد، وأما تخصيص هذه الأسماء دون غيرها لأنها أشهر أسمائه عَزَّوَجَلَّ وأظهرها، أو أن هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد من أحصاها دخل الجنة. ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج ابن الجوزي (٣/ ٤٣٤)،

أقول: ومما يدل علىٰ هذا: وصية النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا».

الحديث أخرجه أحمد في مسنده (ح٤٣١٩، ٤/ ٢١٥)، وابن حبان في صحيحه (ح٩٧٢، ٣/ ٢٥٣)، والطبراني في الكبير (ح١٠٣٥٢، ١٠/ ١٦٩)، والحاكم في المستدرك (ح١٨٧٧، ١/ ٦٩٠).

وصحح إسناده الحاكم حيث قال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه عن أبيه، وشعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

وهذا الحديث يدل علىٰ أن لله تعالىٰ أسماءً لم يُنزلها في كتابه، حجبها عن خلقه، ولم يظهرها لهم. قاله الخطابي وغيره. ينظر: كشف المشكل لابن الجوزي (٣/ ٤٣٥)، ورياض الأفهام للفاكهاني (٣/ ٣٧٨).

وآمن بها دخل الجنة.

المعنىٰ الرابع: استيفاء هذه الأسماء من خلال قراءة القرآن الكريم كاملًا[1].

فهذه الأسماء الحسنىٰ وغيرها هي السبيل لمعرفة الله تعالىٰ حقيقة المعرفة، فالإقرار بها، واستحضار معانيها، والعمل بمقتضاها تحقق تعظيم الله تعالىٰ في القلب «فمثلًا أسماء العظمة، والكبرياء، والمجد، والجلال، والهيبة تملأ القلوب تعظيما لله وإجلالا له.

وأسماء الجمال، والبر، والإحسان، والرحمة، والجود تملأ القلب محبة لله وشوقا له وحمدا وشكرا.

وأسماء العز، والحكمة، والعلم، والقدرة تملأ القلب خضوعا لله وخشوعا وانكسارا بين يديه.

وأسماء العلم، والخبرة، والإحاطة، والمراقبة، والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات، وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية، والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنىٰ، واللطف تملأ القلب افتقارا واضطرارا إليه، والتفاتا إليه كل وقت، في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل

(١) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٧)، وكشف المشكل لابن الجوزي (٣/ ٤٣٥، ٤٣٦)، والميسر في شرح مصابيح السنة لأبي عبد الله التوربشتي (٢/ ٥٢٦).

منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد وروحه»[١].

فهذه أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ، التي من فقهها وعمل بمضمونها عظم المولىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حق تعظيمه، وهي دالة علىٰ الصفات العلية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ «لأن كل اسم من أسماء الله فهو متضمن لصفة ولا عكس؛ يعني: ليس كل صفة يؤخذ منها اسم؛ لكن كل اسم يؤخذ منه صفة؛ لأن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أعلام، وأوصاف؛ فكل اسم من أسمائه متضمن للصفة التي دل عليها اشتقاقه، أو لوازمها»[٢].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أسماء الرب تعالىٰ هي أسماء ونعوت فإنها دالة علىٰ صفات كماله فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية فالرحمن اسمه تعالىٰ ووصفه لا تنافي اسميته وصفيته فمن حيث هو صفة جرىٰ تابعا علىٰ اسم الله ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم ولما كان هذا الاسم مختصا به تعالىٰ حسن مجيئه مفردا غير تابع كمجيء اسم الله كذلك وهذا لا ينافي دلالته علىٰ صفة الرحمن كاسم الله تعالىٰ فإنه دال علىٰ صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعا لغيره بل متبوعا وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن الرحمن اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر»[٣].

فأهل السنة والجماعة كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «يثبتون الصفات

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص١٨٠، ١٨١).

(٢) تفسير الشيخ ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٣٠٧).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٤).

وحقائق الأسماء، فالأسماء عندهم حقائق، وهي متضمنة للصفات»[1]، فالعزيز متضمن لصفة العزة، والرحيم متضمن لصفة الرحمة، والقدير متضمن لصفة القدرة.. وهكذا[2]، وعليه فإن «نفي معاني أسمائه الحسنىٰ من أعظم الإلحاد فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ ولأنها لو لم تدل علىٰ معان وأوصاف لم يجز أن يُخبَرَ عنها بمصادرها ويوصف بها، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها، وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] فعلم أن القوي من أسمائه، ومعناه: الموصوف بالقوة، وكذلك قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠] فالعزيز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة له لم يُسمَّ قويًا ولا عزيزًا.. وأيضًا لو لم تكن أسماؤه مشتملة علىٰ معانٍ وصفاتٍ لم يسُغْ أن يُخبِر عنه بأفعالها، فلا يقال: يسمع ويرىٰ، ويعلم، ويقدر، ويريد، فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها، فإذا انتهىٰ أصل الصفة استحال ثبوت حكمها.

وأيضًا فلو لم تكن أسماؤه ذوات معانٍ وأوصافٍ لكانت جامدة كالأعلام المحضة، التي لم توضع لمسماها باعتبار معنىٰ قام به، فكانت كلها سواء، ولم يكن فرق بين مدلولاتها..»[3].

فإذا تقرر ذلك عُلم أن صفات الله عَزَّوَجَلَّ كلها دالة علىٰ عظمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، كصفة العلو، والاستواء، والعلم، والقدرة.. وغيرها.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، اختصره: لابن الموصلي (ص٣٦٠).

(٢) ينظر: الصفات الإلهية: تعريفها، أقسامها، لمحمد بن خليفة التميمي (ص١٧).

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (١/ ٥٢، ٥٣).

◉ فصفة العلو: تدل على العلو المطلق لله تعالى من كل الوجوه، وبكل معانيه، علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، وله الفوقية المطلقة بكل معانيها: ذاتًا، وقدرًا، وقهرًا، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، وهو دال على عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن من لوازم اسم العلي: العلو المطلق بكل اعتبار، فله العلو المطلق من جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه العلي»(١).

والأدلة من الكتاب والسنة على علو الله تعالى كثيرة جدًا، بل إن «كتاب الله تعالى من أوله إلى آخره، وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء..»(٢)، وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثمانية عشر نوعًا من الأدلة الدالة على فوقية الله عَزَّ وَجَلَّ وعلوه(٣) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

◉ صفة الاستواء: وهي من الصفات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة، وهي «تدل على عظمة الله تعالى، وعلوه على عباده، وأنه القاهر فوقهم، وأنه سبحانه بذاته وأسمائه وصفاته له العلو المطلق من جميع الوجوه»(٤).

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٥٥).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٠١).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢١٥ وما بعدها).

(٤) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، للدكتور / عبد الرزاق البدر (ص١٤١).

وهو استواءٌ يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، روي عن عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «نعرف ربنا فوق سبع سموات، علىٰ العرش استوىٰ، بائنًا من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا» وأشار إلىٰ الأرض(١).

بل إن إجماع السلف قد انعقد علىٰ الإيمان باستواء الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ عرشه، يقول الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالىٰ فوق عرشه فوق سماواته»(٢)، وقال ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه، بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه، وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين، وجميع أهل العلم من المؤمنين: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ عرشه، فوق سماواته، بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه، لا يأبىٰ ذلك وينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية، وهم قومٌ زاغت قلوبهم، واستهوتهم الشياطين، فمرقوا من الدين.. وقد أكذبهم القرآن والسنة، وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المسلمين..»(٣).

◉ صفة العلم: تحدث القرآن الكريم كثيرًا في آياته عن سعة علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأنه يعلم ما في الصدور، ويعلم ما في الأرحام، وأنه سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم ما سبق وما سيكون وما هو كائن، يعلم السر وأخفىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (ص٢١٦)، والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص١٨٦).

(٢) نقض أبي سعيد الدارمي علىٰ المريسي الجهمي (١/ ٣٤٠).

(٣) الإبانة الكبرىٰ (٧/ ١٣٦).

﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ..﴾ [النمل: ٦٥]، وهذا أسلوب حصر يفيد سعة علمه تعالىٰ، أي: لا أحد يعلم الغيب، فعلم الغيب محصور فيه سبحانه جل في علاه، إلا ما يشاء أن يطلع من شاء من عباده.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩] بيان لعظيم علم الله تعالىٰ، «فهذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلًا لعلمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث، وعلمه الكامل بالغيوب كلها التي يطلع علىٰ ما شاء منها من شاء من خلقه، وكثير منها طوىٰ علمه عن الملائكة والمرسلين، فضلًا عن غيرهم من العالمين.

وأنه يعلم ما في البراري والقفار من الحيوانات والأشجار، والرمال والحصىٰ والتراب، وما في البحار من حيوانات ومعادنها وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها ويشتمل عليه ماؤها، كل ذلك عنده في كتاب مبين، أي في اللوح المحفوظ، وهذا دليل علىٰ عظمته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ولو أن الخلق اجتمعوا كلهم علىٰ أن يحيطوا ببعض صفاته لم يكن لهم قدرة ولا طاقة علىٰ ذلك»[(١)].

---

(١) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس (ص٤١، ٤٢).

فالنصوص الواردة في بيان سعة علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإثبات صفة العلم له سبحانه في القرآن والسنة كثيرة، والإيمان بها وغيرها من الصفات العظيمة، كصفة المعية، والقدرة، والجبروت، والسمع، والبصر.. ونحوها، تورث في القلب الخوف والوجل منه سبحانه، وتعظمه في القلب؛ لأنه المطلع علىٰ كل شيء، العالم بما في الصدور، لا تخفىٰ عليه خافية، يعلم السر وأخفىٰ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، بل يعلم دقات القلوب، وعدد قطرات المطر، وأوراق الشجر، وحبات الرمل، بل يعلم دبيب النملة السوداء، علىٰ الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء.

- صفة القدرة: وهي صفة ذاتية ثابتة لله تعالىٰ، فالله عَزَّوَجَلَّ - كما تقدم بيانه - سمىٰ نفسه بالقادر، والقدير، والمقتدر، وهي أسماء دالة علىٰ عظيم قدرته سبحانه جل في علاه، فقدرته تعالىٰ عظيمة مطلقة لا يحدها حد، ولا يعتريها نقص أو عجز، فالله تعالىٰ علىٰ كل شيء قدير، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، ويقول سبحانه: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠][1].

وقد بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن أمره نافذ، وحكمه قاطع، فإذا قال للشيء كن، فسيكون، قال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ

(١) فائدة: الآيات التي ختمت ببيان قدرة الله تعالىٰ وأنه عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وردت في القرآن الكريم في أكثر من ٣٤ موضعًا، ولا شك أن هذا الورود الكثير في القرآن دلالة علىٰ أهمية بيان قدرة الله تعالىٰ، الدالة علىٰ عظمته سبحانه جل في علاه.

﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة][1]، والله تعالىٰ قدرته مطلقة في فعل ما يريد وقتما يريد كيفما يريد ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٧، ٢٨]، فهذه الآية الكريمة جمعت بين سعة علم الله تعالىٰ، وبيان عظم قدرته سبحانه جل في علاه «بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، وتنبهر له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسيح في معرفته أولو الألباب والبصائر»[2]، فالأولىٰ أخبر الله تعالىٰ عنها بكثرة كلماته، وهذا كناية عن سعة علمه؛ لأن شجر الأرض كلها لو صُيرت أقلامًا، والبحار علىٰ امتدادها كانت مدادًا، وكتبت بتلك الأقلام كلمات الله تعالىٰ، لنفدت الأشجار والبحار، ولم تنفد كلمات الله جل وعز، لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير كذلك[3].

---

(١) فائدة: تكرر معنىٰ هذه الآية في أكثر من سبعة مواضع من القرآن الكريم، تقدم ذكرها سابقًا.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٦٥٠).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي المالكي (٢/ ١٣٩).

تنبيه: ذكر الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (ص٦٥٠) كلامًا مهمًا حول هذا المثل الذي ضربه الله تعالىٰ، ولأهمية كلامه وجماله أنقله بتمامه: «وهذا ليس مبالغة لا حقيقة له، بل لما علم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن العقول تتقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته، وعلم تعالىٰ أن معرفته لعباده، أفضل نعمة، أنعم بها عليهم، وأجل منقبة حصلوها، وهي لا تمكن علىٰ وجهها، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله، فنبههم تعالىٰ تنبيها تستنير به قلوبهم، وتنشرح له صدورهم، ويستدلون بما وصلوا إليه إلىٰ ما لم يصلوا إليه، ويقولون كما قال أفضلهم وأعلمهم بربه: «لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك» وإلا فالأمر أجل من ذلك وأعظم، وهذا التمثيل من باب تقريب المعنىٰ، الذي لا يطاق الوصول إليه إلىٰ الأفهام والأذهان، وإلا فالأشجار، =

يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد، بالنسبة إلىٰ قدرته إلا كنسبة خلق نفس واحدة، الجميع هين عليه، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، أي: لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة، فيكون ذلك الشيء، لا يحتاج إلىٰ تكرره وتوكيده.. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ أي: كما هو سميع لأقوالهم، بصيرٌ بأفعالهم، كسمعه وبصره بالنسبة إلىٰ نفْس واحدة، كذلك قدرته عليهم كقدرته علىٰ نفس واحدة»(١).

وغيرها من الصفات الدالة علىٰ عظمته جَلَّجَلَالُهُ، وهي صفات ذكرها الله تعالىٰ في كتابه، وذكرها رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في سنته؛ ليتأملها المتأملون، ويتدبرها المتدبرون، فيعرفوها حق المعرفة، ويؤمنوا بها حقيقة الإيمان، فإذا فعلوا ذلك عظموه حق تعظيمه، ووقروه حق توقيره، وقدروه حق قدره، فوقر

= وإن تضاعفت علىٰ ما ذكر، أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفادها وانقضاؤها، لكونها مخلوقة.

وأما كلام الله تعالىٰ، فلا يتصور نفاده، بل دلنا الدليل الشرعي والعقلي، علىٰ أنه لا نفاد له ولا منتهىٰ، وكل شيء ينتهي إلا الباري وصفاته ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾. وإذا تصور العقل حقيقة أوليته تعالىٰ وآخريته، وأنه كل ما فرضه الذهن من الأزمان السابقة، مهما تسلسل الفرض والتقدير، فهو تعالىٰ قبل ذلك إلىٰ غير نهاية، وأنه مهما فرضه الذهن والعقل من الأزمان المتأخرة، وتسلسل الفرض والتقدير، وساعد علىٰ ذلك من ساعد بقلبه ولسانه، فالله تعالىٰ بعد ذلك إلىٰ غير غاية ولا نهاية.

والله في جميع الأوقات يحكم، ويتكلم، ويقول، ويفعل كيف أراد، وإذا أراد لا مانع له من شيء من أقواله وأفعاله، فإذا تصور العقل ذلك، عرف أن المثل الذي ضربه الله لكلامه، ليدرك العباد شيئا منه، وإلا فالأمر أعظم وأجل» انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١٢).

الإيمان في قلوبهم، وخلصت عبوديتهم له سبحانه، حتىٰ وصلوا إلىٰ درجة اليقين، فالعبد كلما عرف الله تعالىٰ كلما ازداد يقينًا وعبودية له سبحانه(١).

فعلىٰ قدر معرفة العبد بربه يكون تعظيمه في قلبه، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ منزلة التعظيم.

هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الربّ تعالىٰ في القلب، وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا..»(٢).

فمعرفة الله تعالىٰ هي التي تقوي في القلب تعظيمه ومحبته وإجلاله، وخشيته، وخوفه، ورجائه، وإخلاص العمل له، وكلما قويت هذه المعرفة في العبد، كلما عظم إقباله علىٰ الله، واستسلامه لشرعه، ولزومه لأمره، وبعده عن نواهيه(٣).

وهذه المعرفة هي أشرف ما يسعىٰ إليه العبد، وهي الغاية التي يطلبها، ويتنافس المتنافسون من أجلها، وبها يتحقق للعبد الهناء والسعادة وطيب الحياة، فلا حياة ترجىٰ، ولا سعادة تبتغىٰ بغير المعرفة بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، التي تؤدي إلىٰ تعظيمه وإجلاله، يقول ابن القيم: «فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ومحبته، وعبادته وحده، والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كلَّه، ولو تعرَّض عنها بما تعَوَّض مما في الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضًا

(١) ينظر: أثر الإيمان بصفات الله في سلوك العبد، لأحمد النجار (ص٧).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣، ٤٦٤).

(٣) فقه الأسماء الحسنىٰ (ص١٩).

عن هذه الحياة، فمِن كل شيء يفوت العبدَ عوضٌ، وإذا فاته الله لم يُعوِّض عنه شيء البتة..»[1].

وما أحسن ما قاله عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعَّموا أطيب ما فيها، قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عَزَّوَجَلَّ»[2].

وروي عن أحمد بن عاصم الأنطاكي أنه قال: «أحب ألا أموت حتىٰ أعرف مولاي، وليس معرفته الإقرار به، ولكن المعرفة إذا عرفته استحييت منه»[3].

والمقصود بمعرفة الله تعالىٰ هي المعرفة الخاصة[4]، التي تقتضي

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٨٤، ٨٥).

(٢) حلية الأولياء (٨/ ١٦٧).

(٣) ذكره ابن عبد البر في جامع العلوم والحكم (١/ ٤٧٣)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣٢٦).

(٤) معرفة الله تعالىٰ نوعان:

النوع الأول: المعرفة العامة، وهي: معرفة الإقرار، أي: الإقرار بالله تعالىٰ، والتصديق به سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والإيمان به عَزَّوَجَلَّ، وهذه عامة اشترك فيها الناس، برهم وفاجرهم، مطيعهم وعاصيهم.

النوع الثاني: المعرفة الخاصة، وهي المعرفة التي تقتضي ميل القلب إلىٰ الله بالكلية، والانقطاع إليه بالتمام، والأنس به سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلىٰ لقائه، وخشيته سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والإنابة إليه، والفرار من الخلق إليه.

وهذه المعرفة الخاصة لها بابان:

باب التفكر والتأمل في آيات القرآن وأحاديث المصطفىٰ العدنان.

باب التفكر في آياته المشهودة، وحكمته الباهرة فيها، وعظيم قدرته، وجميل لطفه وإحسانه وعدله.

ينظر: جامع العلوم والحكم لابن عبد البر (١/ ٤٧٣)، والفوائد لابن القيم (ص١٧٠).

تعظيمه، وإجلاله، وتوقيره، ومحبته، والخشية منه.

المطلب الرابع: محبة الله تعالى لتعظيمه، ومحبته سبحانه لمن يعظمه من عباده:

إن من أعظم ما يبين منزلة تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: محبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لتعظيم ذاته، ومحبته عَزَّوَجَلَّ لمن يعظمه ويجله ويوقره.

وتظهر هذه المحبة لمن تأمل نصوص القرآن الكريم في الجوانب التالية:

أولًا: ثناء الله تعالىٰ علىٰ نفسه:

أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ نفسه في آيات كثيرة من كتابه، وبصور متعددة، وأوجه متنوعة، ومنها:

١ / أن الله تعالىٰ افتتح كتابه بالحمد والثناء، وهذا الافتتاح ليكون الثناء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أول ما ينطقه العبد عند افتتاح تلاوة كتابه.

٢ / أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصف نفسه بصفات الكمال والجمال والجلال والبهاء، ففي أعظم آية من كتاب الله تعالىٰ، وهي آية الكرسي[1] أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ نفسه بما هو أهله، فهذه «الآية الكريمة، أعظم آيات القرآن الكريم وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة، والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها، وجعلها وردًا للإنسان في أوقاته صباحًا ومساءً، وعند نومه، وأدبار الصلوات المكتوبات.. فسبحان من له العظمة العظيمة، والكبرياء الجسيمة، والقهر والغلبة لكل شيء.

فقد اشتملت هذه الآية علىٰ توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد

---

(١) تقدم ذكره وتخريجه.

الأسماء والصفات، وعلىٰ إحاطة ملكه، وإحاطة علمه، وسعة سلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه، وعلوه علىٰ جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا »(١).

ويقول سبحانه مادحًا نفسه ومثنيًا علىٰ نفسه بما هو أهله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، فهو الأول قبل كل شيء بلا حد، وهو الآخر بعد كل شيء بغير نهاية، كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، وهو الظاهر علىٰ كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلىٰ منه، وهو الباطن فليس دونه شيء سبحانه جل في علاه(٢).

٣ / أنه عَزَّوَجَلَّ تحدث عن نفسه بالتعظيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح: ١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾(٣)، وقال: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١/ ١١٠).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أحدنا النوم كان يأمره أن يضطجع علىٰ شقه الأيمن ثم يقول: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ». صحيح مسلم (ح٢٧١٣، ٤/ ٢٠٨٤).

(٣) سورة يوسف: ٢. الإنزال بضمير الجمع ورد في خمس عشرة مرة، وبضمير المفرد في موضعين من القرآن الكريم..

[البقرة: ١٠٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[2].. وغيرها، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد، مظهرًا أو مضمرًا، وتارة بصيغة الجمع، كقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وأمثال ذلك، ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط، لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه، وربما تدل علىٰ معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل علىٰ العدد المحصور، وهو مقدس عن ذلك»[3].

٤ / أنه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وصف ذاته العلية بأنه المتفرد سبحانه بالحياة الكاملة الأبدية، فكل ما سواه زائل إلا وجهه سبحانه جل في علاه، يقول تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ففي هذه الآية «إخبار بأنه الدائم الباقي، الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت»[4]، ويقول سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فجميع أهل السموات وأهل الأرض يموتون ويفنون، فلا يبقىٰ أحد سواه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ «فإن الرب تعالىٰ وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبدًا»[5].

وقد ذيلت الآية ببيان عظمته وكبريائه سبحانه ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾،

(١) سورة البقرة: ٣٦. القول بصيغة الجمع ورد في القرآن الكريم أكثر من ٢٦ مرة.

(٢) سورة البقرة: ١١٩. الإرسال بضمير الجمع ورد في القرآن الكريم أكثر من ٧٥ مرة.

(٣) كتاب التدمرية (ص٧٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٣٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٦).

أي: «ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياءه وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذين يكرمه أولياؤه، ويجلونه، ويعظمونه، ويحبونه، وينيبون إليه، ويعبدونه»[1].

ثانيًا: الأمر بتعظيمه، والحث علىٰ توقيره وإجلاله:

إن الناظر في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ يجد أن تنزيهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتعظيمه لنفسه، وبيان مظاهر عظمته، وتعظيمه في خلقه وأمره وشرعه، وحث عباده علىٰ تعظيمه وإجلاله، يكاد أن يأتي في كل سورة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وما ذلك إلا لأثره واقتضائه لتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وتجريد العبودية له وحده، والبراءة من الشرك وأهله[2].

فالآيات في القرآن الكريم، والأحاديث في سنة المرسلين الآمرة بتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتوقيره وإجلاله كثيرة وعديدة، وهذه الكثرة تؤكد أهمية تعظيم الله تعالىٰ، وبيان عظم منزلته، ورفعة شأنه؛ لأنه عَزَّوَجَلَّ لا يأمر إلا بما هو عظيم، ولا يدعو عباده إلا لأمر مهم، ولا يحث إلا علىٰ خير.

أتىٰ رجل ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: أَعْهِد إلي، قال: (إذا سمعت الله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرعها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شرٌّ ينهىٰ عنه)[3]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٩٨٣٠).

(٢) ينظر: وما قدروا الله حق قدره، لعبد العزيز الجليل (ص١٢)

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص١٢)، وابن أبي حاتم في التفسير (٥/ ١٦٦٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٠).

﴿عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فأوامر الله تعالىٰ كلها خير وبر وإحسان، يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي؛ اشتملت علىٰ الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء»(١).

والأوامر الدالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ في القرآن أنواع:

النوع الأول: الأمر بتنزيهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

قال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤و٩٦ والحاقة ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] وغيرها من الآيات.

فالتسبيح يراد به تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من النقائص والعيوب، وهذا التنزيه يقتضي التعظيم، كما قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبحان: تنزيه الله من كل سوء، وحقيقته: تعظيم الله بوصف المبالغة، ووصفه بالبراءة من كل نقص، وكلمة (سبحان) كلمة ممتنعة لا يجوز أن يوصف بها غير الله؛ لأن المبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله..»(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (ح٤٧٩، ١/ ٣٤٨). ووجه الدلالة من الحديث علىٰ التعظيم: أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسبح الله تعالىٰ في ركوعه ويقول: (سبحان ربي العظيم) يتأول القرآن، وقد أمر النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الباب بتعظيم الله تعالىٰ في الركوع، مما يدل علىٰ أن تسبيح الله عَزَّوَجَلَّ هو تعظيم له سبحانه.

(٣) تفسير السمعاني (٣/ ٢١٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأمر بتسبيحه يقتضي أيضا تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له؛ فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده، وتكبيره وتوحيده.. سأل رجل ميمون بن مهران عن (سبحان الله) فقال: اسم يُعَظَّم الله به، ويُحاشىٰ به من السوء»(١).

وقد ورد في السنة أن أعظم ما يذكر به الله تعالىٰ: التسبيح والتنزيه، فعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من عندها بكرة حين صلّىٰ الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن اضحىٰ، وهي جالسة، فقال: «مَا زِلْتِ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قالت: نعم، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»(٢).

فهذا الذكر من أعظم الأذكار، لما تضمنه من تنزيه الله سبحانه، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتضمن الإخبار عن تنزيهه الرب وتعظيمه والثناء عليه هذا العدد العظيم الذي لا يبلغه العادون، ولا يحصيه المحصون.. والتسبيح ثناءٌ عليه سبحانه، يتضمن التعظيم والتنزيه»(٣).

وقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن جميع المخلوقات الحية، بل حتىٰ الجمادات تسبح الله وتقدسه وتعظمه، وتمجده، قال تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ١٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (ح٢٧٢٦، ٤/ ٢٠٩٠).

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص٣٥، ٣٦).

﴿وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.. [الحشر: ١][1]، والتسبيح تمجيد لله وتعظيم وإجلال، فإذا كانت المخلوقات جمعيها ومنها التي لا تعقل تسبح الله تعالىٰ وتقدسه وتمجده، فكيف لا يقدسه من رزقه الله تعالىٰ العقل وأعطاه البصيرة؟

النوع الثاني: الأمر بذكره:

أمر الله تعالىٰ عباده بذكره في آيات كثيرة من كتابه سبحانه جَلَّ وَعَلَا، والمراد بالذكر في حال إطلاقه أمران:

الأول: معنىٰ عام، وهو شامل لجميع أنواع العبادات التي يتقرب بها العبد إلىٰ ربه، من صلاة، وصيام، وحج.. وغيرها، إذ كلها قائمة من أجل ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الثاني: معنىٰ خاص، وهو ذكر الله تعالىٰ بالقلب واللسان، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، واستغفار، وحمد، وحوقلة، وحسبلة، وذكر أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، والصلاة علىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وغير ذلك[2].

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١]

فقوله: ﴿ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ تأكيد علىٰ الذكر وكثرته، وأنه ليس له وقت محدد،، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، أخرج

---

(١) الأمر بتسبيح الله تعالىٰ ورد في مفتتح ثلاث سور: الحديد، والحشر، والصف.

(٢) ينظر: التسهيل لابن جزي (١/ ١٠٢)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٦٦٧)، وأشار ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ إلىٰ خاصية كل ذكر وثمرته.

الطبري وغيره عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: (لم يفرض الله تعالىٰ فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله تعالىٰ لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا علىٰ عقله، فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنىٰ والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلىٰ كل حال)[1].

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ من يذكره ذكرًا كثيرًا، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] دلالة علىٰ أن من أهم أسباب الفلاح والنجاة في الدنيا والأخرىٰ: ذكر الله تعالىٰ؛ لما تضمنه هذا الذكر من تعظيم الذاكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فذِكْرُ الله تعالىٰ تعظيم له عَزَّوَجَلَّ وتنزيه وتسبيح، لذا جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بينه وبين التسبيح فقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٦٤)، وينظر: تفسير البغوي (٦/ ٣٥٩، ٣٦٠).

النوع الثالث: الأمر بشكره:

بالشكر تدوم النعم، وبضده تزول، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وحقيقة: الثناء علىٰ المحسن بمعروف يوليكه[١]، والمراد به هاهنا: القيام بطاعة المنعم[٢].

وهذا الثناء يقتضي تعظيم المثني عليه؛ لأن الله تعالىٰ بين أن العبادة الحقيقية هي المتضمنة لتعظيمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، ففي الآيتين دلالة علىٰ أن من لم يشكر الله تعالىٰ لم يعبده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده، كما أن من شكره فقد عبده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأتىٰ بما أمر به[٣].

وقد جمع الله تعالىٰ بين العبادة والشكر فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

فشكر الله تعالىٰ عبادة جليلة، تستلزم تعظيم المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والإقرار بربوبيته وألوهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ حيث إنه المنعم لا شريك له، فاستحق

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٩٧).

(٢) ينظر: تفسير الفاتحة والبقرة، للشيخ ابن عثيمين (٢/ ٢٤٧).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص:٨١)، وتفسير الفاتحة والبقرة لابن عثيمين (٢/ ٢٤٨).

بذلك الشكر والمدح والحمد والثناء، وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم الليل حتىٰ تتفطر قدماه الشريفتان، فعندما قيل له: أتكلَّف هذا وقد غفَر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أفلا أكون عبدًا شكورا»(١).

والذكر والشكر عبادتان مرتبطتان بتعظيم الله جل في علاه؛ لأن الذاكر لا يكون ذاكرًا إلا لمن يعظمه ويجله، وكذا لا يُشكر إلا من يستحق الشكر، وهو تعظيم المنعم، وقد جمع الله تعالىٰ بين الذكر والشكر ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، أي: اذكروني عند كل أموركم، فيحملكم خوفي علىٰ الطاعة، فأذكركم حينئذ بالثواب(٢).

فالآية تضمنت الأمر بذكره و شكره جَلَّجَلَالُهُ، وهما لا يتحققان كمال التحقق إلا إن تضمن ذلك تعظيمه سبحانه وإجلاله؛ لأن مجرد الذكر باللسان، دون ملامسة القلب، والشعور بعظمة المذكور لا ينتج عملًا، ولا يورث تزكية، ولا يمنع ذنبًا ومعصية، يقول الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذكر: أن يذكره عندما حَرَّم، ويذكره عندما أحلَّ، فيأخذ ما أحل، والمعنىٰ علىٰ هذا الوجه أن الله تعالىٰ أخبر أن ذكره علىٰ كل الأحوال أكبر وأفضل؛ وذلك أن العبد إذا كان ذاكرًا الله في كل حال، لم يجر عليه القلم بمعصية؛ لأنه إذا ذكر ارتدع عما يهم به من السوء. فأما من يذكره بلسانه وهو مع ذلك يرتكب محظورًا، وما لا يحل، فليس هو ذاكرًا الله علىٰ الحقيقة»(٣).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري (ح٤٨٣٦، ٦/ ١٣٥)، وصحيح مسلم (ح٢٨١٩، ٤/ ٢١٧١).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٢٢٦).

(٣) التفسير البسيط (١٧/ ٥٣٦).

النوع الرابع: الأمر بالتفكر في آلائه وآياته:

خلق الله الإنسان، وميزه بالعقل، وفضله بالإدراك، لذا أمره بالنظر في ملكوت السموات والأرض، وأثنىٰ علىٰ من أعمل فكره ونظره في التأمل فيها، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، هذا التفكر المؤدي إلىٰ تعظيم الخالق سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وتنزيهه عن النقائص والعيوب، لذا ختمت الآية الأولىٰ بتسبيح الله وتنزيهه، والآية الثانية بالإيمان.

أمر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالتفكر في السموات، وما فيها من حسن وكمال وبهاء وجمال، وكواكب ونجوم وأفلاك، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾ [ق: ٦].

وأمر سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالتفكر في الأرض، وما خلق فيها من جبال راسيات، وأراض ممدوات، وزروع ونباتات، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [ق: ٧، ٨]، وأخبر سبحانه أن في الأرض لمن تأملها وتفكر فيها علامات توصل العبد إلىٰ اليقين بالله عَزَّوَجَلَّ، والإيمان به سبحانه، وتعظيمه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: «﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] أي هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها

واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة، من كواكب سيارات، وثوابت وبحار، وجبال وقفار، وأشجار ونبات، وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان والروائح، والطعوم والخواص ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي تعاقبهما وتقارُضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يتعدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرًا ويقصر الذين كان طويلًا، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: العقول التامة الذكية، التي تدرك الأشياء بحقائقها علىٰ جليّاتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال اللهم فيهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝١٠٥ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥، ١٠٦].. ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] أي: يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة علىٰ عظمة الخالق وقدرته، وعلمه وحكمته، واختياره ورحمته..»(١).

وأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالنظر والتفكر في خلق الإنسان، ما أصل خلقته، وكيف تكون في رحم أمه، وكيف مر بأطوار مختلفة، ومراحل متعددة، فولد صغيرًا ضعيفًا لا يعي شيئًا، ثم كبر شيئًا فشيئًا حتىٰ أصبح واعيًا، عاقلًا، راشدًا، شابًا، قويًا، ثم بعد ذلك رجع إلىٰ الضعف، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٢).

يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧-٢٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٥ ٨].. وغيرها من الآيات التي تدعو إلىٰ التفكر في هذا الخلق العجيب، آيات بينات واضحات علىٰ قدره الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلىٰ عظمته سبحانه جل في علاه، فهذه النفس الإنسانية، وما في خلقها من عجائب وأسرار، داعية إلىٰ التفكر فيها، والتأمل في قدرة الخالق سبحانه ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالنظر والتفكر في سائر المخلوقات، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ ٣٢].

وأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالتفكر والنظر في عاقبة السابقين، لأخذ العبرة والعظمة، وبيان عظمة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقوته وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ﴾ [يوسف: ١٠٩][(١)]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

---

(١) لأهمية النظر في عاقبة المكذبين وسوء حالهم، فقد تكرر الأمر في القرآن الكريم بالنظر في عاقبتهم في أكثر من ست آيات كريمات، وكلها دالة علىٰ عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقوته وجبروته، وأنه مهما بلغت قوة المخلوق إلا أنه لا يساوي شيئًا في مقابل قوة الله تعالىٰ المطلقة.

فمخلوقات الله تعالىٰ عظيمة دالة علىٰ عظمة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي علىٰ تنوعها، واختلافها، ودقة نظمها وانتظامها في أداء مصالحها، وسيرها في خططها المرسومة لها، كل ذلك دال علىٰ عظمة الله تعالىٰ وقدرته، وعلمه وحكمته، وإرادته ومشيئته، فهو خالقها ومدبرها ومسيرها(١).

ومن أعظم ما خلق الله تعالىٰ: العرش والكرسي، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله! أي آية أنزلها الله عليك أعظم؟ قال: «آيَةُ الْكُرْسِيِّ»، ثم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَلَقَةِ»(٢).

فإذا كان الكرسي يسع السموات والأرض علىٰ عظمتهما، وعظمة من فيهما، فكيف تكون عظمة الخالق سبحانه، وسعة سلطانه عَزَّوَجَلَّ، وهو مع هذا ليس أكبر مخلوقاته، فهناك ما هو أكبر منه، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالىٰ، بل هنا ما هو أعظم منه، وهو: العرش، وما لا يعلمه إلا الله، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار، وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال، وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع»(٣).

---

(١) ينظر: عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر، للشيخ / صالح الفوزان (ص٦٢).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٦٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (ح١٣٦، ٧/ ١٨١)، والحديث بطرقه صحيح، كما قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٢٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١/ ١١٠).

فجميع المخلوقات التي خلقها الله عَزَّوَجَلَّ دالة علىٰ عظمة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذ كل مخلوق سخره الله تعالىٰ لما خلق له، وهيأ له من الإمكانات والوسائل ما تمكنه من تيسير حياته وفق ما خلق له وسخر من أجله، فكيف لا يعظم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وما أجمل قول الأعرابي عندما سئل عن وجود الله عَزَّوَجَلَّ فقال: البعرة تدل علىٰ البعير، والروث علىٰ الحمير، وآثار الأقدام علىٰ المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أما تدل علىٰ الصانع الحليم العليم القدير؟[(١)]

لذا فهم السلف مراد الله تعالىٰ من النظر في هذه المخلوقات، فنظروا فيها نظر فكر وتأمل، فأعملوا عقولهم، وتأملوا بقلوبهم، فعظموا الله تعالىٰ حق تعظيمه، ووقروه حق توقيره، يقول ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (تفكر ساعة خير من قيام ليلة)[(٢)]،

---

(١) بهذا اللفظ ذكره الفخر الرازي في تفسيره (٢/ ٣٣٤)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٣٢)، وابن الجوزي في الزاد (١/ ٢٦٦) وغيرهما بلفظ: إن البعرة تدل علىٰ البعير، وآثار القدم تدل علىٰ المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان علىٰ الصانع الخبير؟

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (ح٤٢، ١/ ٢٩٧) من طريق ليث عن سعيد بن جبير عنه به.
وروي عنه من طريق عطاء عن سعيد بن جبير عنه أنه قال: (ركعتان مقتصدتان، فيهما تَفَكُّر خير من قيام ليلة والقلب ساه). أخرجه ابن المبارك في الزهد (ح١، ٢٨٨/ ٩٧)، وأبو الشيخ في العظمة (ح٤٤، ١/ ٣٠١).

وبنحوه روي عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، والحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]، وعمرو بن قيس الـمُلائي رَحِمَهُ اللَّهُ[٣].

وسئلت أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ فقالت: التفكر[٤].

وروي عن أبي سليمان الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ[٥] أنه قال: إني لأخرجُ من منزلي، فما يقع بصري علىٰ شيء إلا رأيت لله عليَّ فيه نعمة، ولي فيه عبرة»[٦].

وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ[٧]: الفكرة نورٌ يدخلُ قلبك[٨]، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يتمثل كثيرًا قول الشاعر:

إذا المرء كانت له فكرة		ففي كل شيء له عبرة[٩]

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (ح١١٧، ١/ ٢٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٩٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٧١).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (ح٤٨، ١/ ٣٠٥).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (ح٤٥، ١/ ٣٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (ح١١٨، ١/ ٢٦٢).

(٥) هو: عبد الرحمن بن أحمد العنْسي الداراني، الإمام الكبير، زاهد العصر، الحكيم، الورع، توفي سنة ٢١٥ هـ. ينظر: حلية الأولياء (٩/ ٢٥٤ ٢٧٩)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢ ١٨٦).

(٦) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٦٢).

(٧) هو: أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي، الإمام الأمين، الثقة الحافظ، ذو العقل الرصين، والرأي الراجح المكين، المستنبِط للمعاني، والمرتبط للمباني، العالم، الزاهد، العابد، توفي سنة ١٩٨ هـ. ينظر: حلية الأولياء (٧/ ٢٧٠ ٣١٩)، وتهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ ١٩٦).

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٠٦).

(٩) ذكره أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٢٤).

وروي عن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: كلام المؤمن حِكَم، وصمته تفكر، ونظره عبرة، وعمله بر، وإذا كنت كذلك لم تزل في عبادة، ثم قرأ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦][(١)].

والآثار في هذا الباب كثيرة، وما ذلك إلا لأن عبادة التفكر من أفضل أعمال القلوب وأنفعها، فهي داعية إلىٰ الإيمان والعمل، فـ «ثمرة الفكر هي العلم، واستجلاب معرفة ليست حاصلة، وإذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح، فالفكر إذًا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها؛ لأنه الذي ينقل من المكاره إلىٰ المحاب، ويهدي إلىٰ استثمار العلوم، ونتاج المعارف والفوائد»[(٢)].

فهذه الأوامر الأربعة: الأمر بالتسبيح، والذكر، والشكر، والتفكر، وغيرها من الأوامر؛ كالأمر بالعبادة، والطاعة لله ورسوله، والتقوىٰ، والصلاة، والزكاة، والإنفاق في سبيل الله، والتوبة، والإنابة، والاعتصام، والاستعانة، والدعاء.. وغيرها من أوامر الله تعالىٰ هي في المحصلة داعية إلىٰ تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن اتباع أوامر الله تعالىٰ، والعمل بها دليل علىٰ تعظيمها، وتعظيمها دليل علىٰ تعظيم الآمر سبحانه جل في علاه، وفي مقابل ذلك فإن من لم يتبع أوامر الله تعالىٰ، واستهان بها، دل ذلك علىٰ استهانته بالآمر سبحانه،

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (ح٤٧، ١/ ٣٠٤)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٩٨). وينظر في هذه الآثار وغيرها: العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (باب ما ذكر من الفضل في المتفكر في ذلك، ١/ ٢٩٧ ٣٠٧)، وإحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٤٢٤، ٤٢٥)، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٦٢، ١٦٣)، وتعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ (ص٥٥).

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لجمال الدين القاسمي (ص٣١٠)، وينظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٤٢٦).

فاستحق الذلة والمهانة من الله تعالىٰ، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، أي: من يهنه الله تعالىٰ ويذله فلا يكرمه أحد، وهذه الإهانة قدر زائد علىٰ ألم العذاب؛ لأن الرجل قد يعذب ولا يهان[١]، فهؤلاء الذين تركوا السجود لله تعالىٰ، وطاعته، واتباع أوامره، استحقوا الذلة والمهانة لتهاونهم في اتباع الأوامر[٢].

وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: إن من تهاون بعبادة الله تعالىٰ صار إلىٰ النار[٣].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هانوا عليه فعصوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم[٤].

وعن أبي سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: إنما هانوا عليه فعصوه، ولو كَرُمُوا عليه لمنعهم منها[٥].

(١) ينظر: دقائق التفسير لابن تيمية (٢/ ٤٥٩)، ومجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٣٦٧).

(٢) هذه الآية جاءت في سياق سجود جميع المخلوقات لله تعالىٰ، إلا فئة من الناس لم تستجب، وكفرت بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فاستحقت العذاب والإهانة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[الحج: ١٨]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الداء والدواء (ص:١٧٢): «فإنهم لما هان عليهم السجود له، واستخفّوا به ولم يفعلوه، أهانهم الله، فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم، ومن ذا يكرِم من أهانه الله، أو يهين من أكرمه الله؟»، ويقول كذلك في: الصلاة وأحكام تاركها (ص١٤٩): «فالذي حق عليه العذاب هو الذي لا يسجد له سبحانه، وهو الذي أهانه بترك السجود له، وأخبر أنه لا مكرم له، وقد هان علىٰ ربه حيث لم يسجد له».

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٤).

(٤) ذكره ابن قيم الجوزية في كتابه: الداء والدواء (ص١٤٤).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٦١)، وينظر: الداء والدواء لابن القيم (ص١٤٤).

ثالثًا: تعظيم شرائعه وأحكامه وحِكمه:

من الأمور الدالة علىٰ محبة الله تعالىٰ بأن يعظم: الدعوة إلىٰ تعظيم أحكامه وشرائعه؛ لأن تعظيمها تعظيم لله عَزَّوَجَلَّ، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كتابه رتب الخيرية لمن يعظم حرماته، فقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

ورتب حصول التقوىٰ في القلب علىٰ تعظيم الشعائر، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فالحرمات والشعائر في الآيتين وإن جاءتا في سياق الحديث عن الحج وأحكامه، إلا أن ذلك لا يمنع إطلاقها علىٰ جميع أعلام الدين الظاهرة، ذكر ابن القيم أقوال المفسرين في المراد بالحرمات ثم قال رَحِمَهُٱللَّهُ: «والصواب: أن الحرمات تعمُّ هذا كلَّه، وهي جمع حرمة، وهي: ما يجب احترامه وحفظه من الحقوق، والأشخاص، والأزمنة، والأماكن، فتعظيمها توفيتها حقها، وحفظها من الإضاعة..»[1].

فحرمات الله هي: «كل ماله حرمة، وأمر باحترامه، بعبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها، فتعظيمها إجلالها بالقلب، ومحبتها، وتكميل العبودية فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل»[2].

---

(١) مدارج السالكين بني منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٧٣).

(٢) تفسير السعدي (ص٥٣٧)، وينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/ ٢٥٢) فقد أشار إلىٰ معنىٰ قريب من هذا. وجاء في التفسير الوسيط، لجماعة من علماء الأزهر (٦/ ١٢١٢) أن الحرمات هي: كل ما لا يحل انتهاكه والتهاون في تعظيمه، والشعائر: هي تعظيم أوامره، وهي

والشعائر هي: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك[1]، يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد ذكرنا قريبًا أنا ذكرنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن من أنواع البيان التي تضمنها: أن يُذكر لفظ عام، ثم يُصرَّح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه، فيكون ذلك الفرد قطعي الدخول لا يمكن إخراجه بِمُخصَّص، وواعدنا بذكر بعض أمثلته في هذه الآيات، ومرادنا بذلك هذه الآية الكريمة؛ لأن قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ عام في جميع شعائر الله، وقد نص تعالىٰ علىٰ أن البدن فرد من أفراد هذا العموم، داخل فيه قطعًا..»[2].

وأقوال السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالىٰ تدور حول هذا المعنىٰ العام:

فقد رُوي عن عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: حرمات الله ما نهىٰ عنه، والحرمة كل ما نهىٰ عن انتهاكها[3].

وعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: الحرمة مكة والحج والعمرة، وما نهىٰ الله عنه من معاصيه كلها[4].

ونقل السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعضهم: تعظيم حرمات الله: أن يفعل الطاعة، ويأمر بها، ويترك المعصية وينهىٰ عنها[5].

كل شيء لله تعالىٰ فيه أمر أشعر به وأعلم.

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٥٣٧).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٢٥٨).

(٣) ذكره السمعاني في تفسيره (٣/ ٤٣٦).

(٤) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٦٨) وقال: وكذا قال ابن زيد.

(٥) تفسير السمعاني (٣/ ٤٣٦).

فتعظيم الحرمات والشعائر تعظيم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن المعظم لها «يبرهن علىٰ تقواه وصحة إيمانه؛ لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله»[1].

وقد ذكر الإمام الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث درجات لحرمات الله تعالىٰ[2]:

الدرجة الأولىٰ: تعظيم الأمر و النهي، لا خوفًا من العقوبة فتكون خصومة للنفس، ولا طلبًا للمثوبة فيكون مستشرفًا للأجرة[3]، ولا مشاهدًا لأحد، فيكون متزينًا بالمراءاة.

الدرجة الثانية: إجراء الخبر علىٰ ظاهره، فلا يتحمل البحث عنها تعسفًا، ولا يتكلف لها تأويلًا، ولا يتجاوز ظواهرها تمثيلًا، ولا يدعي عليها إدراكًا أو توهمًا.

الدرجة الثالثة: صيانة الانبساط أن تشوبه جرأة، وصيانة السرور أن يداخله أمن، وصيانة الشهود أن يعارضه سبب.

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٣٨).

(٢) منازل السائرين، لأبي إسماعيل الهروي الأنصاري (ص٤٠)، وشرحه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين شرحًا مفصلًا (٢/ ٧٣ وما بعدها).

(٣) أقول: هذا الكلام علىٰ إطلاقه فيه نظر والله تعالىٰ أعلم؛ لأن الله تعالىٰ رتب العبادة علىٰ ثلاثة أركان: المحبة، والخوف، والرجاء، والأدلة علىٰ هذا كثيرة في القرآن والسنة، ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فالضمير في (إنهم) عائد إلىٰ الأنبياء علىٰ قول عامة أهل التفسير، فإذا كان أنبياء الله تعالىٰ، وهم خواص خلقه، وأدراهم بطاعة الله وعبادته، أخبر تعالىٰ أنهم يعبدونه رغبة فيما عنده سبحانه، وخوفًا من عقابه، فمن باب أولىٰ بقية الخلق الذين هم أقل درجة ولا شك من الأنبياء والمرسلين، وهذا هو دأب المرسلين كما أخبر القرآن عنهم في آيات عديدة.
والأدلة في الباب كثيرة، ليس هذا مقام ذكرها وبيانها، والإشارة في هذا المقام تكفي، والله أعلم.

وبعد: فمما تقدم ذكره يتبين عظم منزلة تعظيم الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في الإسلام، وأهمية شأن هذه العبادة القلبية، جعلنا الله تعالىٰ من المعظمين له سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، العارفين به جَلَّ جَلَالُهُۥ.

تعظيم الله تعالى

الفصل الثاني

مراتب التعظيم وأركانه وثماره

المبحث الأول: مراتب تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.

المبحث الثاني: أركان تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.

المبحث الثالث: ثمرات تعظيم الله تعالىٰ.

تعظيم الله تعالى

المبحث الأول

مراتب تعظيم الله

إعداد

د. فخر الدين الزبير علي

تعظيم الله تعالى

مراتب تعظيم الله تعالى

تعظيم الله تعالىٰ من أجلّ ما يقوم في القلب من المعاني، وبمقدار تحققه تظهر آثاره علىٰ بقية الأعمال القلبية والقولية والفعلية، وحيث تعلق التعظيم بالملك العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنه لا يمكن لأحد من الخلق أن يبلغ تمام كماله، أو أن يحيط بجميع جلاله، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي لا تحيط به، علىٰ القول المشهور في تفسيرها، كما قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بمعنىٰ: أنها لا تحيط به؛ إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئًا يحيط به»[(١)]، وقد سُبقت الآية بآيات التعظيم في قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لإفادة عظمته تعالىٰ وسعة علمه، فلعظمته جلَّ عن أن يحيط به شيء من أبصار المخلوقين، وذلك تعريض بانتفاء الإلهية عن الأصنام التي هي أجسام محدودة محصورة»[(٢)].

وكذلك قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] فمن لم يحط به الخلق علما: لا يمكن لهم أن يحققوا تمام التعظيم له؛ ولذلك قال تعالىٰ لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وهو خطاب لأشرف الخلق الذي حقق من مقامات التعظيم أعلاها، ومع ذلك يأمره الله تعالىٰ بطلب الزيادة في العلم، والتي بقدرها تكون الزيادة في التعظيم؛

---

(١) جامع البيان: (١٢/ ١٥).

(٢) التحرير والتنوير: (٧/ ٤١٤).

فالعلم بحق والتعظيم للحق: صنوان متلازمان لا ينفكان، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦]، وقد قرر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الحقيقة فقال: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»(١)، والثناء فرع عن التعظيم، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «منزلة التعظيم، وهذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالىٰ في القلب، وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيما وإجلالا»(٢).

فتبين من ذلك أن مراتب التعظيم ومنازله لا يعلمها إلا الله تعالىٰ، وكل درجة يركن إليها العبد، ويظن أنه بلغ فيها الكمال: فلا تزال هناك درجات لمّا يصل إليها، ومنازل لابد أن يترقىٰ فيها، كما دل عليه عموم قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٣]، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من حين وجد آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلىٰ حين نزول هذه الآية، وإلىٰ آخر الدهر؛ لأن الإنسان مبني علىٰ النقصان، والإله منزه التنزه الأكمل، وما قدروا الله حق قدره» (٣).

ومع ذلك فإننا إذا أردنا أن نقسم التعظيم إلىٰ مراتب فيمكننا القول بأن للتعظيم ثلاثَ مراتب من حيث التأصيل، لا من حيث التكميل، فكما سبق أن كمال مقاماته لا إحاطة بها، وخلاصة هذه المراتب: أصل التعظيم، وواجبه، وكماله، والكلام عنها سيكون من خلال المطالب الآتية:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٦) من حديث عائشة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) مدارج السالكين: (٢/ ٤٦٣)..

(٣) نظم الدرر: (٢١/ ٢٦٣).

المطلب الأول: مرتبة أصل التعظيم:

هذه المرتبة الأولىٰ من التعظيم، وهي ركن في الإيمان، فمن لم يحققها نقض إيمانه، فهو القدر الأدنىٰ من التعظيم الذي لا يصح الإيمان إلا به، كبقية أعمال القلوب من التوكل والخشية والمحبة، فكلها لها أصلها الركن، الذي لا يتحقق الإيمان دونه، فمن فقد هذا التعظيم كان من الكافرين والمشركين الذين نعىٰ الله حالهم حين قال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١]، فقد جاءت في سياق الكفر برسله وكتبه، وقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] وجاءت بعد ذكر الشرك والتحذير منه، فمن جحد ما جاء الله تعالىٰ به لم يكن معظمًا له، ومن أشرك معه غيره لم يكن معظمًا له، فحقيقة أصل الإسلام تشمل أمرين عظيمين، هما:

- عبادة الله تعالىٰ، وهي الاستسلام والتذلل والخضوع والانقياد له.
- وإفراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذه العبادة.

فمن لم يفرده بالعبادة كان مشركًا، ومن استكبر عن عبادته، ولم يستسلم له كان كافرًا متكبرًا، وقد جمع الله بينهما بقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، وتوعّد من استكبر عن عبادته بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ

ﭐدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، كما ذم من عبد الله وعبد غيره بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾ [الجن:٣].

فمن لم يحقق أحد هذين الأمرين كان كافرًا غير معظم لله تعالىٰ؛ لأنَّ المشرك والمستكبر من الكافرين [(١)]، فأصل التعظيم هو ما ينتظم هذين الركنين: الانقياد لما جاء به، وإفراده في ذلك، فمن نقض أحدهما لم يكن محققا لهذه المرتبة، وبالتالي لم يكن مسلمًا.

فكل مشرك يدعي تعظيم الله تعالىٰ فهو كاذب في دعواه؛ إذ كيف يسوي العظيم بالحقير ثم يدعي تعظيمه، كما حكىٰ الله تعالىٰ حسرتهم يوم القيامة: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧ – ٩٨].

وذكر الله تعالىٰ عن نوح قوله لقومه المشركين: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نوح: ١٣] قال ابن عباس ومجاهد: «لا ترجون لله عظمة». وقال سعيد بن جبير: «ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته؟» [(٢)].

وكل من كفر بشيء مما جاء به الله تعالىٰ فهو كاذب في ادعاء التعظيم؛ فإذا كان الله تعالىٰ قد حكم بكفر من كره شيئًا مما جاء به في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٩]،

(١) ينظر: شرح التدمرية ص ٤٠٠.

(٢) جامع البيان: (٢٣/ ٦٣٤)، بسند حسن كما في الصحيح المسبور: (٤/ ٥٣٨).

فكيف بمن جحده وأنكره وكذب به؟! قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا حكم الله جلّ جلاله في جميع من كفر به من أجناس الأمم» [1].

المطلب الثاني: مرتبة التعظيم الواجب:

وهو التعظيم الزائد عن أصله، فمن لم يحققه لم يخرج من الإيمان، لكنه يأثم بمقدار انتقاصه له، وهذه المرتبة من التعظيم هي التي تحمل العبد على فعل الواجبات، وترك المحرمات، ومن اقترف من ذلك شيئًا فقد نقص تعظيمه بحسبه، ويدل عليه قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا تنتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها وهو حين ينتهبها مؤمن) [2]، أي: الإيمان الشرعي الواجب الذي يحمله على الامتثال، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل أهل السنة متفقون على أنه قد سلب كمال الإيمان الواجب، فزال بعض إيمانه الواجب، لكنه من أهل الوعيد»[3]، وقال: «ومن أتى الكبائر - مثل الزنا، أو السرقة، أو شرب الخمر، وغير ذلك- فلابد أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، وهذا من الإيمان الذي ينزع منه عند فعل الكبيرة» [4].

(١) المصدر السابق (٢٢/ ١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب النهب بغير إذن صاحبه، رقم (٢٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، رقم (٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الإيمان لابن تيمية ص٢٠٣.

(٤) المرجع السابق ص٢٩..

وهذا التعظيم يمكن أن يدرج تحت قسم المقتصد، في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات. ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات»(١)، فالمقتصد هو الذي وقف عند الواجبات وترك الموبقات، لكنه لم يضرب في باب الكمالات قدحًا وسهمًا، ولم يجعل له في التنافس إلىٰ الخيرات نصيبًا وقَسمًا، فإذا انتقص من هذه الواجبات كان من قسم الظالم لنفسه، وإذا سابق في القربات كان من القسم الأرفع: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي بالتفريط والتهاون في توفية الحق لما يقتضيه حاله من العمل غير متوقٍّ للكبائر، وهذا القسم هم أكثر الوارث، وهم المرجئون لأمر الله.

ولما كان ترك الإنسان للظلم في غاية الصعوبة، نبه علىٰ ذلك بصيغة الافتعال فقال: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ أي متوسط في العمل غير باذل لجميع الجهد إلا أنه مجتنب للكبائر فهو مكفر عنه الصغائر، وهم الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي العبادات وجميع أنواع القربات، موف للمقام الذي أقيم به حقه، كلما ازداد قربًا ازداد عملًا، لا يكون سابقًا إلا

(١) تفسير القرآن العظيم ابن كثير: (٦/ ٥٤٦).

وهو هكذا، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان»[1]، وهذا القسم هو الذي سيأتي في المرتبة الثالثة.

المطلب الثالث: مرتبة كمال التعظيم:

وهذه المرتبة من التعظيم زائدة عن التعظيم السابق، وهي درجات كثيرة، لا يزال العبد يترقىٰ في مقاماتها، وبه يحصل الكمالات من الفضائل والمستحبات والإرادات، فهو تعظيم السابقين في الخيرات، والمنافسين في القربات، وقد وصف الله تعالىٰ به صفوة عباده من الأنبياء والمرسلين، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، فخشوعهم تعظيما لله تعالىٰ، ومسابقتهم في الخير تعظيما لله تعالىٰ، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تعريفات الخشوع فقال: «الخشوع خمود نيران الشهوة، وسكون دخان الصدور، وإشراق نور التعظيم في القلب»[2].

وهذه المرتبة تزداد بالعلم كما سبق في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «الذين يعلمون أن الله علىٰ كل شيء قدير»[3]، وقال: «يريد: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني»[4].

---

(١) نظم الدرر: (١٦/ ٥٥-٥٦).

(٢) مدارج السالكين: (١/ ٥١٦)..

(٣) جامع البيان، للطبري: (٢٠/ ٤٦٢)، بسند حسن كما في الصحيح المسبور: (٤/ ١٧٣).

(٤) تفسير البغوي: (٣/ ٦٩٣).

ويدل على هذه المراتب الثلاث ما ورد من تقسيم الناس إلى ثلاث طوائف يوم القيامة، وهي: أصحاب الشمال: وهم من فقدوا أصل التعظيم

وأصحاب اليمين: وهم من حققوا الواجب منه.

والسابقون: وهم من سابقوا في كمالات التعظيم.

كما في قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، وكذلك في بقية السورة.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.

وهو التقسيم الوارد في سورة الرحمن؛ حيث بدأ بالمجرمين، في قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾، ثم المقربين، في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، ثم من دونهم من أصحاب الجنة، في قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

هذا وقد قسم الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ التعظيم إلى ثلاث درجات، تبعًا للهروي في مدارج السالكين (١)، وخلاصتها كما يلي:

الدرجة الأولى: تعظيم الأحكام الشرعية، وهي الأمر والنهي.

الدرجة الثانية: تعظيم الأحكام الكونية، وهي القدر.

الدرجة الثالثة: تعظيم الحاكم، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٤٦٤-٤٧٠).

ولكن عند التأمل نجد أن تسمية هذه الأقسام بالدرجات محل نظر ظاهر؛ فهي أقسام ثلاثة لابد من الإتيان بها، ولا يصح أحدها دون الآخر؛ فلذلك لو سميت أقسامًا أو أركانًا أو أنواعًا: لكان أدق، كما في أقسام التوحيد، وأركان الإيمان؛ إذ يفهم من الدرجات أن كل درجة قائمة بذاتها وما بعدها أعلىٰ منها، وهو ليس كذلك هنا، فتعظيم الحكم إنما يكون لتعظيم الآمر به، وتعظيم القدر لتعظيم المقدِّر له، وكل واحد من هذه الأنواع الثلاثة درجات كثيرة يتفاوت فيها الناس، وقد يعظم البعض أحد الأنواع أكثر من الآخر، كما يعظم البعض أحد أركان الإيمان أكثر من غيره، مع أنه لا يصح إيمانه إلا بتحقيق الأركان جميعًا، وهنا أيضا لا يصح تعظيمه إلا بتحقيق الأقسام الثلاثة، فلزم أن تسمىٰ أقسامًا أو أنواعًا، وليست درجات، والله أعلم.

تعظيم الله تعالى

المبحث الثاني

أركان تعظيم الله تعالى

إعداد

أ.د. طه عابدين طه

أركان تعظيم الله تعالى

من خلال التتبع والاستقراء نجد أن تعظيم الله تعالىٰ فيما يتصل بفعل العبد يقوم علىٰ ثلاثة أركان، وهي:

الركن الأول: تعظيم الله تعالى في القلب:

تعظيم الله تعالىٰ في القلب هو أهم وأعلىٰ أنواع التعظيم؛ لأن التعظيم في الحقيقة هو فعل القلب، وقول الإنسان وفعله دليل وبرهان عليه، وتبع له؛ فتعظيم حرمات الله تعالىٰ نابع من تعظيم الله، وتعظيم شعائره كذلك، وتعظيم الله تعالىٰ يرجع إلىٰ اعتقاد العباد عظمته تعالىٰ في كلِّ ما يتعلق به في ذاته، وأسمائه وصفاته وأقواله وأفعاله، وأن ينزه عن كل ما لا يليق به، قال الجصاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذكر علىٰ وجهين أفضلهما: الذكر القلبي، وهو الفكر في عظمة الله وجلاله وقدرته وفيما في خلقه وصنعه من الدلائل عليه وعلىٰ حكمه وجميل صنعه، والذكر الثاني: الذكر باللسان بالتعظيم والتسبيح والتقديس»[1].

فالمسلم عليه أن يعتقد أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عظيم في كلِّ شيء، له العظمة المطلقة، والكمال المطلق، والعلو المطلق، والقدرة المطلقة، لا يعجزه شيء في السماوات والأرض، ولا يفلت عنه شيء، قهر بعظمته جبروت الجبابرة، وذلَّت له أنوف الملوك القاهرة، وخضع لعظمته جميع خلقه، قال الإمام ابن

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٤٧).

القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن اسمه العظيم: «هو من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال»[١]، وقال في نونيَّته في بيان عظمته وما يجب أن يعتقده العبد:

وهو العظيم بكل معنىً يوجب التعظيم لا يحصيه من إنسان

وهو الجليل فكل أوصاف الجلا ل له محققة بلا بطلان[٢]

ومن تعظيمه بالقلب اعتقاد ما أخبر به عن نفسه المقدسة؛ من ذلك ما أخبر به عن عظيم ذاته[٣]: قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فالله جَلَّ وَعَلَا لعظمته لما تجلىٰ للجبل جعله دكًّا أي: مدقوقًا مفتتًا؛ ولذا قال موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بعد ما أفاق من غشيته ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيها لك، وتعظيمًا عما لا يليق بجلالك»[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ بذاته، فوق جميع مخلوقاته، الذي علت

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٤٥).

(٢) القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٢/ ٢٠٠).

(٣) «وينبغي أن نعلم أن عَظمة اللهِ في ذاته لا تُكَيَّفُ ولا تُحدُّ، لطلاقة الوصف وعجزنا عن معرفته، فنحن لم نره ولم نر له مثيلًا، فالله عظيمٌ في ذاته ووصفه وجلال قدره كما أخبر عن نفسه «أسماء الله الحسنىٰ الثابتة في الكتاب والسنة (٢/ ٨٨).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٧١)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ٧٢).

صفاته، أن يقاس بها صفات أحد من الخلق، وعلا علىٰ الخلق فقهرهم ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض»[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧][٢]، قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ما قدروا عظمته تعالىٰ حق عظمته، ولا عرفوا جلاله حق معرفته؛ حيث جعلوا له شركاء، ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة، مع أن عظمته وكمال قدرته تتحير فيها الأوهام»[٣].

وقد جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]»[٤]، قال

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٦٥١).

(٢) عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب: في كتاب التوحيد آخر باب فيه وترجمه بهذه الآية ليبين أن توحيد الله قائم علىٰ تعظيمه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وبين في كتابه أن مما ينقض به العبد تعظيم الله ما جاء في الاستهزاء بالله ورسوله أو بشيء فيه ذكر الله.

(٣)محاسن التأويل (تفسير القاسمي) (٦/ ١٢٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن الكريم، باب: قَوْلِهِ (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ح رقم (٤٨١١)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ح رقم (٢٧٨٦).

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا يقتضي أن عظمته أعظم مما وصف ذلك الحبْر، فإن الذي في الآية أبلغ، كما في الصحيحين عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ»(١)»(٢).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ»(٣).

وكل حديث عن عظمة مخلوقاته كالحديث عن عظمة عرشه وكرسيه، وصغر المخلوقات بالنسبة إليهما، وأن السماوات السبع والأرضين السبع للكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس، وما الكرسي بالنسبة إلىٰ العرش إلا كحلقة ألقيت في أرض فلاة، فمقصوده أن يدرك العبد عظمة خالقه، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تقرير لما تضمنته الجمل كلها من عظمة الله تعالىٰ وكبريائه وعلمه وقدرته، وبيان عظمة مخلوقاته

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: تفسير القرآن الكريم، باب: قَوْلِهِ (وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)ح رقم (٤٨١٢)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ح رقم (٧٢٢٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٣/ ١٦٢).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح رقم (٧٢٢٨).

المستلزمة عظمة شأنه»[1]، وكما جاء في الحديث الصحيح: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش علىٰ الكرسي كفضل تلك الفلاة علىٰ تلك الحلقة»[2]. وقد صح عن ابن عباس موقوفًا: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالىٰ»[3].

ومن ذلك ما أخبر به عن عظيم أسمائه وصفاته: فهو عظيم في حياته، وفي قيوميته، وفي كبريائه، وفي علمه، وفي قدرته، وفي عزته وقهره وغناه، وفي سائر صفاته قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، «واسم الله العظيم يدل علىٰ ذات الله، وعلىٰ صفة العظمة المطلقة بدلالة المطابقة، وعلىٰ ذات الله وحدها بالتضمن، وعلىٰ صفة العظمة المطلقة بدلالة التضمن، ويدل باللزوم علىٰ الحياة والقيومية والسيادة والصمدية، وانتفاء الشبيه والمثلية، والكمال المطلق في كل شيء، الله عَزَّوَجَلَّ عظيم في ذاته وصفاته»[4].

---

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٣).

(٢) أخرجه ابن حبان ح رقم (٣٦١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح رقم (١٠٩).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ح رقم (٣١١٦) وصححه، وقال الذهبي: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) أسماء الله الحسنىٰ (١٢/ ١٩).

ومن تأمل فيما ورد في القرآن الكريم عن عظيم أسماء الله وصفاته أدرك في قلبه جلاله وكبرياءه وعظمته، وكان ذلك حاملًا له علىٰ تعظيمه، وإجلاله وخشيته، وعلىٰ الرغبة في ثوابه، والرهبة من عقابه.

ومن ذلك ما أخبر به عن عظيم ملكه وسلطانه، فإن عظم الملك والسلطان يدل بلا شك علىٰ عظمة الخالق، قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٦ - ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢ -٨٣]، والأدلة في هذا الباب كثيرة جدا.

ومن ذلك ما أخبر به عن عظيم نعمه وفضله وعطائه: قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النساء:٧٣].

ومن ذلك ما أخبر به عن عظيم أفعاله: قال تعالىٰ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢،٨٣].

ومن ذلك ما أخبر به عن عظيم كلامه فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠]،

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان: ٢٧]، قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد دلت هذه الآيات علىٰ أن كلماته تعالىٰ لا نفاد لها سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ علوًا كبيرًا»[(١)]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من باب تقريب المعنىٰ إلىٰ الأذهان، لأن هذه الأشياء مخلوقة، وجميع المخلوقات، منقضية منتهية، وأما كلام الله، فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهىٰ، فأي سعة وعظمة تصورتها القلوب فالله فوق ذلك، وهكذا سائر صفات الله تعالىٰ، كعلمه، وحكمته، وقدرته، ورحمته، فلو جمع علم الخلائق من الأولين والآخرين أهل السماوات وأهل الأرض، لكان بالنسبة إلىٰ علم العظيم، أقل من نسبة عصفور وقع علىٰ حافة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته، ذلك بأن الله، له الصفات العظيمة الواسعة الكاملة، وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ»[(٢)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

فهذا النوع من التعظيم، وهو تعظيم الله تعالىٰ في القلب إذ قام بصورة شاملة أثمر أنواع التعظيم الأخرىٰ، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله تعالىٰ له صفة العظمة في كل شيء، وتعظيمه في القلب يتحقق باعتقاد هذه العظمة مما يتولد منها خوفه وخشيته ومهابته وتقواه»[(٣)].

---

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٣/ ٤٢٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٤٨٨).

(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير الأحكام (١/ ٢٨).

والمتأمل في أفعال المشركين يجدها كلها نابعة من عدم تعظيمهم لله تعالىٰ في قلوبهم، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣،٧٤]. فإنَّ من أدرك عظمته جَلَّ وَعَلَا ما عدل به أحدًا من خلقه لا في الحب ولا في التعظيم والإجلال، ولا في الطاعة والاتباع، ولا في التعلق والرجاء ولا في الخوف والخشية، ولا في الذكر والمراقبة ونحو ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] وقال تعالىٰ مخاطبًا رسوله الكريم مبينًا سبب ضلال المشركين: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٢-٦٧].

ومن هنا كان الخوف والإجلال والمهابة والحب والتوكل والثقة والطاعة والاتباع علىٰ قدر ما في قلب العبد من تعظيم لله تعالىٰ، وهي نابعة من معرفة العبد بربه حق المعرفة، وتجد التعلق بغيره في الخوف والحب والرجاء والاتباع بقدر ما تنقص هذه العظمة في النفوس، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا

يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٤ - ١٦٥].

فتعظيم الله تعالىٰ في القلب من العبادات القلبية التي يجب توفرها وتوافرها عند كل مسلم؛ بل الإيمان بالله تعالىٰ مبني علىٰ التعظيم والإجلال له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومحبته، فالعمدة في الإيمان والأساس الأول هو تعظيم الله تعالىٰ [(١)].

الركن الثاني: تعظيم الله تعالى بالأقوال:

فالله تعالىٰ كما يعظَّم في القلب يجب تعظيمه وتوقيره وتبجيله - جَلَّ وَعَلَا - في الأقوال التي ينطق ويتلفظ بها العبد بلسانه الذي هو مترجم عمَّا في الجنان من تعظيم لله تعالىٰ بما يدل علىٰ التعظيم والتنزيه والتقديس مما ورد في الكتاب والسنة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الاسراء: ١١١]، وكقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧]، وكقوله تعالىٰ:

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ١٣٨)، والوسيط لسيد طنطاوي (ص: ١٩٩٢).

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس:٨٣].

وهنالك عشرات الألفاظ التي جاءت في السنة القصد منها تعظيم الله تعالىٰ كلفظ التكبير والتسبيح والحمد، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»[١]. قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَإِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ مِنْ نَوْعِ تَعْظِيمِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالْحَضِّ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ وَدَوَامِ نِعْمَتِهِ»[٢]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن بطّال: التسبيح، والتكبير، معناه تعظيم الله وتنزيهه من السوء»[٣].

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»[٤].

وقد ثبت في الحديث الصحيح أنه صلوات الله وسلامه عليه كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»[٥]،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح ح رقم (٦٤٠٦)، ومسلم في كتاب، الذكر والدعاء والتوبة، باب: فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ ح رقم (٧٠٢١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٥).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٥٩٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: الدُّعَاءِ عِنْدَ الْكَرْبِ ح رقم (٦٣٤٥)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ دُعَاءِ الْكَرْبِ، ح رقم (٢٧٣٠).

(٥) أخرجه أحمد ح رقم (٢٣٩٨٠)، وأبو داود ح رقم (٨٧٣)، **والنسائي ح رقم (١١٣٢)، وصححه الألباني.**

وكان يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ»(١)، وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول في ركوعه: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ويقول في سجوده: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى»(٢).

وفي سنن أبي داود عَن ابْن عَمْرو بن الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كَانَ إِذا دخل الْمَسْجِد قَالَ: «أعوذ بِالله الْعَظِيم وبوجهه الْكَرِيم، وسلطانه الْقَدِيم من الشَّيْطَان الرَّجِيم. قَالَ فَإِذا قَالَ ذَلِك قَالَ الشَّيْطَان: حفظ مني سَائِر الْيَوْم»(٣).

وغير ذلك كثير من الألفاظ التي جمعت في أبواب الذكر والدعاء في الصحيحين والسنن يمكن الرجوع إليها، ومن هنا كان كل ذكر مستلزمًا لتعظيمه كما قال تعالىٰ في وصفه عباده المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ومن تعظيم الله تعالىٰ بالأقوال تنزيهه من كل وصف قبيح، كوصفه باتخاذ الولد كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٣]، وقال

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ح رقم (٤٧٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصراها، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، ح رقم (٧٧٢).

(٣) ح رقم ٤٦٦، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم ٤٧١٥.

تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وكقول اليهود قبحهم الله تعالىٰ في وصفه تعالىٰ بالبخل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقبَّح الله من استغنىٰ بجهله عن ربه، ونَسَبَه إلىٰ ما لا يليق بجلاله، بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك المقالة، ونحوهم ممن حاله كحالهم ببعض قولهم لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال، وهو تعالىٰ يحلم عنهم، ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم»[(١)].

ومن تعظيمه بالأقوال أن لا يذكر اسمه إلا بالتعظيم، ولا يذكر اسمه مع الأمور الحقيرة كأن يقول الرجل: «قبح الله الكلب والخنزير»، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا قال بعض السلف: ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عندما يستحي من ذكره، فيقرن اسمه به كما تقول: قبح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك، فهذا من وقار الله»[(٢)]، فالواجب علىٰ العبد أن يتحرز في ألفاظه عمومًا، وفيما يتصل بالله تعالىٰ خصوصًا، أو بأسمائه وصفاته، أو بأفعاله، وهذا التحرز من كمال التعظيم لله تعالىٰ؛ لأنه لا يصدر إلا عن قلب معظم لله، مجِلٍّ له، مخبت إليه، عالم جلاله وعظمته وكبرياءه، وأنه ينبغي أن يُجَلَّ فوق كل جليل، وأن يعظَّم فوق كل معظم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٢٣٧).

(٢) الفوائد (ص: ٢٠٧).

ومن تعظيم الله تعالىٰ في الأقوال ألا ينسب الشر إليه تأدبًا، قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠]، فنسب المرض إلىٰ نفسه تأدبًا، وكما قال مؤمنو الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٠]، وقد جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»(١).

الركن الثالث: تعظيم الله بالأفعال:

تعظيم الله تعالىٰ كما يكون بالأقوال يكون بالأفعال، وتعظيمه بالفعل أنواعه كثيرة فهو يشمل التعبد إلىٰ الله تعالىٰ بفعل الأوامر التي علىٰ رأس ذلك الصلاة والزكاة والصيام والحج، والطواف وغيرها من أعمال تعبدية واجبة كانت أو مستحبة، فإذا تأملها العبد فإن المقصود بها تعظيم الله تعالىٰ بفعلها خضوعًا له تعالىٰ، وبترك النواهي كذلك خضوعًا لله تعالىٰ قال الخازن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإن العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق إلا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت»(٢).

فمن يتأمل في أركان العبادات يجدها كلها تعظيمًا لله تعالىٰ، فالصلاة فاتحتها والتنقل بين أركانها يكون بالتكبير وهو تعظيم، ثم القيام لله تعالىٰ هو تعظيم كما قال تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، ثم تلاوة القرآن وهو أعظم ما يدل ويحث علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافر وقصراها، بَابُ: الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، ح رقم ١٨٤٨.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ١٨٤).

تعظيمه جَلَّ وَعَلَا، ثم الركوع وهو انحناء الظَّهر تعظيمًا لله تعالىٰ، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ»[1]، يقول ابن القيم وهو يصف ما في الصلاة من تعظيم عند كلامه عن الركوع: «ثم يرجع جاثيا له ظهره خضوعا لعظمته وتذللا لعزته واستكانة لجبروته مسبحا له بذكر اسمه العظيم فنزه عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه، وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع، قد تطامن وطأطأ رأسه وطوىٰ ظهره وربه فوقه يرىٰ خضوعه وذله ويسمع كلامه فهو ركن تعظيم وإجلال»[2]، ثم السجود الذي هو غاية التذلل والخضوع في تعظيم الله تعالىٰ، والعبد يتذكر بخضوعه بين يديه عظمته جَلَّ وَعَلَا فيقول: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ»[3]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا ما في السجود من معاني التعظيم: «ويخر له ساجدا علىٰ أشرف ما فيه وهو الوجه فيعفره في التراب ذلًا بين يديه ومسكنة وانكسارًا وقد أخذ كل عضو من البدن حظه من هذا الخضوع حتىٰ أطراف الأنامل ورؤس الأصابع وندب له أن يسجد معه ثيابه وشعره فلا يكفته وأن لا يكون بعضه محمولا علىٰ بعض وأن يتأسر التراب بجبهته وينال قبل وجهة المصلي ويكون رأسه أسفل ما فيه تكميلا للخضوع والتذليل لمن له العز كله والعظمة كلها وهذا أيسر اليسير من حقه علىٰ عبده فلو دام كذلك من حين خلق إلىٰ أن يموت لما أدىٰ حق ربه عليه ثم أمر أن يسبح ربه الأعلىٰ فيذكر علوه سبحانه في حال

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ح رقم (٤٧٩).

(٢) شفاء العليل لابن قيم الجوزي (ص: ٢٢٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصراها، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، ح رقم (٧٧٢).

سفوله هو وينزهه عن مثل هذه الحال وأن من هو فوق كل شيء وعال علىٰ كل شيء ينزه عن السفول بكل معنىٰ بل هو الأعلىٰ بكل معنىٰ من معاني العلو ولما كان هذا غاية ذل العبد وخضوعه وانكساره كان أقرب ما يكون الرب منه في هذه الحال فأمر أن يجتهد في الدعاء لقربه من القريب المجيب وقد قال تعالىٰ فاسجد واقترب وكان الركوع كالمقدمة بين يدي السجود والتوطئة له فينتقل من خضوع إلىٰ خضوع أكمل وأتم منه وأرفع شأنا»[1]؛ بل حتىٰ في النداء إليها معان عظيمة في تعظيم الله تعالىٰ؛ ولذا قال تعالىٰ في وصف الصفوة من عباده مع هذه العبادة: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١١١] فهؤلاء لما علموا عظمته كان منهم ذلك الخضوع العظيم بالفعل والقول، والخوف العظيم ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ فشملت الصلاة التعظيم لله تعالىٰ بجميع الأعضاء قال السرخسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ» والصلاة تعظيم الله تعالىٰ بجميع الاعضاء، فتعلق بكل عضو ما يليق به من التعظيم»[2].

---

(١) شفاء العليل لابن قيم الجوزي (ص: ٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) أصول السرخسي، محمد بن أحمد السرخسي (٢/ ١٦٩).

والزكاة هي خضوع لأمره جَلَّ وَعَلَا فيما جبلت النفوس أن تشح به، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣] والمراد بالركوع هنا: «الخضوع لله والإسلام له عَزَّوَجَلَّ»[١] وأن يكون مع جملة المسلمين الخاضعين لله تعالىٰ.

والصيام هو تعظيم لله تعالىٰ من خلال الامتناع عن شهوتي البطن والفرج، ولذا قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ومعنىٰ التكبير تعظيم الله تعالىٰ بالحمد والثناء عليه، قال النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بالتكبير قيل: إنه تعظيم الله تعالىٰ والثناء عليه شكرًا علىٰ ما وفق لهذه الطاعة، وتمام هذا التكبير إنما يكون بالقول والاعتقاد والعمل. فالقول: بأن يقر بصفاته العلىٰ وأسمائه الحسنىٰ وينزهه عما يليق به من ند وصاحبة وولد وتشبيه بالخلق، وكل ذلك لا يعتدّ به إلا مع الاعتقاد القلبي. وأما العمل فبالتعبد بالأوامر والتبعد عن النواهي. وهذا لا يختص بوقت استكمال عدة رمضان، ولكنه شامل لجميع الأحيان، وقيل: هو تكبير الفطر وإنه مشروع في العيدين»[٢].

والحج كله خضوع لعظمته جَلَّ وَعَلَا بداية بالتلبية والرمي والذبح، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١/ ٥١).

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٢٤٣).

﴿مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج ٣٢-٣٧].

فمن تأمل فقط في أركان الإسلام، بل في ركن كل شعيرة في هذه العبادات يجد أن مقصودها الأعظم هو تعظيم الله تعالىٰ والخضوع له ظاهرًا وباطنًا. ومن هنا كان تعظيم الشعائر من صلاة وزكاة وصيام وحج وجهاد وغيرها، بل حتىٰ تعظيم مناهيه كالزنا والخمر والربا والميسر وغيرها دليل وبرهان علىٰ تعظيم الله تعالىٰ في القلب قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يتم الإيمان إلا بتعظيمه ولا يتم تعظيمه إلا بتعظيم أمره ونهيه فعلىٰ قدر تعظيم العبد لله سبحانه يكون تعظيمه لأمره ونهيه وتعظيم الأمر دليل علىٰ تعظيم الآمر وأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به ثم العزم الجازم علىٰ امتثاله ثم المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به علىٰ أكمل الوجوه ثم فعله لكونه مأمورًا به بحيث يتوقف الإنسان علىٰ معرفة حكمته فإن ظهرت له فعله وإلا عطله فهذا من عدم عظمته في صدره بل يسلم لأمر الله وحكمته ممتثلا ما أمر به سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر فإن ورد الشرع بذكر حكمة الأمر أو فقهها العقل كانت زيادة في البصيرة والداعية في الامتثال وإن لم تظهر له حكمته لم يوهن ذلك انقياده ولم يقدح في امتثاله فالمعظِّم لأمر الله يجري الأوامر والنواهي علىٰ ما جاءت لا يعللها بعلل توهنها وتخدش

في وجه حسنها فضلا عن أن يعارضها بعلل تقتضي خلافها فهذا حال ورثة إبليس، والتسليم والانقياد والقبول حال ورثة الأنبياء»(١).

فخلاصة ما سبق أن تعظيم الله تعالىٰ ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام، وهذا يدل علىٰ أن الله تعالىٰ يستحق كل معاني التعظيم الثلاثة، فيُعظَّم بالقلب وبالقول وبالفعل، وهو واجب علىٰ كل مؤمن مكلف، وهو من مقاصد التشريع، فالمتأمل في الشرع كله تعظيم لله تعالىٰ، قال النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد لطاعته وصرف النفس عن الأمور الفانية والترغيب في السعادات الباقية»(٢)، وهذا هو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المزمل:٣] وهو تعظيم الله تعالىٰ اعتقادًا وقولًا وعملًا.

ومن هنا كان الخلل في التعظيم من علامات الكفر والنفاق ومن أعظم أسباب الشرك والضلال، قال تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ۝٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: ٩٠ - ٩٥]، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾، لإفادتها تقرير معنىٰ عظمة الله تعالىٰ وجلاله المدلول عليهما»(٣)، وقال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٣/ ٧٤).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٥٨).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥/ ٣١).

يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٤ – ٥].

ومن هنا بيَّن تعالىٰ عاقبة المستخفِّين بجوانب العظمة فقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥،٦٦]، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الاستهزاء بالدين كيف كان كفرًا بالله؛ وذلك لأن الاستهزاء يدل علىٰ الاستخفاف، والعمدة الكبرىٰ في الإيمان تعظيم الله تعالىٰ بأقصىٰ الإمكان، والجمع بينهما محال»(١)، وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني علىٰ تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة»(٢).

(١) مفاتيح الغيب (١٦/ ٩٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٤٢).

تعظيم الله تعالى

المبحث الثالث

ثمرات تعظيم الله تعالى

إعداد

د. ياسين حافظ قاري

تعظيم الله تعالى

ثمرة تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ

سبق في مبحث سابق بيان أهمية تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعظيم منزلته، وأنه أجل المنازل، وأرفعها قدرًا، وأعلاها شأنًا؛ لتعلقها بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي دالة علىٰ إيمان العبد، وقوة يقينه بالله عَزَّوَجَلَّ.

ولتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثمرات عديدة، وفوائد كثيرة، من أهمها:

- تحقيق التوحيد، وإخلاص العبادة: وذلك بنفي الأنداد والشركاء عنه، وإخلاص العبادة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمتىٰ ما امتلأ قلب العبد من تعظيم الله جَلَّ جَلَالُهُ: قوي إيمانه، وزاد يقينه[1]، ووحد معبوده، وأخلص له عمله؛ لأن المعظِّم لله عَزَّوَجَلَّ يعلم يقينًا أنه لا يستحق ذلك التعظيم إلا من كان واحدًا أحدًا فردًا صمدًا؛ واحدًا في ملكه، وواحدًا في خلقه، وواحدًا في ملكوته جَلَّ جَلَالُهُ، ويتبرأ من الشرك صغيره وكبيره: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فهذه السورة العظيمة تسمىٰ بسورة الإخلاص؛ لأنها أصلٌ في إخلاص العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإفراده بها، متضمنةٌ لصفات الكمال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مثبتةٌ له الوحدانية المطلقة، منزهةٌ له عن كل نقص وعيب، والتي جاءت ردًا علىٰ المشركين أو اليهود[2] الذي طلبوا من النبي

---

(١) ينظر: وما قدروا الله حق قدره، لعبد العزيز بن ناصر الجليل (ص٢٧٧).

(٢) بناء علىٰ ما ورد في سبب نزول هذه السورة، فقد جاء في بعضها أنهم المشركون، وبعضها أنهم اليهود الذين سألوا النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نسب الله عَزَّوَجَلَّ. ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٧).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينسب لهم الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أخرج الترمذي وغيره عن أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن المشركين قالوا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انسب لنا ربك، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فَالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلاَّ سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلاَّ سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَمُوتُ وَلاَ يُورَثُ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قال: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلاَ عِدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[(١)]، وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن اليهود أتوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: صف لنا ربك الذي تعبد، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ السورة، فقال: «هَذِهِ صِفَةُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَتَقَدَّسَ عُلُوًّا كَبِيرًا»[(٢)].

فهذا هو ربنا وإلهنا وخالقنا، المتصف بالأحدية[(٣)]، والصمدية[(٤)]، ولا

---

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الترمذي في سننه (ح٣٣٦٤، ٥/ ٤٥١)، وابن أبي عاصم في السنة (ح٦٦٣، ١/ ٢٩٧)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٩٥)، والحاكم في المستدرك (ح٣٩٨٧، ٢/ ٥٨٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: حسن بدون قوله: الصمد.. الخ.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ح٦٠٦، ٢/ ٣٨).

(٣) أي واحد أحد فرد «لا نظير له ولا وزير ولا نديد، ولا شبيه، ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ علىٰ أحد في الإثبات إلا علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله». تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٧).

(٤) اختلف السلف في المراد بالصمد علىٰ أقوال كلها دالة علىٰ وحدانيته وعظمته جَلَّ جَلَالُهُ، فهو السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، الذي كمل في سؤدده، فليس فوقه أحد، وهذا المعنىٰ مروي عن ابن عباس من طريق معاوية بن أبي صالح عن علي بن أبي طلحة عنه، وأبي وائل.. وغيرهما، وهذا هو أولىٰ الأقوال؛ لدلالة اللغة عليه، كما قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره (٢٤/ ٦٩٣).
ينظر في اختلاف المفسرين: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٩، ٦٩٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٥٠٦)، وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية المسمىٰ بـ كيفية الخلاص، للشيخ علي الطهطاوي (ص٢٤٦ ٢٤٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٧).

صاحبة ولا ولد له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، «أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظيرٌ يساميه، أو قريب يدانيه، تعالىٰ وتقدس وتنزه»(١).

وعليه فإن من عظَّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ زاد يقينه، وكمل إيمانه، ووحّد خالقه؛ لأن الإيمان بالله تعالىٰ ليس مجرد المعرفة والإقرار والتصديق، بل تستلزم تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومحبته، والإخلاص له(٢).

- تحقيق الإيمان بأسمائه وصفاته، وتعظيمها: وذلك بإثبات ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه، أو أثبته له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات، فيعلم يقينًا أن الله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وأن له من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أعلاها وأجلها.

فمن لوازم تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: تعظيم أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ، علىٰ الوجه الذي أراده الله عَزَّوَجَلَّ، دون تحريف وتشبيه وتمثيل وتعطيل(٣).

وهذا يقتضي أن كل مَن خالف في الأسماء والصفات، وفسرها علىٰ حسب هواه، فنفىٰ أو أوّل أو أخرجها عن فحواها، فإنه ما قدر الله تعالىٰ حق قدره، ولا عظمه حق تعظيمه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالذين لا

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٨).
(٢) ينظر: وما قدروا الله حق قدره (ص٢٧٨).
(٣) ينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح الفوزان (٢/ ٣١٨)، ومواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، لمحمد بن خليفة التميمي (ص٤١).

يصفونه إلا بالسلوب، لم يثبتوا في الحقيقة إلـها محمودًا، بل ولا موجودًا»[1].

وبقدر تعظيم العبد لله تعالىٰ يتحقق تعظيم أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، وإذا تمكن هذا التعظيم من قلب العبد ظهرت آثارها علىٰ أحواله وأخلاقه، وسمته وهديه[2].

- تعظيم القرآن الكريم: وذلك بالانقياد له، والتسليم لآياته، والتحاكم إليه، والرضىٰ بما فيه، وتلاوته علىٰ الدوام، وتدبر آياته.

وكيف لا يعظم العبد كتاب الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وهو كلام رب العالمين، وهو مأدبة الله تعالىٰ، كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللهِ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةُ مَنْ تَبِعَهُ، وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ فَاتْلُوهُ، فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَىٰ تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»[3]، وفيه «ربيع القلوب، وشفاء الصدور، ونور البصائر، وحياة الأرواح»، وفيه «روضات مونقات، وحدائق معجبات، زاهية أزهارها، مونقة ثمارها، قد ذللت قطوفها تذليلًا، وسهلت لمتناولها تسهيلًا، فهو يجتني من تلك الثمار خيرًا يؤمر به، وشرًا ينهىٰ عنه، وحكمة، وموعظة، وتبصرة، وتذكرة، وعبرة، وتقريرًا لحق، ودحضا لباطل، وإزالة لشبهة، وجوابا عن مسألة، وإيضاحا لمشكل، وترغيبا

---

(١) التدمرية (ص٥٩).

(٢) ينظر: كتاب وما قدروا الله حق قدره (ص٢٨٢).

(٣) الحديث بطوله أخرجه البهقي في الشعب (ح١٧٨٦، ٣/ ٣٣٣، ٣٣٤).

في أسباب فلاح وسعادة، وتحذيرًا من أسباب خسران وشقاوة، ودعوة إلىٰ هدىٰ، ورد عن ردىٰ، فتنزل علىٰ القلوب نزول الغيث علىٰ الأرض التي لا حياة لها بدونه، ويحل منها محل الأرواح من أبدانها، فأي نعيم، وقرة عين، ولذة قلب، وابتهاج وسرور لا يحصل له في هذه المناجاة، والرب تعالىٰ يسمع لكلامه، جاريا علىٰ لسان عبده، ويقول: حمدني عبدي، أثنىٰ علي عبدي، مجدني عبدي..»[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القرآن كلام الله، وقد تجلىٰ فيه لعباده بصفاته، فتارة يتجلىٰ فيه جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتنكسر النُّفُوس، وتخشع الْأَصْوَات، ويذوب الْكبر كَمَا يذوب الْملح فِي المَاء..»[2].

فكتاب هذه أوصافه أفلا يعظم لتعظيم قائله؟

حث الله تعالىٰ عباده علىٰ النظر في القرآن الكريم، والتفكر فيه، وتدبره آياته، كقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، وأمثالها من الآيات التي تبين أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب من عباده أن يتدبروا كلامه؛ لأنه هو النور والهدىٰ والصراط المستقيم، ولذا كان رغبة أهل الحق والرشاد في فهم القرآن، وتصور معانيه أعظم

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص٢٢٨).

(٢) الفوائد (ص٦٩).

الرغبات[1]، فكان من توفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمن عظمه أن يوفقه لتدبر كلامه، وفهم آياته، والاهتداء بهديه؛ لأن من عظم الله عَزَّوَجَلَّ فتح الله قلبه، وأزال عنه الغشاوة، وفتح له مغاليق الأمور، ويسر له سبل الفهم والمعرفة، وهذا هو مفهوم قوله: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾، فالقلب «بمنزلة الباب المرتج الذي قد ضرب عليه قفل، فإنه ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب، والوصول إلىٰ ما وراءه، وكذلك ما لم يرفع الختم والقفل عن القلب، لم يدخل الإيمان والقرآن»[2]، ولا أبلغ وأعظم وأنجع من تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ في القلب لفتح القفل.

ومن مظاهر تعظيم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ:

- تعاهده بالحفظ والتلاوة، قال الله تعالىٰ: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] «أي: يقومون الليل، ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم، يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات»[3].
- تدبر آياته، والتفكر فيها، كما تقدم ذكره من آيات في الأمر بالتدبر والحث عليه.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٥٧)، وينظر: مدارج السالكين (١/ ٤٤٩ وما بعدها) فقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلًا بعنوان: فوائد تدبر القرآن وتأمل معانيه.

(٢) شفاء العليل لابن القيم (ص٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٩١).

- العمل بمضمونه، فيحل حلاله، ويحرم حرامه، ويتحاكم إليه، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ويقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].
- تعلمه وتعليمه، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(١).
- إكرام أهله وحملته وحفاظه، فأهل القرآن هم أهل الله وخاصة، كما ورد ذلك عن المصطفىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»(٢)، فمن توقير الله تعالىٰ توقير حملة كتابه.
- صيانته وعدم العبث منه، وقد أجمع العلماء علىٰ وجوب صيانة المصحف واحترامه، فلو ألقاه متعمدًا والعياذ بالله في قاذورة كفر(٣)؛ لأنه كلام الله تعالىٰ، فإهانته إهانة لله عَزَّوَجَلَّ، وبالتالي تعظيمه تعظيم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اتفق المسلمون علىٰ أن من استخف بالمصحف، مثل أن يلقيه في الحُش، أو يركضه برجله إهانة له: إنه كافر مباح الدم»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٥٠٢٧، ٦/ ١٩٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (ح٢١٥، ١/ ١٤٦)، وأحمد في مسنده (ح١٢٢٩٢، ١٩/ ٣٠٥) بسند صحيح، كما قال الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٣٢)، وصحيح الترغيب والترغيب (٢/ ١٦٨).

(٣) قاله النووي في المجموع شرح المهذب (٢/ ٧١).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٤٢٥).

ويقول القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبَّهما، أو جحده أو حرفًا منه، أو آية، أو كذب به أو بشيء منه، أو كذب بشيء مما صُرح فيه من حُكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفىٰ ما أثبته علىٰ علم منه بذلك، أو شكَّ في شيء من ذلك، فهو كافر عند أهل العلم بإجماع، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]»[١].

◉ محبة الله جَلَّ جَلَالُهُ، وتقديم محابه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ علىٰ جميع المحاب[٢]:

إذا عرف العبد ربه حقيقة المعرفة، وعظمه حقيقة التعظيم، كان لزامًا أن يحبه الحب كله، ويقدم محبته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ علىٰ كل محبة، وطاعته علىٰ كل طاعة، رضي من رضي وسخط من سخط، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فلا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا ربها ومولاها علىٰ غيرها[٣].

وما أحسن ما قال الشاعر[٤]:

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (٢/ ٣٠٤).

(٢) ينظر: كتاب وما قدروا الله حق قدره (ص٢٧٨، ٢٧٩).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٨٦).

(٤) هو: أبو فراس الحمداني، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدارج (٢/ ٢٨٦): «ولقد أحسن أبو فراس في هذا المعنىٰ، إلا أنه أساء كل الإساءة في قوله، إذ يقوله لمخلوق لا يملك له ولا لنفسه نفعًا ولا ضرًا».

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَىٰ وَالْأَنَامُ غِضَابُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ
إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ يَا غَايَةَ فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

ويقول أبو العتاهية(١):

تَعْصِي الْإِلَٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَٰذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صادقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

والحب التام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يوجب الذل والطاعة، والاستسلام والانكسار، ولهذا كان أعلىٰ درجات الحب: التتيم، وهو التعبد، وتيم الله، أي: عبد الله، فالقلب المتيم هو المعبد لمحبوبه، وهذا لا يستحقه إلا الله تعالىٰ وحده(٢)، روي عن إبراهيم بن علي المرثدي أنه قال: «من المحال أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ثم لا يُشغلك به عما سواه» (٣)، ويقول يحيىٰ بن معاذ: «حقيقة المحبة: ألا ترىٰ شيئًا سوىٰ محبوبك، ولا ترىٰ سواه لك ناصرًا ولا معينًا، ولا تستغني بغيره عنه»(٤).

---

(١) هو: أبو إسحاق، إسماعيل بن القاسم بن سويد العنزي.
أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٥) عن محمد بن هارون الفقيه يقول: سمعت السختياني يتمثل بقول إسماعيل بن القاسم أبي العتاهية ويقول.. فذكره.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٥/ ١٦٣).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بسنده (٢/ ١٨، ١٩).

(٤) المصدر السابق (٢/ ١٩).

◉ محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطاعته، وتعظيم سنته: فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المبلغ عن الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، فالمعظم لله عَزَّوَجَلَّ يوفقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يقدم شيئًا علىٰ محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه المحبة هي دليل الإيمان الصادق، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١)، وعن عبد الله بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له عمر: يارسول الله! لأنت أحبُّ إلي من كل شيءٍ إلا من نفسي، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إلي من نفسي، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآنَ يَا عُمَرُ»(٢).

فإذا صدق العبد في محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حشره الله عَزَّوَجَلَّ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقد جاء رجل من الأنصار إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهل ومالي، ولولا أني آتيك فأراك لظننت أني سأموت، وبكىٰ الأنصاري، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْكَاكَ؟» قال: ذكرت أنك ستموت ونموت، فترفع مع النبيين، ونحن إن

---

(١) الحديث بهذا اللفظ متفق عليه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صحيح البخاري (ح١٥، ١/ ١٢)، وصحيح مسلم (ح٤٤، ١/ ٦٧)، وبلفظ مختصر دون (الناس أجمعين) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ح١٤، ١/ ١٢)، وينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٨/ ٣٣٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٦٦٣٢، ٨/ ١٢٩).

دخلنا الجنة كنا دونك، فلم يخبره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ إلى قوله: ﴿.. وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠]، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْشِر»[(١)].

وتعظيم النبي معناه: الاستسلام له، والسمع والطاعة، والإقبال عليه، وانشراح الصدر له، والرضا بحكمه، وبحسب هذا التعظيم تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أنه بحسب محبته للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومتابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فقد أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعدم إيمان من لا يحكِّمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما تنازع فيه هو وغيره، ثم يرضى بحكمه، ولا يجد في نفسه حرجًا مما حكم به، ثم يسلم له تسليمًا، وينقاد له انقيادًا[(٢)]، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] أي: ينقادوا ويرضوا بذلك.

ويستلزم هذا قبول حديثه بالسمع والطاعة، والاستجابة المطلقة، فحينئذ تكتب له الحياة الهانئة، والسعادة الحقيقية، والاطمئنان والرضا،

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه كما في التفسير من السنن (٤/ ١٣٠٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (ح١٣١٧، ٢/ ٥٠٤)، والحديث بشواهده وطرقه صحيح إن شاء الله، كما ذكر محقق تفسير سعيد بن منصور.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (١/ ٣٩).

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فالحياة الحقيقية هي في طاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتباع أوامره؛ لأن ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو كما جاء عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، ويقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»(١).

واتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعظيمه وتعظيم سنته، وطاعته هو الدليل علىٰ محبة العبد لله، ومحبة الله عَزَّ وَجَلَّ للعبد، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١]، فهذه الآية العظيمة «تسمىٰ آية المحبة، قال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما ادعت القلوب محبة الله، أنزل الله لها محنة ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ..﴾.

قال بعض السلف: ادعىٰ قوم محبة الله، فأنزل الله آية المحبة.

وقال: ﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ إشارة إلىٰ دليل المحبة وثمرتها، وفائدتها، فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول، وفائدتها وثمرتها: محبة المرسِل لكم، فما

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح١٧١٧٤، ٢٨/ ٤١٠، ٤١١)، وأبو داوود في سننه (ح٤٦٠٤، ٧/ ١٣)، والمروزي في السنة (ح٢٤٤، ص٧٠) ثلاثتهم من حديث المقداد بن معدي كرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، بسند صحيح، كما قال الأرناؤوط في تحقيقه للمسند، والألباني في السلسلة الصحيحة (ح٨٦، ١/ ١٢٦، ١٢٧).

لم تحصل المتابعة، فليست محبتكم له حاصلة، ومحبته لكم منتفية»[1].

- محبة الله تعالىٰ للمعظمين: وهذه من أينع الثمار وأهمها، إذ هي ملاك الخير، والعبد إذا عظم الله تعالىٰ أحبه مولاه سبحانه؛ لأن الله تعالىٰ يحب من يعظمه، وإذا أحب الله تعالىٰ عبده فتح له المغاليق، ويسر له الأمور، وسهل له كل عسير، وأنار له الدروب، وشرح صدره، وأنار قلبه، فعن قتادة بن النعمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا[2] كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءَ»[3].

والمعظم لله تعالىٰ من أوليائه عَزَّوَجَلَّ، الذين قال فيهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٢٢)، وينظر: نضرة النعيم (٨/ ٣٣٢٩).

(٢) هكذا عند من خرج الحديث، وذكره ابن رجب الحنبلي في: جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٠) بلفظ: (حماه عن الدنيا)، وهو المقصود من الحديث، قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٢٨٦): «أي: حفظه من مال الدنيا ومنصبه، وما يضر بدينه، ونقصَه في العقبىٰ، قال الأشرف: أي منعه عنها، ووقاه من أن يتلوث بزينتها، كيلا يمرض قلبُه بداء محبتها».

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (ح٢٠٣٦، ٤/ ٣٨١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (ح١٩٥٧، ٤/ ١٣)، وأبو يعلىٰ الموصلي في المسند (ح٦٨٦٥، ١٢/ ٢٧٨)، والحاكم في المستدرك (ح٧٤٦٤، ٤/ ٢٣٠) كلهم من طريق محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (ح٣٠٦، ١/ ٣٥٨) من طريق محمود بن لبيد عن عقبة بن نافع.
والحديث صححه الحاكم حيث قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وشيوخ هذا الحديث وبيانه فيما أمر به عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ووافقه الذهبي في تعليقه، وكذا صححه الشيخ الألباني في صحيح موارد الظمآن إلىٰ زائد ابن حبان (ح٢٠٩٤، ٢/ ٤٦٨)، وصحيح سنن الترمذي.

بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

وعلىٰ قدر تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ في القلب تكون المحبة ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٤٥، والحديد: ٢١، والجمعة: ٤]، وإذا أحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبدًا ألقىٰ محبته في قلوب أهل السماء والأرض، ووضع له القبول بين الناس، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ»(٢)، ومن أقوىٰ علامات حب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للعبد - كما يقول ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - «حسن التدبير له، يربيه من الطفولة علىٰ أحسن نظام، ويكتب الإيمان في قلبه، وينور له عقله، فيتبع كل ما يقربه، وينفر عن كل ما يبعد عنه، ثم يتولاه بتيسير أموره، من غير ذل للخلق، ويسدد ظاهره وباطنه، ويجعل همه همًا واحدًا، فإذا زادت المحبة، شغله به عن كل شيء»(٣).

◉ تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ للمعظمين: إذا عظّم العبدُ ربه عظمه مولاه، وإن شكر الله شكره مولاه، وإن ذكر الله ذكره مولاه، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٠٢، ٨/ ١٠٥).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واللفظ للبخاري: صحيح البخاري (ح٧٤٨٥، ٩/ ١٤٢)، وصحيح مسلم (ح٢٦٣٧، ٤/ ٢٠٣٠).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص٣٤٩).

﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، روي عن أبي سعيد الخزاز أنه قال في تفسير الآية: «هل جزاء من انقطع عن نفسه إلا التعلق بربه؟ وهل جزاء من انقطع عن أنس المخلوقين إلا الأنس برب العالمين، وهل جزاء من صبر علينا إلا الوصول إلينا؟ ومن وصل إلينا هل يَجمُل به أن يختار علينا؟ وهل جزاء التعب في الدنيا، والنصب فيها، إلا الراحة في الآخرة؟ وهل جزاء من صبر علىٰ البلوىٰ إلا التقرب إلىٰ المولىٰ؟ وهل جزاء من سلم قلبه أن نجعل توليته إلىٰ غيرنا؟ وهل جزاء من بعُد عن الخلق إلا التقرب إلىٰ الحق؟»[1].

فمن كرم الله تعالىٰ علىٰ عباده أنه يجازيهم من جنس أعمالهم، فالجزاء من جنس العمل[2]، كما دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة علىٰ ذلك، يقول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ويقول سبحانه عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، فأهل الإحسان اختصوا بقرب الرحمة؛ «لأنها إحسان من الله عَزَّوَجَلَّ أرحم الراحمين، وإحسانُه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إنما يكون لأهل الإحسان؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وكلما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته..»[3].

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ١٩).

(٢) كما نص علىٰ ذلك أهل العلم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومثل هذا في الكتاب والسنة كثيرٌ، يبين فيهما أن الجزاء من جنس العمل..». مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٤٨٣).
وينظر: إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ١٥٠)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٤٨)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١/ ٤٦٥، ٢/ ٢٨٥، ٢/ ٥٥٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٧٧، ١٢/ ٤٢٩)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للملا علي القاري (٦/ ٢٠٨، ٨/ ١٩٠ وغيرها)، وفيض القدير للمناوي (١/ ٨٣، ١/ ٢٤٩.. وغيرها).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٢٧)، وبنحوه قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ١٧).

وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، دلالة علىٰ ذلك كذلك، فكما تدين تدان، «يعني يجازيهم جزاء سخريتهم، وهذا من باب المقابلة علىٰ سوء صنيعهم، واستهزائهم بالمؤمنين؛ لأن الجزاء من جنس العمل»(١).

والآيات في الباب كثيرة، وكذلك في سنة المصطفىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومما ورد في السنة:

قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»(٢)، بمعنىٰ يرق قلبه علىٰ غيره؛ لأن الجزاء من جنس العمل(٣).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للملا علي القاري (٨/ ٢٧٧).

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: صحيح البخاري (ح١٢٨٤، ٢/ ٧٩)، وصحيح مسلم (ح٩٢٣، ٢/ ٦٣٥).
فائدة جميلة ذكرها المناوي عن الإمام الجويني، قال: «إن له جوابا حقه أن يكتب بماء الذهب علىٰ صفحات القلوب، وهو أن لفظ الجلالة دال علىٰ العظمة والكبرياء، ولفظ الرحمن دال علىٰ العفو بالاستقراء، حيث ورد لفظ الجلالة يكون الكلام مسوقا للتعظم، فلما ذكر لفظ الجلالة في قوله: «إنما يرحم الله» لم يناسب معها غير ذكر من كثرت رحمته وعظمت؛ ليكون الكلام جاريا علىٰ نسق العظمة، ولما كان الرحمن يدل علىٰ المبالغة في العفو، ذكر كل ذي رحمة وإن قلت» انتهىٰ. فيض القدير (٤/ ٤٢).

(٣) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (١/ ٣٦٥).

فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[(١)]، ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جملة من الأمور يجازىٰ العبد بمثلها، يقول ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ: «هذا يرجع إلىٰ أن الجزاء من جنس العمل، وقد تكاثرت النصوص بهذا المعنىٰ»[(٢)].

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًا[(٣)]، يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «ولذلك كان الجزاء مماثلًا للعمل من جنسه في الخير والشر، فمن ستر مسلمًا ستره الله، ومن يسر علىٰ معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن أقال نادمًا أقال الله عثرته يوم القيامة، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن ضار مسلمًا ضار الله به، ومن شاق شاق الله عليه، ومن خذل مسلمًا في موضع يجب نصرته فيه خذله الله في موضع يجب نصرته فيه، ومن سمح سمح الله له، والراحمون ي رَحِمَهُمُٱللَّهُ.. فهذا شرع الله وقدره ووحيه وثوابه وعقابه، كله قائم بهذا الأصل، وهو إلحاق النظير بالنظير، واعتبار المِثل بالمثل»[(٤)].

وعليه فإن جزاء من عظّم الرب سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عظمه الله جَلَّجَلَالُهُ، وهذا من أعظم الثمرات وأجلها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح٢٦٩٩، ٤/ ٢٠٧٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٨٥).

(٣) كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ وغيره، ينظر: جامع المسائل (٤/ ٢٧٢)، ومجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٧٩).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٥٠)

◉ خشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والخضوع له، والتذلل بين يديه، والاستكانة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: وهذه الثمرة من لوازم التعظيم، فـ«من عرف الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ، عرف عظمته سبحانه في قدرته وانتقامه، وعقوبته، وسعة سمعه، وعلمه، وبصره لكل المسموعات وكل المبصرات، وكل ما تكنه الضمائر والصدور، وإن هذه المعارف لا بد أن تثمر في القلوب والأبدان خشية الله عَزَّوَجَلَّ، والخوف منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والوجل من عقابه عند عصيانه، وذلك بما ينتقم به سبحانه ممن عصاه في الدنيا أو في الآخرة، وكلما كان العبد بالله أعرف، كان لله أخشىٰ وأخوف»[(١)]، لذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أخشىٰ الناس لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أخرج الشيخان عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[(٢)].

وإن المتأمل لهذه الثمرة يجد حلاوة العبادة ولذتها، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خاضعًا خاشعًا ذليلًا حتىٰ تتفطر قدماه، وهو من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقال له في ذلك، فيقول بلسان الواثق المتيقن بالله تعالىٰ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[(٣)]، وكانت راحته وطمأنينته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أداء العبادات؛ لما يحمل في قلبه من تعظيم المولىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فكان يقول لبلال عندما يصاب بالهم: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»[(٤)]؛ لأن أداء الصلاة وبقية العبادات والطاعات بهذه الرغبة والمحبة ثمرة من ثمرات

---

(١) كتاب: وما قدروا الله حق قدره (ص٢٧٩، ٢٨٠).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (ح٦١٠١، ٨/ ٢٦)، وصحيح مسلم (ح٢٣٥٦، ٤/ ١٨٢٩).

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري (ح١١٣٠، ٢/ ٥٠)، وصحيح مسلم (ح٢٨١٩، ٤/ ٢١٧١).

(٤) أخرجه أبو داوود في سننه (ح٤٩٨٥، ٧/ ٣٣٨) بإسناد صحيح، كما قال الألباني، والأرناؤوط.

تعظيم المولىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ [1].

والخشية من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ «من أجل منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهي فرض علىٰ كل أحد، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]» [2]، وهي ملاك

---

(١) ولابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقالة جميلة في شأن الصلاة، وكيفية تقويمها هي وغيرها من العبادات ببركة تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في كل أعمالها وأركانها وواجباتها، بل ومقدماتها وشروطها، وما فيها من حِكم عجيبة، مبينًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجه تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ في كل جزء من أجزائها، وركن من أركانها، وحركة من حركاتها، وذكر من أذكارها، بكلام غاية في الجمال والإتقان والإبداع، بكلام يدل علىٰ أن الخضوع والخشوع لله في العبادات، ناشئ عن تعظيمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأثر من آثار إجلاله عَزَّوَجَلَّ. ينظر كلامه بتمامه في: شفاء العليل (ص٢٢٧ ٢٣٠).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٠٧).

فائدة: الآيات التي استدل بها ابن القيم علىٰ الخوف، جاء في بعضها: الخشية، فهل هما بمعنىٰ واحد؟

الجواب: من القواعد المقرر عند أهل التفسير أن القرآن الكريم ألفاظه متقاربة لكنها غير مترادفة، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوجل، والخوف، والخشية، والرهبة، ألفاظ متقاربة غير مترادفة».

وأهل العلم ذكروا عدة فروقات بين الخوف والخشية:

الأول: أن الخشية هي أعظم منازل الخوف، فهي أخص من الخوف.

الثاني: أن الخشية خوف مع محبة وتعظيم، أما الخوف فلا يستلزم ذلك؛ لأنك قد تخاف شخصًا وأنت تكرهه.

الثالث: أن الخشية تكون مقرونة بالعلم، أما الخوف فلا يستلزم ذلك، فقد يكون عن عدم علم؛ لأنك قد تخاف من مجهول، لكن لا تخشىٰ إلا ممن تعرف، يقول الله تعالىٰ: ﴿إنما يخشىٰ الله من عباده العلماءَ﴾ [فاطر: ٢٨]، فالعلماء أكثر الناس خشية لله تعالىٰ؛ لأنهم عرفوه حقيقة المعرفة، فكانت خشيتهم له ناشيء عن تعظيمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كل خير في الدنيا والآخرة، فموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما أمره ربه بأن يدعو فرعون بالكلام اللين السهل، أمره أن يقول له: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]، فدعاه إلىٰ الخشية؛ لأنها ملاك الخير كله، وهي المنجية بأمر الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهي نتيجة حتمية لتعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، وصدق الصادق المصدوق صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ»(١).

وحقيقة الخشية كما يقول ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله خلق الخلق؛ ليعرفوه ويعبدونه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة علىٰ عظمته وكبريائه؛ ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه؛ ليتقوه بصالح الأعمال، ولهذا كرر سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في كتابه ذكر النار، وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال، وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال، إلىٰ غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال، ودعا عباده بذلك إلىٰ خشيته وتقواه، والمسارعة إلىٰ امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهىٰ عنه ويكرهه ويأباه، فمن تأمل الكتاب والكريم، وأدار فكره فيه، وجد من ذلك العجب العجاب، وكذلك السنة الصحيحة التي هي مفسرة ومبينة لمعاني الكتاب، وكذلك سير السلف الصالح أهل العلم والإيمان من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، من تأملها علم أحوال القوم، وما كانوا عليه من الخوف والخشية

(١) جزء من حديث رواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: أخرجه الترمذي في سننه (ح٢٤٥٠، ٤/ ٦٣٣)، والحاكم في مستدركه (ح٧٨٥١، ٤/ ٣٤٣) وصححه، وكذا صححه الألباني في صحيح الترمذي، وقال في صحيح الترغيب والترغيب: صحيح لغيره.

والإخبات، وأن ذلك هو الذي رقاهم إلىٰ تلك الأحوال الشريفة، والمقامات السَّنيَّات، من شدة الاجتهاد في الطاعات، والانكفاف عن دقائق الأعمال والمكروهات، فضلًا عن المحرمات.

ولهذا قال بعض السلف: خوف الله تعالىٰ حجب قلوب الخائفين عن زهرة الدنيا، وعوارض الشبهات» انتهىٰ كلامه(١).

فالخوف من الله عَزَّوَجَلَّ إذا استقر في القلب، زال الخوف من المخلوق الضعيف، الذي لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، الخوف الذي يجعل العبد يقصر في فعل واجب، أو يدفعه إلىٰ أمر محرم(٢)؛ لأن الخوف من الله إذا استولىٰ علىٰ القلب، وعظم في النفس، هان لدىٰ العبد كل مخلوق ضعيف، فتتبدد مخاوفه، ويحل محلها الشجاعة والطمأنينة، والإقدام، وعدم الانصياع للتهديد والمخاوف(٣).

أخرج البيهقي في الشعب وغيره عن أبي الحُريش أحمد بن عيسىٰ الكِلابي يقول: سمعت يحيىٰ بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينشد(٤):

إِنَّ الْمَلِيكَ قَدِ اصْطَفَىٰ خُدَّامًا ... مُتَوَدِّدِينَ مُوَاطِئِينَ كِرَامَا
رُزِقُوا الْمَحَبَّةَ وَالْخُشُوعَ لِرَبِّهِمْ ... فَتَرَىٰ دُمُوعَهُمْ تَسِحُّ سِجَامَا
يُحْيُونَ لَيْلَتَهُمْ بِطُولِ صَلَاتِهِمْ ... لَا يَسْأَمُونَ إِذَا الْخَلِيُّ نَامَا
قَوْمٌ إِذَا رَقَدَ الْعُيُونُ رَأَيْتَهُمْ ... صَفُّوا لِشِدَّةِ خَوْفِهِ أَقْدَامَا

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٤/ ٩٣، ٩٤).
(٢) ينظر: ولله الأسماء الحسنىٰ، للجليل (ص٢٠٨).
(٣) المصدر السابق.
(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٤٣).

وَتَخالَهُمْ مَوْتَىٰ لِطُولِ سُجُودِهِمْ ... يَخْشَوْنَ مِنْ نَارِ الإِلَهِ غَرَامَا
شُغِفُوا بِحُبِّ اللهِ طُولَ حَيَاتِهِمْ ... فَتَجَنَّبُوا لِوِدَادِهِ آثَامَا

فمن عظم الله عَزَّوَجَلَّ خافه في السر والعلن، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وكان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»(١).

والعبد المعظم إذا خشي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: رق قلبه، وخشعت جوارحه، وبكت عينه، ولهج لسانه بذكره، وسكنت جوارحه، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿...إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢)، يقول ابن رجب: «فهذا رجل يخشى الله في سره، ويراقبه في خلوته،

---

(١) جزء من حديث طويل من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أخرجه أحمد في مسنده (ح١٨٣٢٥، ٣٠/ ٢٦٣، ٢٦٥)، والنسائي في سننه (ح١٣٠٥، ٣/ ٥٤)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان، ح١٩٧١، ٥/ ٣٠٤)، والحاكم في المستدرك (ح١٩٢٣، ١/ ٧٠٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وكذا صححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (ح٢٤٩٧، ٢/ ٧٦٩).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (ح٦٦٠، ١/ ١٣٣)، وصحيح مسلم (ح١٠٣١، ٢/ ٧١٥).

وأفضل الأعمال: خشية الله في السر والعلانية، وخشية الله في السر إنما تصدر عن قوة إيمان، ومجاهدة للنفس والهوىٰ، فإن الهوىٰ يدعو في الخلوة إلىٰ المعاصي، ولهذا قيل: إن من أعز الأشياء: الورع في الخلوة..»[1].

وقد وصَفَ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا الصحابة، فقال: «كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في اليوم الشديد الريح، وجرت دموعهم علىٰ ثيابهم»[2].

◉ لزوم الحياء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: الحياء من أعظم الخلال، وأحسن الأخلاق، وأجل الصفات، بل هو رأس المكارم وعمود الأخلاق، من تخلق به اكتسب المروءة والشرف والفضل، ومن حرمه حرم الخير كله[3]؛ إذ هو زينة الإيمان، وشعار الإسلام[4]، كما دل علىٰ ذلك حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا ۚ وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»[5]، وعن أبي

---

(١) فتح الباري لابن رجب الحنبلي (٦/ ٥٠)، وينظر: وما قدروا الله حق قدره (ص٢٩٤، ٢٩٥).

(٢) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٥١٩).

(٣) يقول أبو حاتم في كتابه: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص٥٨): «فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة، كما أن الواقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدومًا، وتواتر الشر منه موجودًا؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها، فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها، وبضعف الحياء تقوىٰ مباشرته إياها، ولقد أحسن الذي يقول:

وَرُبَّ قبيحةٍ مَا حَالَ بيني ... وبَينَ رُكُوبِها إلا الحياءُ
فكانَ هُوَ الدَّواءُ لها وَلَكِنْ ... إِذَا ذَهَبَ الحيَاءُ فَلا دَوَاءُ»

(٤) روي عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: الحياء نظام الإيمان، فإذا انحل النظام ذهب ما فيه. ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (٢/ ٢٢٧).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه (ح٤١٨١، ٥/ ٢٧٦، ٢٧٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (ح٨٦١، ٢/ ٨٤٩)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (المنتقىٰ ح١٢٣، ١/ ٦٦، ٦٧)، =

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ مِنَ النَّارِ»(١)، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»(٢).

والحياء ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه(٣)، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياء من العذراء في خدرها(٤)، روي عن الحسن

= والطبراني في الكبير (ح١٧٥٨، ٢/ ٢١٠) كلهم من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد صححه لغيره الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ح٢٦٣٣، ٣/ ٥)، والسلسلة الصحيحة (ح٩٤٠، ٢/ ٦١٦، ٦١٧).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح١٠٥١٢، ١٦/ ٣٠٥)، والترمذي في سننه (ح٢٠٠٩، ٤/ ٣٦٥) كلاهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن ماجه في سننه (ح٤١٨٤، ٥/ ٢٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحح إسناده الترمذي فقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح.
وأخرجه البخاري ومسلم بلفظ مختصر من حديث ابن عمر رضي اله عنهما، وفيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلًا يعظ أخاه في الحياء فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ». صحيح البخاري (ح٢٤، ١/ ١٤)، وصحيح مسلم (ح٥٩، ١/ ٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح ١٣١٣ ص٧٣٩)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (ح٨٨٤، ٢/ ٨٧٠)، والحاكم في المستدرك (ح٥٨، ١/ ٧٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجا برواته، ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص٤٩٩).

(٣) كما جاء بذلك حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ». أخرجه أحمد في مسنده (ح١٢٦٨٩، ٢٠/ ١١٨)، والترمذي في سننه (ح١٩٧٤، ٤/ ٣٤٩)، وابن ماجه في سننه (ح٤١٨٥، ٥/ ٢٨٠)، صححه الألباني في صحيح الترغيب (ح٢٦٣٥، ٣/ ٦).

(٤) في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياء =

البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «أربع من كنَّ فيه كان كاملًا، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحي قومه: دينٌ يرشده، وعقلٌ يسدده، وحسَبٌ يصونه، وحياءٌ يقوده»(١).

قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب علىٰ العاقل لزوم الحياء؛ لأنه أصل العقل وبذر الخير، وتركه أصل الجهل وبذر الشر، والحياء يدل علىٰ العقل، كما أن عدمه دال علىٰ الجهل»(٢).

ولأهمية الحياء من الله عَزَّوَجَلَّ وفضيلته أوصىٰ به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: بعثني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ قوم، فقلت: يا رسول الله! أوصني، قال: «اعْبُدِ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وأَفْشِ السَّلَامَ، وَابْذُلِ الطَّعَامَ، وَاسْتَحِي مِنَ اللهِ اسْتِحْيَاءَكَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِكَ، وَإِذَا أَسَأتَ فَأَحْسِنْ، وَلْتُحَسِّنْ خُلُقَكَ مَا اسْتَطَعْتَ»(٣).

وعن سعيد بن يزيد الأزدي قال: قال رجلٌ لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوصني، قال: «أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِي مِنَ اللهِ كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ

= من العذراء في خدرها، فإذا رأىٰ شيئًا يكرهه، عرفناه في وجهه. صحيح البخاري (ح٦١٠٢، ٨/ ٢٦)، صحيح مسلم (ح٢٣٢٠، ٤/ ١٨٠٩).

(١) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ٢٢٧).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص٥٦)، وينظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (الموضع السابق).

(٣) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (ح٨٢٥، ٢/ ٨٢٧)، والبزار في مسنده (البحر الزخار، ح٢٦٤٢، ٧/ ٨٩)، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٣٥٥٩، ٧/ ١٥١٨، ١٥١٩).

قَوْمِكَ»(١)، يقول ابن جرير في شرح الحديث: «هذا أبلغ موعظة، وأبين دلالة، بأوجز إيجاز، وأوضح بيان، إذ لا أحد من الفسقة إلا وهو يستحي من عمل القبيح عن أعين أهل الصلاح، وذوي الهيئات والفضل أن يراه وهو فاعله، والله مطلع علىٰ جميع أفعال خلقه، فالعبد إذا استحىٰ من ربه استحياءه من رجل صالح من قومه، تجنب جميع المعاصي الظاهرة والباطنة، فيا لها من وصية ما أبلغها، وموعظة ما أجمعها»(٢).

فالحياء الحقيقي هو الذي يعينك علىٰ الطاعة، ويبعدك عن المعصية، هذه الحقيقة بيَّنها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَحْيُوا مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»، فقلنا: يا رسول الله، إنا نستحيي والحمد لله، قال: «لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَىٰ وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَىٰ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»(٣)، «وكلما ضعف تعظيم الله في القلب قل الحياء منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتىٰ يصل بصاحبه إلىٰ المجاهرة بالمعصية، والتباهي بها، وهذا غاية الوقاحة

(١) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (ح٨٢٦، ٢/ ٨٢٧)، وابن بشران في أماليه (ح١٥، ص٣٠)، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٧٤١، ٢/ ٣٦٦).

(٢) نقله عنه المناوي في فيض القدير (٣/ ٧٤)، والأمير الصنعاني في التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٣١٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (ح٢٤٥٨، ٤/ ٦٣٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (ح٤٥٠، ١/ ٤٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وفي صحيح الترغيب والترهيب (ح١٧٢٤، ٢/ ٣١٩).

والخذلان، وعدم الحياء من الله عَزَّوَجَلَّ أو من خلقه»[(١)].

وعليه فإن من أراد الوصول إلىٰ هذا الخلق العظيم، وإدراكه في نفسه، والانتفاع به في طاعة ربه، فعليه بتعظيم خالقه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في قلبه، وظهور ذلك التعظيم علىٰ جوارحه؛ لأن الحياء خلق لا يدركه حقيقة إلا مَن وقر في قلبه تعظيم الخالق جَلَّجَلَالُهُ، فهو ثمرة من ثمراته، ونتيجة حتمية من نتاجه، فالعبد إذا عظّم خالقه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ استحىٰ منه، فالحياء فضيلة ناشئة عن تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ، يقول المروزي رَحِمَهُٱللَّهُ: «وهو - أي الحياء - هائجٌ عن المعرفة بعظمة الله وجلاله وقدرته؛ لأنه إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد، أورثه الحياء من الله والهيبة له، فغلب علىٰ قلبه ذكرُ اطِّلاع الله العظيم، ونَظَرِهِ بعظمته وجلاله إلىٰ ما في قلبه وجوارحه، وذكر المقام غدًا بين يديه وسؤاله إياه عن جمع أعمال قلبه وجوارحه، وذكرُ دوام إحسانه إليه، وقلةِ الشكر منه لربه، فإذا غلب ذكرُ هذه الأمور علىٰ قلبه، هاج منه الحياء من الله، فاستحىٰ اللهَ أن يطلع علىٰ قلبه وهو معتقدٌ لشيء مما يكره، أو علىٰ جارحةٍ من جوارحه يتحرك بما يكره، فطهّر قلبه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه..»[(٢)].

◉ التلذذ بالطاعة، والسكون والطمأنينة في القلب: إذا وصل المعظم للخشية من الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وخضعت جوارحه له عَزَّوَجَلَّ، وسكن فؤاده بذكره جَلَّجَلَالُهُ، فإنه يصل لهذه المرتبة العالية، والثمرة الرفيعة، وهي: أن يجد حلاوة في قلبه لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ولا يقدرها إلا من ذاقها، ويسكن

(١) وما قدروا الله حق قدره (ص٢٨٦).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٢٦، ٨٢٧)، وينظر: كتاب وما قدروا الله حق قدره (ص٢٨٣).

فؤاده، ويطمئن قلبه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد ٢٨].

فالتعظيم لله عَزَّوَجَلَّ، والتسليم له محبة وخوفًا ورجاءً، يثمر في القلب حلاوة ولذة وأنسًا[1]، يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[2].

والسكينة ذكرها الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم في ستة مواضع، وهي:

- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ..﴾ [البقرة: ٢٤٨].
- وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ..﴾ [التوبة: ٢٦].
- وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا..﴾ [التوبة: ٤٠].
- وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ..﴾ [الفتح: ٤].
- وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح: ١٨].

---

(١) ينظر: كتاب وما قدروا الله حق قدره (ص٢٩٢).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (ح١٦، ١/ ١٢) واللفظ له، وصحيح مسلم (ح٤٣، ١/ ٦٦، ٦٧).

◉ وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الفتح: ٢٦].

وهذه الآيات فيها السكون والطمأنينة والراحة، وقد كان شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا اشتدت عليه الأمور قرأها، ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد جرَّبت أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه، فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته، وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات..»(١).

فإذا وصل العبد المعظم لهذه المرتبة، فإنه يقبل للعبادة بهمة ونشاط وفرح وسرور، فيصل للسعادة الحقيقية في الدنيا التي لا تعادلها سعادة، وهي عاجل بشرىٰ المؤمن، وجنته في الدنيا قبل الأخرىٰ، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاحرص أن يكون همك واحدًا، وأن يكون هو الله وحده، فهذا غاية سعادة العبد، وصاحب هذه الحال في جنة معجلة قبل جنة الآخرة، وفي نعيم معجل، كما قال بعض الواجدين: إنه ليمر بالقلب أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا: إنهم لفي عيش طيب، وقال آخر: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما أطيب ما فيها، قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: معرفة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ومحبته، والأنس بقربه، والشوق إلىٰ لقائه، وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم أهل الجنة إلا هذا»(٢).

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٤٧١).

(٢) رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه (ص٢٩، ٣٠).

◉ المداومة على تسبيح الله، وذكره، وتمجيده، والثناء عليه عَزَّوَجَلَّ: إذا عظم العبدُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكَره في كل حين، بل أصبح ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو شغله الشاغل، وعمله اللازم، الذي لا يقوىٰ علىٰ فراقه وتركه، فيكون من الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، مستجيبًا لأمر الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

ومن أعظم ما يذكر به تعالىٰ تعظيمه وتسبيحه، فقد جاء الأمر به في كتاب الله تعالىٰ في مواضع كثيرة ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤ و ٩٦ و الحاقة: ٥٢]، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١]، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢]، وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رضوان الله عليهم يمتثلون هذا الأمر فيسبحون الله[1] عَزَّوَجَلَّ؛ «لأنه صار علَمًا في الدين علىٰ أعلىٰ مراتب التعظيم الَّتي لا يستحقها إلا اللهُ تعالىٰ»[2].

ومن لوازم تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كما تقدم بيانه -: تقديم ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ، وإن مما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ ويرتضيه: حمده، وشكره، والثناء عليه، وذكره، وإجلاله، فأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها، وحث الناس عليها، وأرشدهم لها، ودلهم عليها، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ..﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) سبق الإشارة إلىٰ شيء من هذا عند الحديث عن أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ وصفاته العلىٰ في المبحث السابق.

(٢) قاله الماوردي في النكت والعيون (١/ ٩٧).

ولذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوائد كثيرة، من أهمها:

◉ الفوز برضا الله عَزَّوَجَلَّ، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

◉ طمأنينة القلب، وسكون الفؤاد، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد ٢٨].

◉ ذكر الله تعالىٰ، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ..﴾ [البقرة: ١٥٢].

◉ حياة القلب ونقاؤه، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»(١).

◉ أمان من النفاق، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

◉ الأنس بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن ذكر الله يوجب القرب منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما في الحديث القدسي الصحيح: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»(٢). وغيرها الكثير(٣).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: صحيح البخاري (ح٦٤٠٧، ٨/ ٨٦)، وصحيح مسلم (ح٧٧٩، ١/ ٥٣٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد تقدم تخريجه، وينظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٨١).

(٣) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٤١ وما بعدها) ان في الذكر أكثر من مائة فائدة، ذكر ما يزيد عن السبعين فائدة منها.

◉ صدق التوكل علىٰ الله، والاستعانة به، وحسن الظن به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

وهي ثمرة مهمة، بل من أجل ثمرات التعظيم، وأرفعها، وهي أوسع المنازل وأجمعها[1]، تعين العبد علىٰ تفويض الأمور لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد الأخذ بالأسباب، دون الركون إليها، والاعتماد عليها؛ لأن مقدر المقادير هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الكبير، المتعال، القهار، الفعال لما يريد عَزَّوَجَلَّ، قهر كل شيء بكبريائه وجبروته وقدرته، فاذا تأمل العبد هذه المعاني علِمَ علم اليقين بأن ما قدره الله تعالىٰ كائن، وأن ما كتبه الله سبحانه هو خير له حتىٰ لو كره ذلك، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وهذا يورث في القلب الطمأنينة والسكون، والثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[2]، لأن التوكل علىٰ الله تعالىٰ يقوم علىٰ أمرين: غاية الاعتماد، وغاية الثقة، وعندما يمتلأ القلب من عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظيم قدرته، يحصل الاعتماد التام علىٰ من هذه صفاته، وإذا

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: مدارج السالكين (٢/ ١١٢ وما بعدها) هذه المنزلة، وجعلها من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وذكر أنها أوسع المنازل وأجمعها، وأن أولياء الله وخاصته هم من يتوكلون عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(٢) جزء من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه أحمد في مسنده (ح٢٦٦٩، ٤/ ٤٠٩، ٤١٠)، والترمذي في سننه (ح٢٥١٦، ٤/ ٦٦٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح٧٩٥٤، ٢/ ١٣١٧، ١٣١٨)، وقال محققوا المسند: إسناده قوي.

اقترن هذا التعظيم بعظمة رحمته وبره ولطه وإحسانه، حصل غاية الثقة من توفيق الله وعونه ومدده[1]، فإذا حصل ذلك ثبت العبد عند الشدائد، ورضي بما قدره الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن المقدِّر هو الله العظيم، القادر علىٰ كل شيء، الحكيم في أفعاله، الخبير بأحوال عباده، العليم بمكنونات نفوسهم، المطلع علىٰ

(١) ينظر: وما قدروا الله حق قدره (ص٢٨٩).

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدارج (٢/ ١١٨ وما بعدها) أن حقيقة التوكل حال مركبة من مجموع أمور، لا تتم حقيقة التوكل إلا بها، وهي:

أولها: معرفة بالرب وصفاته من قدرته، وكفايته، وقيوميته، وانتهاء الأمور إلىٰ علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

وثانيها: إثبات في الأسباب والمسببات، فإن من نفاها فتوكله مدخولٌ، فلا يستقيم التوكل إلا بإثبات الأسباب، ولا صحة للتوكل بنفي الأسباب؛ لأن التوكل من أقوىٰ الأسباب في حصول المتوَكَّل بيه، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببًا في حصول المدعو به.

وثاليها: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، فإنه لا يستقيم توكل العبد حتىٰ يصحّ له توحيده، بل حقيقة التوكل: توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك، فتوكله معلولٌ مدخولٌ.

ورابعها: اعتماد القلب علىٰ الله، واستناده إليه، وسكونه إليه، بحيث لا يبقىٰ فيه اضطراب من تشويش الأسباب، ولا سكون إليها، بل يخلع السكون إليها من قلبه، ويلبسه السكون إلىٰ مسببتها، وعلامة هذا: أنه لا يبالي بإقبالها وإدبارها، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها، وإقبال ما يكره؛ لأن اعتماده علىٰ الله، وسكونه إليه، واستناده إليه، قد حصنه من خوفها ورجائها.

وخامسها: حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ قدر حسن ظن العبد بربه، ورجائه له، يكون توكله عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل بـ: حسن الظن بالله.

وسادسها: استسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلها، وقطع منازعاته، وهذا معنىٰ قول بعضهم: التوكل: إسقاط التدبير، يعني: الاستسلام لتدبير الرب لك.

وسابعها: التفويض، وهو روح التوكل ولبه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلىٰ الله، وإنزالها به طلبًا واختيارًا، لا كرهًا واضطرارًا.

وثامنها: الرضا، وهي ثمرة التوكل، بل أجل ثمراته، وأعظم فوائده.

أحوالهم، يحكم بالحق والمعروف، يأمر بالعدل والإحسان، وما فيه صلاح العباد، وينهىٰ عن الشرك والمنكرات، وما فيه فساد أحوال العباد.

- سلامة المجتمع وأمنه: المجتمع قائم علىٰ روح الأخوة والترابط بين أفراده، فكلما كان أفراد المجتمع متقاربًا كان المجتمع آمنا وسالمًا، ولمعرفة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان من أوائل ما فعله عندما قدم المدينة النبوية أنه آخي بين المهاجرين والأنصار[1]، هذه الأخوة التي أثمرت عن مجتمع متماسك، يجمع بين أفراده المحبة والمودة والصدق، حتىٰ إن الواحد منهم يفتدي بنفسه من أجل أخيه المسلم.

فمتىٰ ما امتلأ قلب العبد بتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صلح حاله، واستقرت نفسه، واطمأن فؤاده، فساد الترابط بين أفراد المجتمع، وحلت الألفة والمودة، فأمن المجتمع واستقرت أموره، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء،

(١) شرع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في السنة الأولىٰ من الهجرة النبوية، حيث آخىٰ بينهم علىٰ الحق والمواساة، والتوارث بعد الممات، دون ذوي الأرحام، ثم نسخت بعد، أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾: «كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري، دون ذوي رَحِمِه، للأخوة التي آخىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم، فلما نزلت ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾ [النساء: ٣٣] نسخت».

وينظر في قضية المؤاخاة، وما حصل فيها: السيرة النبوية، لابن كثير (٢/ ٣٢٤ وما بعدها)، والسيرة النبوية علىٰ ضوء القرآن والسنة، لأبي شهبة (٢/ ٥٢ وما بعدها)، والسيرة النبوية الصحيحة، للدكتور/ أكرم ضياء العمري (ص٢٤٠ وما بعدها)، والسيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، لمحمد بن مصطفىٰ الدبيسي (ص٣٩٢ وما بعدها)،

والهداية إلىٰ الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا، لا بشرك ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها، ومفهوم الآية الكريمة: أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء»(١).

◉ اتقاء الذنوب والمعاصي: من ملأ قلبه بالتعظيم، لا ينشغل بالرذائل والدون؛ لأنها تتعارض مع التعظيم، فالعاصي لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يعصي الله عَزَّوَجَلَّ إلا إذا هان الله في قلبه، وضعف التعظيم في نفسه، فالمعظمون لله تعالىٰ لا يتعدون حدود الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، بل لا يقربوها، يقول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾ [البقرة: ١٨٧].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل: المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب: ومن عقوبات الذنوب: أنها تضعف في القلب تضعيف الرب جل جلالته، وتُضعف وقارَه في قلب العبد ولا بُدّ، شاء أم أبىٰ، ولو تمكَّن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرّأ علىٰ معاصيه، ورُبَّما اغتر المغتر، وقال: إنما يحملني علىٰ المعاصي حسن الرجاء، وطمعًا في عفوه، لا ضعفُ عظمته في قلبي.

وهذا من مغالطة النفس؛ فإن عظمة الله تعالىٰ وجلالَه في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرِّئُون

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٢٦٣)، وينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٣).

علىٰ معاصيه ما قدروا الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه ويكبره، ويرجو وقاره ويُجلُّه، من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال، وأبينِ الباطل، وكفىٰ بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ، وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقُّه..»[1].

وبضد ذلك فإن ضعف تعظيم الرب في القلب يجرئ العبد علىٰ المعصية، ويبعده عن محبة مولاه وخالقه، روي عن ذي النون أنه سئل: متىٰ يأنس العبد بربه؟ قال: (إذا خافه أنس به، أما علمتم أنه من واصل الذنوب نُحي عن باب المحبوب)[2].

◘ قبول الأعمال: وهي من أهم الثمرات التي تدخر علىٰ العبد يوم القيامة، لكن يكون أثرها في الدنيا قبل الأخرىٰ: من الفتوحات الربانية، والتوفيق الإلهي، ووضع القبول له في الأرض، وقد وصف الله تعالىٰ عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أي خائفة، وأصحاب هذه القلوب الخائفة ليسوا هم أصحاب المعاصي والسيئات، والذنوب والخطيئات، بل هم الذين يتقربون إلىٰ الله تعالىٰ بأنواع القرب، لكنهم يخشون ألا يكتب لهم الأجر والمثوبة من الله تعالىٰ، ولا يقبل لهم عمل، يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الآية الكريمة: «أي يعطون العطاء، وهم خائفون وجلون أن لا يُتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشرط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط»[3].

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص٦٩).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٤٢) من طريق سعيد بن عثمان بن عياش عنه به.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٨).

ويشهد لهذا المعنىٰ ما روي عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال لها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]»[(١)].

وقد كان سلف هذه الأمة يجتهدون في العبادة، وإتمامها، وإتقانها، لكنهم مع هذا كانوا يخافون من ردها، فاهتمامهم بالقبول كاهتمامهم بالعمل بل أشد، يقول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا لقول الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧][(٢)]، ويقول مالك بن دينار: الخوف علىٰ العمل أن لا يُتقبل أشد من العمل[(٣)].

وقد روي عن ابن أبي مليكة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يخشىٰ النفاق علىٰ نفسه، ما منهم من أحد يقول: إنه علىٰ إيمان جبريل وميكائيل[(٤)].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (ح٣١٧٦، ٥/ ٣٢٧، ٣٢٨)، وابن ماجه في سننه (ح٤١٩٨، ٥/ ٢٨٧، ٢٨٨)، والحاكم في مستدركه (ح٢٩٢٣، ٢/ ٢٥٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٦٢، ١/ ٣٠٤ ٣٠٦).

(٢) ذكره ابن رجب الحنبلي في تفسيره (٢/ ٢٨)، ولطائف المعارف (ص٢٠٩).

(٣) ذكره ابن رجب في تفسيره (الموضع السابق).

(٤) ذكره البخاري في صحيحه معلقًا (باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ١/ ١٨).

وروي عن أبي الدرداءرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: لأن أستيقن أن الله تقبل مني صلاةً واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وعن فضالة ابن عبيد أنه قال: لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبةٍ من خردل، أحب إليَّ من الدنيا وما فيها؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وجاء سائل إلىٰ ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فقال لابنه: أعطه دينارًا، فقال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه، فقال: لو علمت أن الله تقبل مني سجدةً واحدةً، أو صدقة درهم واحدٍ، لم يكن غائب أحبَّ إليّ من الموت، أتدري ممن يتقبل الله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3].

والسبب في ذلك: ما وقر في نفوسهم، واستقر في أفئدتهم من تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن «المتقي هو من صلحت سريرته، وامتلأ قلبه من محبة الله عَزَّوَجَلَّ، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه، والإخلاص له، والانقياد لشرعه»[4]، فكل عمل أمام عظمة الله تعالىٰ صغير، إضافة إلىٰ أن العامل لا يستطيع الجزم بالقبول لأنه لا يعلم يقينا هل قام بالعمل علىٰ مراد الله أم قصر في ذلك، يقول الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ: «والسر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم، ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم، فإن هذا خلاف وعد الله إياهم في مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النساء: ١٧٣]،

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٧٧).

(٢) التفسير، ولطائف المعارف كلاهما لابن رجب الحنبلي (الموضعين السابقين).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٤/ ٢٥٦).

(٤) كتاب: وما قدروا الله حق قدره (ص٢٩٧).

بل إنه ليزيدهم عليها كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾، والله تعالىٰ لا يخلف وعده كما قال في كتابه[1]، وإنما السر أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ، وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها علىٰ مراد الله، بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون أن لا تقبل منهم.

فليتأمل المؤمن هذا، عسىٰ أن يزداد حرصا علىٰ إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله، وذلك بالإخلاص فيها له، واتباع نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هديه فيها»[2].

وعلة ذلك أن منتهىٰ ما يأمله الإنسان في هذه الدنيا: رضوان الله عَزَّوَجَلَّ، ودخول الجنة، وما يتبع ذلك من نعيم دائم أبدي، والتلذذ برؤية وجه الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه النعم أعدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمن اتقاه، فمن قبل الله عَزَّوَجَلَّ عمله كان من المتقين ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

رزقنا الله تعالىٰ قبول العمل، وجعلنا من عباده المتقين.

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦].

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (١/ ٣٠٦).

تعظيم الله تعالى

الفصل الثالث

مجالات تعظيم الله تعالى
ومظاهره وطرق تحقيقه

المبحث الأول: مجالات تعظيم الله تعالىٰ.

المبحث الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالىٰ.

المبحث الثالث: الطرق المحققة لتعظيم الله تعالىٰ في النفوس.

المبحث الرابع: أساليب القرآن في عرض موضوع تعظيم الله تعالىٰ.

تعظيم الله تعالى

المبحث الأول

مجالات تعظيم الله تعالى

إعداد

د. فخر الدين الزبير علي

تعظيم الله تعالى

مجالات تعظيم الله تعالى

مجالات تعظيم الله تعالىٰ في القرآن تستوعب جميع الآيات، فلا يمكن استقصاؤها، وهي مما يتعذر استيفاؤها، ولو تأملنا في هذه المجالات لوجدنا أنها تدور حول مراحل التعظيم الأربع، وهي: التأسيس له، ثم التأكيد عليه، ثم التكميل والزيادة، ثم الحماية وسد الذرائع المنافية له، وفي هذا المبحث نذكر معالم هذه المجالات من خلال تفاصيل أركان الإيمان، والعبادات والمعاملات، والآداب، وذلك في المطالب التسعة الآتية:

المطلب الأول: تعظيم الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته:

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الموصوف بصفات الكمال، والمنعوت بنعوت الجلال، والمتعالي عن النقائص والأنداد والأمثال، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وكلها آيات بلغت الغاية في تحقيق كمال التعظيم لذي الجلال؛ الذي قصرت الكائنات عن تحقيق حمده، وأقرت الألسنة بعجزها عن الإحاطة بمدحه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القرآن كلام الله، وقد تجلىٰ الله فيه لعباده وصفاته، فتارة يتجلىٰ في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات، ويذوب الكبر، كما يذوب الملح في

الماء، وتارة يتجلىٰ في صفات الجمال والكمال: وهو كمال الأسماء، وجمال الصفات، وجمال الأفعال الدال علىٰ كمال الذات، فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها بحب ما عرفه من صفات جماله، ونعوت كماله، فيصبح فؤاد عبده فارغا إلا من محبته»[1].

وقد تنوعت وجوه الدلالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ من خلال أسماء الله تعالىٰ وصفاته، ومن ذلك:

أولًا: إثبات الكمال المطلق لله تعالىٰ، وهو يتضمن تعظيم الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٠﴾ [النحل: ٦٠]، أي الوصف الأكمل؛ لذلك فسرها ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا بقوله: (يقول: ليس كمثله شيء)[2]، قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ أي: الصفة العليا، وذلك مثل قولهم: عالم وقادر ورازق وحي، وغير هذا»[3].

ثانيًا: نفي المثيل والند والمكافئ؛ فهو المتعالي بعظمته، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه؛ فإنه لا مثل له ولا شبه»[4]. وقال تعالىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا في تفسيرها: (هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا)[5]، وهو استفهام يراد به النفي، أي لا تعلم له سميا؛ لكمال

---

(١) الفوائد (ص:٦٩).

(٢) ()رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٩/ ٣٠٩٠)، برقم: (١٧٤٨٧).

(٣) تفسير القرآن (٣/ ١٨١).

(٤) جامع البيان (١٧/ ٢٥٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (٥/ ٢٥٠).

عظمته. ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء»(١).

ثالثًا: بيان نقص كل ما سواه سبحانه، وافتقار جميع الخلق إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال عن الخلق جميعا: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ﴾ [الأنعام: ١٤]، وكلها دالة علىٰ كمال علمه وقدرته وكرمه وغناه، وغيرها من صفات الكمال ونعوت الجلال.

رابعًا: إثبات عجز الخلق عن الإحاطة بصفاته؛ لعظمته وعظمة صفاته، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]: أي لا تحيط به وإن كانت تراه في الآخرة، وهو أحد الأقوال في تفسيرها، كما نقله جمع من المفسرين(٢).

خامسًا: بيان أن اتصاف الله تعالىٰ بصفات قد تطلق علىٰ المخلوقين لا يقتضي التمثيل؛ لكمال عظمته ونقصهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فأثبت لنفسه السمع والبصر كما أن للإنسان سمعا وبصرا، ونفىٰ التماثل بينها؛ لذلك قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا:

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٦٩١).

(٢) والمعنىٰ الثاني: لا تراه في الدنيا، وهما غير متعارضين؛ فمؤداهما عدم رؤيته في الدنيا، وإثبات رؤيته في الآخرة دون إحاطة به، تفسير ابن جرير (١٢/ ١٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٦٢).

(الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١](١).

سادسًا: ذم آلهة المشركين بعدم اتصافها بصفات الكمال؛ لتقرير اتصافه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، وحكىٰ عن إبراهيم قوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢].

سابعًا: بيان أن أسماء الله تعالىٰ كلها حسنىٰ، ولا تكون كذلك إلا إذا تضمنت صفات الكمال، وإلا كانت أعلامًا مجردةً لا معنىٰ لها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، ومعنىٰ حسنىٰ: أي بالغة في الحسن والجمال والجلال، وسر هذا الحسن أنها متضمنة لصفات الكمال فهي ليست أعلامًا مجردة، وإلا لكانت من جنس أعلام المخلوقين، وقد أمر الله تعالىٰ بتعظيم أسمائه، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأسماء ألفاظ دالة علىٰ المعاني فهي إنما تحسن بحسن معانيها ومفهوماتها، ولا معنىٰ للحسن في حق الله تعالىٰ إلا ذكر صفات الكمال ونعوت الجلال»(٢).

---

(١) ()أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ:(وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) [النساء: ١٣٤]، (١٣/ ٣٧٢).

(٢) مفاتيح الغيب (١٥/ ٤١٢)، ينظر: الهدايات القرآنية –دراسة تأصيلية–الفريق البحثي بكرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم: (١/ ١٨١).

ومن آثار التعظيم في الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، التي حض القرآن عليها ما يلي:

أولًا: دعاؤه سبحانه بها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، وهو أحد وجوه الأثر العملي لتعظيم الأسماء الحسنىٰ، وذلك يتضمن معرفتها، وعدها وتمييز الثابت منها، كما قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن لله تعالىٰ تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة)(١).

ثانيًا: العلم بمعانيها، والتدبر في جلائلها، ولذلك ذكرها الله تعالىٰ في كتابه، معظما نفسه بها، ثم ختمها بتنزيه الخلق له عن كل ما لا يليق به وبأسمائه وصفاته، فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ثالثًا: الثناء عليه بها، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يثنىٰ عليه إلا بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيًا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلًا إليه بذلك الاسم»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم إلا واحدة، رقم: (٦٤١٠)، (١١/ ٢١٤)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالىٰ، رقم: (٥)، (٤/ ٢٠٦٢).

(٢) فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنىٰ ص ٣١.

رابعًا: العمل بمقتضاها، واستشعار تحقق صفاتها، فلذلك ذكر الله تعالىٰ ملكه للسموات والأرض، وعلمه بكل شيء، ومراقبته لخلقه في جهرهم وسرهم، ثم ختم ذلك باستحقاقه للأسماء الحسنىٰ، تنبيها إلىٰ استحضار العبد لها، فقال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه:٦-٨].

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «له الأسماء الحسنىٰ: أي الفضلىٰ، لدلالتها علىٰ معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والأفعال التي هي النهاية في الحسن»[(١)].

خامسًا: الحذر من الإلحاد في أسمائه وصفاته؛ صيانة للتعظيم وحماية لجنابه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (الأعراف:١٨٠)، ويكون الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ وصفاته بصور، منها:

١- نفي أسماء الله تعالىٰ، كما فعلت قريش [(٢)]، فقال تعالىٰ فيهم: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].

٢- تسمية المخلوق بما يختص بالله تعالىٰ منها؛ تعظيمًا له سبحانه، قال ﷺ: (أخنع الأسماء عند الله يوم القيامة رجل تسمىٰ بملِكِ الأملاك)[(٣)].

(١) محاسن التأويل: (٧/ ١٢٠).

(٢) ينظر: جامع البيان الطبري: (١٦/ ٤٤٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الأدب، بَابُ تَحْرِيمِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ، وَبِمَلِكِ الْمُلُوكِ، رقم (٢١٤٣)، (٦/ ١٧٤)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

٣- تجريد الأسماء عن معانيها، كمقالة المعتزلة: سميع بلا سمع، وعليم بلا علم، ففيه منافاة للكمال والعظمة.

٤- تسمية الله بما لم يسم به نفسه: كتسمية النصارىٰ له بالأب، والفلاسفة بالعلة الفاعلة، وهو داخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

٥- الاشتقاق منها: كتسمية المشركين لآلهتهم؛ فالعُزىٰ من العزيز، ومناة من المنان، علىٰ قول لبعض العلماء[١].

٦- تحريف المعاني الظاهرة الدالة علىٰ الصفات، كتحريف صفة الرحمة، والغضب، والمحبة، ونحوها.

٧- إثبات صفات مماثلة في خصائصها للمخلوق، أو تشبيه صفات المخلوق بها.

٨- تكييف الصفات بكيفيات في الذهن، والتفكر في حقائقها[٢].

وكل هذه المحاذير تنافي التعظيم لله الكريم.

ولعظمة أسماء الله تعالىٰ وصفاته نجد أن أكثر آيات القرآن تتضمن اسما من أسماء الله تعالىٰ، أو صفة من صفاته، إما في ثناياها أو في ختامها، وكل ختم لاسم من أسماء الله تعالىٰ يتضمن هداية تزيد المعنىٰ تعظيمًا، فمن ذلك في أوائل القرآن قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وافتتاح كلامهم

(١) قاله جماعة من المفسرين عند قوله تعالىٰ: (أفرأيتم اللات والعزىٰ)، ينظر: تفسير الطبري: (١٧ / ٩٠)، والبغوي:(٧/ ٤٠٧)، وابن كثير: (٤ / ٢٧١)، وزاد المسير: (٧ / ٢٣١).

(٢) بدائع الفوائد: (١ / ١٧٩، ١٨٠).

بالتسبيح وقوف في مقام الأدب والتعظيم لذي العظمة المطلقة...»إنك أنت العليم الحكيم» ساقوه مساق التعليل لقولهم: «لا علم لنا إلا ما علمتنا»؛ لأن المحيط علمه بكل شيء، المحكم لكل خلق إذا لم يجعل لبعض مخلوقاته سبيلا إلىٰ علم شيء لم يكن لهم قبل بعلمه؛ إذ الحصول بقدر القبول والاستعداد... وتعقيب العليم بالحكيم من إتباع الوصف بأخص منه؛ فإن مفهوم الحكمة زائد علىٰ مفهوم العلم لأنّ الحكمة كمال في العلم»[(١)].

وأعظم آية جمعت كمالات التعظيم في أسمائه وصفاته هي آية الكرسي؛ لذلك وصفها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنها أعظم آية في كتاب الله تعالىٰ، كما في حديث أبي بن كعب أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: (يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله أعظم قال: قلت الله ورسوله أعلم فأعاد عليه فقلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ قال: فضرب في صدري وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر)[(٢)].

والسر في كونها أعظمَ آية أنها تنتظم أعظم مقصود، وهو تعظيم المعبود، فموضوعها هو أعظم موضوع في القرآن، فلذلك كانت أعظم آية فيه، ومن وجوه التعظيم من خلال أسمائه وصفاته في هذه الآية، ما يلي:

١-ابتداؤها بلفظ الجلالة الله، وهو اسم الله الأعظم الذي لا يطلق إلا عليه سبحانه، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي يَألَهه كل شيء، ويعبده كل خلْقٍ»[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير: (٨/ ٤١٤-٤١٦).

(٢) رأخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم: (٨١٠).

(٣) جامع البيان، الطبري (١/ ١٢٢).

٢-وابتداؤها بكلمة التوحيد، التي هي أعظم كلمة يتلفظ بها العبيد، كما قال ﷺ فيما يرويه عن ربه: (لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضون السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله)[1]، وهي تتضمن اتصافه باستحقاق العبادة وحده، وهي غاية التعظيم.

٣-اشتمالها علىٰ اسمين هما من أعظم أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ، وهما: الحي القيوم؛ إذ إليها ترجع بقية الأسماء؛ فالأسماء المتضمنة للصفات الذاتية ترجع إلىٰ اسم الحي، والأسماء المتضمنة للصفات الفعلية ترجع إلىٰ اسم القيوم.

٤-نفيها لجميع النقائص عن الله تعالىٰ، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به سبحانه، لتتضمن إثبات كمال ضدها، فلا تأخذه سنة؛ لإثبات كمال قيوميته، ولا نوم؛ لإثبات كمال حياته، ولا يؤوده: أي يثقله؛ لإثبات كمال قدرته، ونفي شفاعة أحد إلا بإذنه؛ لإثبات كمال ملكه ومشيئته، وفي هذا غاية التعظيم.

٥-بيانها لتفرده في صفة الملك، فكل ما في السموات والأرض له وحده سبحانه، ليس لأحد فيها مثقال ذرة.

٦-ذكرها للكرسي، ولم يذكر في آية غيرها، وهو من أعظم مخلوقات الله تعالىٰ، قال ﷺ: (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش علىٰ الكرسي كفضل تلك الفلاة علىٰ

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، رقم: (٦١٨٥)، والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء، فضل لا إله إلا الله، رقم: (٦١٨٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي: (٨/ ٣٥).

تلك الحلقة) [1]، وفي هذا إثبات لأسماء الكبير والعظيم، وما تتضمنها من صفات العظمة.

٧-بيانها لسعة علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الذي أحاط بكل شيء، ولا يمكن أن يحاط به سبحانه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾.

٨-ذكرها لاسم العلي، الذي يتضمن العلو في كل شيء، علو الأسماء، وعلو الصفات، وعلو الأفعال، وعلو الذات، وكلها من صفات العظمة؛ لذلك أعقبه بالعظيم.

٩- ثم ختم هذه الآية باسم العظيم، وفي ذلك تتويج للمناسبة بين مضامين الآية، وإشارة إلىٰ أن هذه الآية هي أعظم آية في القرآن؛ لأنها تعظيم للعظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن هذه الآيات التي جمعت معالم تعظيم الله تعالىٰ من خلال أسمائه وصفاته: خواتيم سورة الحشر، وهي قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة في كتاب العرش رقم (٥٨). وابن حبان في صحيحه (١/ ٧٦-٧٩). وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٤٨-٦٤٩)، رقم: (٢٥٩). وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦). والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٠-٣٠١)، رقم: (٨٦٢)، وله طرق ذكرها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٠٩)، وقال: (وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق صحيح).

وقد جمعت هذه الآيات من أسماء الله تعالىٰ وصفاته ما لم تجمعه غيرها من آيات القرآن، ففيها بيان بضعة عشر اسمًا من أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ، وهي: الله، وعالم الغيب والشهادة، والرحمن، والرحيم، والملك، والقدوس، والسلام، والمؤمن، والمهيمن، والعزيز، والجبار، والمتكبر، والخالق، والبارئ، والمصور، والعزيز، والحكيم.

وهذه أمثلة لا يراد بها الاستقصاء، يسار علىٰ وزانها في تأمل وجوه التعظيم من خلال أسماء الله وصفاته في سائر القرآن العظيم، فمجال الأسماء والصفات وتجليات التعظيم فيها واسع، لا يستوعب في هذه الخلاصات، بل هو في حاجة إلىٰ عديد من الدراسات؛ فكل اسم منها لا يحصي علمه إلا الله تعالىٰ.

المطلب الثاني: تعظيم الله تعالى من خلال الحديث عن ربوبيته:

ربوبية الله تعالىٰ هي إفراده بالخلق والأمر والتدبير، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: عظم وتعالىٰ وكثر خيره وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون، فمن آثار رحمته، ولهذا قال: فـ ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾»[1].

فالله سبحانه هو المتعالي بعظمته، المتفرد بربوبيته، فهو الذي أوجدنا من العدم، وأفاض علينا سوابغ النعم، وصرف عنا البلايا والمكاره والنقم،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٩١).

وجعل لنا الأسماع والأفئدة والأبصار، وسخر لنا الليل والنهار، وصورنا في الأرحام كيف شاء، وأحيا الأرض بعد موتها بما أنزل من غيث السماء، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠]، وكثيرا ما تختم آيات الربوبية بالدعوة إلىٰ التعظيم بإفراده سبحانه بالعبادة، كما في الآيات بعدها، كقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل:٦١]، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونبه تعالىٰ علىٰ أن هذا الإنبات في الحدائق لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ، لأن أحدنا لو قدر عليه لما احتاج إلىٰ غرس ومصابرة علىٰ ظهور الثمرة، وإذا كان تعالىٰ هو المختص بهذا الإنعام وجب أن يخص بالعبادة»(١).

ويأتي تقرير تعظيم الله تعالىٰ من خلال الربوبية بطرائق متنوعة، منها:

أولًا: إثبات أن المتفرد بالخلق هو الله تعالىٰ المتحقق بالعظمة؛ لذلك بعد أن ذكر الله تعالىٰ جلائل خلقه، وإتقان صنعه في سورة الواقعة، ختمها بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تسبيح متعجب من آثار قدرته الدالة علىٰ تناهي عظمته، وتسبيح شكر له وتعظيم له، وإكبار وتنزيه عما يقول الجاحدون، وتعجيب منهم، مقتديًا بجميع ما في السماوات والأرض»(٢)، وقال تعالىٰ إنكارًا علىٰ من عظم غيره: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٤/ ٥٦٣).

(٢) نظم الدرر (١٩/ ٢٣١).

ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالىٰ عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، الخالق لكل شيء، المالك لأزمة الأمور، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومع هذا عبدوا معه من الأصنام ما لا يقدر علىٰ خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون» (١).

ثانيًا: بيان أن الفطرة دالة علىٰ ربوبيته، وهو من معالم التعظيم حيث خلق سبحانه الخلق علىٰ معرفته، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ [النمل: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿۞قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفطرة عندنا: الإقرار بالله عَزَّوَجَلَّ والمعرفة به... ولستَ واجدًا أحدًا إلا وهو مُقِرّ بأنَّ له صانعًا ومدبِّرًا، وإن عبد شيئًا دونه وسمَّاه بغير اسمه» (٢).

ثالثًا: تقرير أن العقل يوصل إلىٰ وجود الله تعالىٰ وربوبيته؛ لدلائل عظمته، فوجود الموجودات بعد العدم، وحدوثها بعد أن لم تكن، يدل بداهة علىٰ وجود من أوجدها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾. [الطور: ٣٥- ٣٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٣).

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٢٢)، باختصار يسير.

رابعًا: بيان أن هذا الإتقان الدقيق، والتقدير العجيب: دال على ربوبية الرب العظيم، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك: ٣]، فكلها تدل على تعظيم الله تعالى من خلال تقرير ربوبيته.

خامسًا: بيان أنه قائم على الخلق وأرزاقهم، ومعايشهم في كثير من الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، قال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾: لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره، وإنما تصبح ولا معيشة عندها، ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾: ثم إنها مع ضعفها وتوكلها، وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله؛ لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده»(١).

سادسًا: الامتنان بإسباغه النعم على الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل:٥٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [لقمان: ٢٠].

---

(١) أنوار التنزيل (٤/ ١٩٨).

سابعًا:- بيان افتقار الخلائق إليه، واستغناؤه عنهم، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر:١٥-١٧]، ولما ذكر الله تعالىٰ تفرده واستغناءه ختم ذلك بأعظم ألفاظ التعظيم، فقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ أبلغ لفظة للعرب في معنىٰ التعظيم والإجلال، ثم أكدها بالمصدر تحقيقًا لها، وإبلاغًا في معناها»[(١)].

ثامنًا: بيان أن الربوبية مستلزمة للتعظيم العملي بتحقيق عبادة الله تعالىٰ، كما في آيات كثيرة سبق بعضها، ومنها كذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقال لهم جل ذكره: فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائرَ الخلق غيرَكم، وهو يقدرُ علىٰ ضرّكم ونفعكم - أولىٰ بالطاعة ممن لا يقدر لكم علىٰ نَفع ولا ضرّ»[(٢)].

تاسعًا: بيان أن العلم بربوبية الله تعالىٰ من أعظم العلوم التي تؤدي إلىٰ التعظيم والخشية؛ لذلك لما ذكر الله تعالىٰ من عجائب صنعه في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٤٩٣).

(٢) جامع البيان (١/ ٣٢٦).

﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ﴾ [فاطر:٢٧، ٢٨]، أعقب ذلك ببيان فضل من يعلمون هذا العلم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

- ومن أجلّ الآيات في تقرير الربوبية والعظمة في الانفراد بالخلق والتدبير، وقطع أسباب الشرك والتنديد: قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٢ - ٢٣].

فهي قطعت الطريق أمام أي توهم في استحقاق التعظيم لأدنىٰ شبهة في التشريك، وذلك من خلال ما يلي:

-نفي أن يكون عندهم مثقال ذرة من ملك.

-ونفي أن تكون لهم مجرد شراكة في ملك.

-ونفىٰ وجود معين منهم أو نصير له في تدبير هذا الملك.

-ونفىٰ أن يكون لأحد اختيار للشفاعة في شيء فعله.

فإذا لم يكونوا مالكين، ولا شركاء، ولا معينين، ولا شافعين؛ فأي تعظيم يستحقونه ليُعبدوا من دون الله تعالىٰ المنفرد بالربوبية، والمستحق لحقائق الألوهية، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عباده منه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك،

فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا، فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده.

فنفىٰ سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبا، متنقلا من الأعلىٰ إلىٰ ما دونه، فنفىٰ الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه» [1].

وهكذا يأتي القرآن بمعالم التعظيم كاللبن السائغ، لا تكدره تحريفات الغالين، وانتحالات المبطلين، وهذا المجال أيضا من أوسع المجلات التي حفل بها القرآن الكريم.

المطلب الثالث: تعظيم الله تعالى من خلال الحديث عن ألوهيته:

الله جَلَّ وَعَلَا هو المستحق لتأليهه وعبادته، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٤-٦٧]، فختم تقرير ألوهيته بنفي تعظيمهم له إن لم يحققوا مضامينها؛ فهو الإله الذي قامت البراهين القاطعة علىٰ ألوهيته، وخضعت الخلائق لسعة حكمته، وشهدت الكائنات بعظيم علمه ورحمته، وعنت الوجوه لقهره وعزته، وسبحت الموجودات بحمده وعظمته، كما قال تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥١).

والمقصود بألوهيته: إفراده تعالىٰ بالعبادة، وهي حقيقة التعظيم؛ لما تتضمنه من التذلل والخضوع، لذلك قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يستحق عَليكم أيها الناس الطاعةَ له، ويستوجب منكم العبادة، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحد، فلا تعبدوا غيرَه، ولا تشركوا معه سواه، فإنّ من تُشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خَلقٌ من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثلَ لهُ ولا نَظير»[١].

ومن هدايات سياق هذه الآية: أنها سبقت بآية بلغت الغاية في التعظيم وهي قوله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾؛ حيث أثبتت تفرده في ذاته وصفاته وأفعاله، ثم أتبعت بآية التفرد بالعظمة والكبرياء، وهي قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾، قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إما مؤكدة لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾: ذكرت للتخويف بأنه رقيب من حيث لا يرىٰ فليحذر، وإما هي مؤكدة لما تقرر قبل من تنزهه وتعاليه عن إفكهم أعظم تأكيد، ببيان أنه لا تراه الأبصار المعهودة وهي أبصار أهل الدنيا، لجلاله وكبريائه وعظمته، فأنىٰ يصح أن ينسب إلىٰ عليائه تلك العظيمة؟»[٢].

وقد دل القرآن علىٰ تعظيمه تعالىٰ في الألوهية بطرق متنوعة، ومن ذلك:

أولًا: الإخبار بأن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ما خلق الخلق إلا لعبادته، كما في

(١) جامع البيان (٣/ ٢٦٥).

(٢) محاسن التأويل (٤/ ٤٥٢).

قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] فعبادة الله تعالىٰ هي سبب خلق الخلق وهي تتضمن غاية التعظيم والمحبة والتذلل والخضوع.

ثانيًا: الإخبار بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما أرسل الرسل إلا للدعوة إلىٰ عبادته، والنهي عن عبادة من سواه كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]، فما أرسلت الرسل إلا لتحقيقه، وما أنزلت الكتب إلا لتقريره.

ثالثًا: الاستدلال بتوحيد الربوبية علىٰ إثبات توحيد الألوهية؛ فتقرير أن الله هو الخالق المالك المدبر الذي لم يشاركه في ذلك أحد: يلزم منه أن لا يشاركه في التعظيم والعبادة أحد، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠]، وما بعدها من الآيات.

رابعًا: الاستدلال بتفرده بصفات الكمال والعظمة علىٰ وجوب إفراده بالعبادة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

وحكاية قول خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأبيه بقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم:٤٢]، وحكاية

قول هدهد سليمان بقوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩﴾ [النمل: ٢٥ – ٢٦].

خامسًا: الأمر الصريح بعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما في أول أمر في القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقد نقل الطبري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله: (أي وَحِّدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم)[1].

سادسًا: النهي الصريح عن الشرك: وهو عبادة مَنْ سواه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

سابعًا: بيان عجز كل ما يعبد من دون الله وأنه لا يخلق شيئا، ولا يملك ضرا ولا نفعا، كما قال تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١ – ١٩٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٢٠ – ٢٢].

ثامنًا: إبطال حجج المشركين في عبادة غير الله تعالىٰ، والرد عليها، كما

(١) جامع البيان (١/ ٣٦٣).

في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٣- ٤٤].

تاسعًا: التذكير بنعم الله تعالىٰ علىٰ عباده، وأن مقتضىٰ ذلك شكره وعبادته وتعظيمه، لا كفره والشرك به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤].

عاشرًا: بيان تعظيم الكائنات لله تعالىٰ، وتسبيحها بعظمته، وسجودها خضوعًا لجلاله، كما قال تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨]، وقال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورىٰ: ٥]، قال الضحاك: (يتشققن من عظمة الله عَزَّوَجَلَّ)[1].

(١) العظمة لأبي الشيخ: (١/ ٣٤١).

الحادي عشر: بيان عاقبة الموحدين في الدنيا والآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، والظلم هنا هو الشرك كما بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك علىٰ أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلىٰ قول لقمان لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] »[(١)].

الثاني عشر:- بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، وبيان مآلهم مع معبوداتهم، حيث تتبرأ منهم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، وقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦][(٢)].

وقد تجلت معالم التعظيم في ألوهيته سبحانه من خلال تحقيق التعبد له، فلذلك أكثر القرآن من الأمر بالعبادات، بل كان أول أمر في القرآن هو الأمر بعبادته كما سبق، وكان أول توسل لله تعالىٰ بعد أسمائه وصفاته هو التوسل بالعبادة، في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وسيأتي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن،باب (لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)، برقم (٤٧٧٦).

(٢) ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي (ص: ١١،١٢)، وتيسير العزيز الحميد (ص:٣٨،٣٩)، الهدايات القرآنية: (١/ ١٧٧).

مزيد بيان لتجليات التعظيم في العبادة وذلك في مطلب تعظيم الله تعالىٰ من خلال العبادات.

المطلب الرابع: تعظيم الله تعالى من خلال الحديث عن الملائكة:

الملائكة من أعظم مخلوقات الله تعالىٰ، ذكر الله سبحانه بعض صفاتها في القرآن الكريم؛ ليعتبر الناس بخلقها، ويزدادوا تعظيما لخالقها، وقد تجلت مظاهر تعظيم الله تعالىٰ من خلال ذكر الملائكة في جوانب متعددة، ومنها ما يلي:

أولًا: بيان عظمة خلقهم، وإتقان صنعهم، وما فيها من دلالة علىٰ عظمة خالقهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر:١]، قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذلك يدل علىٰ أن خلقه للسماوات والأرض، وما ذكر معه يدل علىٰ عظمته، وكمال قدرته، واستحقاقه للحمد لذاته لعظمته وجلاله وكمال قدرته»[(١)]، وقد وصف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بقوله: «رأيته منهبطًا من السماء، سادًّا عِظَمُ خَلْقه ما بين السماء إلىٰ الأرض»[(٢)]، وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنه قال: «رأىٰ محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جبريل له ستمائة جناح»[(٣)]، وقال رسول الله

(١) أضواء البيان: (٦/ ٢٧٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ) [النجم: ١٣]، رقم (١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ، رقم (٤٨٥٦)..

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُذن لي أن أُحدِّث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[1].

وتصور هذا الخلق العظيم مما تحار له العقول، فكيف بخالقها العظيم سبحانه!

ثانيًا: بيان قوتهم وقدرتهم التي خلقها الله تعالىٰ لهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦﴾، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان المعنىٰ أنهم يوقعون غلظتهم وشدتهم بأهل المعاصي علىٰ مقادير استحقاقهم. بين ذلك بما يخلع القلوب لكونه بأمر الله تعالىٰ فقال: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ﴾ أي الملك الأعلىٰ في وقت من الأوقات ﴿مَآ أَمَرَهُمْ﴾ أي أوقع الأمر لهم به في زمن ما»[2]. وقوله تعالىٰ عن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾.

ثالثًا: بيان كثرتهم وأنهم لا يحصيهم إلا الله تعالىٰ، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، وقد جاء في حديث المعراج ما يدل علىٰ ذلك في قول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هذا البيت المعمور يصلي فيه في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم)[3]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يؤتىٰ بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون

(١) أخرجه أبوداود، كتاب السنة، باب في الجهمية، رقم (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في صحيح السنن، والصحيحة (١٥١).

(٢) نظم الدرر (٢٠/ ١٩٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٧). ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، رقم (١٦٢).

ألف ملك يجرونها) [1]، وكل ذلك يدل علىٰ عظمة قدرة الله تعالىٰ، وسعة علمه.

رابعًا: بيان تنوع أعمالهم، وإحكامهم لوظائفهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾، [النازعات: ١-٥]، وقال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾، [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾، [الحاقة:١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾، وقال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾. [الرعد:١١].

خامسًا: بيان طاعتهم لربهم وتعظيمهم له، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾، [التحريم: ٦]، وقال: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾، إلىٰ أن قال: ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾، [الأعراف: ٢٠٦]، وقال ﷺ: (إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض، وعنقه منثن تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، فيرد عليه: ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا) [2]، وقال ﷺ: (أطت السماء

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، باب فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبُعْدِ قَعْرِهَا، رقم (٢٨٤٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط: (١ / ١٥٦)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (١٥٠).

وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد) [(١)]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مررت ليلة أُسري بي بالملأ الأعلىٰ، وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالىٰ)[(٢)]، أي الكساء [(٣)] البالي من خضوعه وتعظيمه لله تعالىٰ.

فكل هذه الصفات الجليلة تدل علىٰ عظمة من أبدعها، فلذلك جاء الأمر بتعظيم الله تعالىٰ عند ذكرها في ثنايا ما سبق من الآيات، وجهة أخرىٰ للتعظيم وهي إذا كانت هذه المخلوقات العظيمة موصوفة بتعظيمها لله تعالىٰ فما دونها من مخلوقات صغيرة حقيرة أولىٰ بهذا التعظيم؛ ولذلك قال تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن تكبروا عن السجود لله فهو غني عن سجودهم، لأن له عبيدا أفضل منهم لا يفترون عن التسبيح له بإقبال دون سآمة» [(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد: (٥/ ١٧٣)، والترمذي: (٤/ ٥٥٦)، كتاب في الزهد، باب قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو تعلمون ما أعلم»، رقم (٢٣١٢) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه: (٢/ ١٤٠٢) كتاب في الزهد، باب الحزن والبكاء، رقم (٤١٩٠)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ٥١٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي. وحسنه الألباني في صحيح السنن.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٦٢١)، وصححه الألباني كما في الصحيحة (٢٢٨٩)، وصحيح الجامع: (٥/ ٢٠٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث: (١/ ٤٢٣).

(٤) التحرير والتنوير: (٢٤/ ٣٠١).

المطلب الخامس: تعظيم الله تعالى من خلال الحديث عن إرسال الرسل وإنزال الكتب:

ذكر الله تعالىٰ في كثير من الآيات منته علىٰ خلقه بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١].

وجعل ذلك من أصول الإيمان، فمن أنكره كان من الكافرين، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

وبين أن غاية إرسال الرسل هي تحقيق التعظيم لله تعال، حيث دعوا جميعا إلىٰ توحيد لله تعالىٰ وإفراده بالعبادة، واعتقاد تفرده بالخلق والأمر، وطاعته والحذر من مخالفة أمره، وهذه هي معالم التعظيم:

- ففي إرسال الرسل للدعوة إلىٰ توحيده في العبادة: يقول تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

- وفي بيان دعوتهم إلىٰ تعظيم الله تعالىٰ باعتقاد تفرده بالخلق والأمر: يقول تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٣، ١٤]،

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:١٢٣- ١٢٦].

- وفي دعوة الرسل إلىٰ تعظيمه تعالىٰ بتعظيم أمره والخوف من معصيته: يقول تعالىٰ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣] وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام:١٥، ١٦].

وأما الكتب فإنما أنزلت للتعظيم؛ حيث تضمنت التعريف بالله تعالىٰ، والتعريف بالطريق الموصلة إليه، والتعريف بما للعباد إن حققوا ذلك، قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ علىٰ هذه المعرفة تبنىٰ مطالب الرسالة كلها من أولها إلىٰ آخرها، ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان:

أحدهما: تعريف الطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه.

والثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم.

فأعرف الناس بالله عَزَّوَجَلَّ أتبعهم للطريق الموصل إليه، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه. ولهذا سمىٰ الله ما أنزله علىٰ رسوله روحًا؛ لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونورًا؛ لتوقف الهداية عليه، فقال تعالىٰ: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥]»[1].

(١) شرح الطحاوية: (١/ ٦-٧).

وظهر التعظيم في سياقات القرآن عند ذكر الكتب؛ لعظم هذه الكتب، وعظمة ما جاءت به، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٢ - ٤]، فذكر تفرده بالألوهية وصفات الكمال والعظمة، ثم أعقب ذلك ببيان إنزاله للكتب؛ دلالة علىٰ تلازمها، فهي لتعريف الناس به، ودعوتهم إليه.

وهكذا القرآن العظيم فإنه يذكر في سياق التعظيم لله تعالىٰ، وذلك في مواضع كثيرة، منها:

- قوله تعالىٰ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [يونس: ١ -٤] وما بعدها، فبدأ بوصف القرآن بالحكمة والإحكام، ثم بيان ما جاء به من البشارة والنذارة، والإنكار علىٰ الكفار في تكذيبهم، ثم الكلام عن عظمة المنزل له، وهو خالق السموات والأرض، المدبر لكل شيء، والمتفرد في حكمه، والموصوف بالكمالات، ثم أمر بعبادته، ثم ذكر باليوم الآخر، ورغب أهل التعظيم، ورهب الجاحدين، ثم

ذكر في الآيات بعدها الدلائل الكونية، والبراهين اليقينية الدالة علىٰ التوحيد وصدق الرسالة.

- قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ١، ٢] وما بعدها.

- قوله تعالىٰ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢١، ٢٢]، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا﴾ بعظمتنا التي أبانها هذا الإنزال ﴿هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي الجامع لجميع العلوم، الفارق بين كل ملتبس، المبين لجميع الحكم ﴿عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ﴾.. مع صلابته وقوته ﴿خَٰشِعٗا﴾ أي مطمئنًا مخبتًا علىٰ صلابته متذللًا باكيًا ﴿مُّتَصَدِّعٗا﴾ أي متشققًا غاية التشقق كما تصدع الطور لتجلينا له بما دون ذلك من العظمة التي جلونا كلامنا الشريف لموسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في ملابسها ﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ أي من الخوف العظيم ممن له الكمال كله؛ حذرًا من أن لا يكون مؤديًا ما افترض عليه من تعظيم القرآن عند سماعه...ثم رقاهم إلىٰ التفكر في تفصيل ما افتتح به، فقال عادلًا عن أسلوب العظمة إلىٰ أعظم منها... ﴿هُوَ﴾: أي الذي وجوده من ذاته فلا عدم له أصلًا بوجه من الوجوه... فهو حاضر في كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس... ﴿ٱللَّهُ﴾: أي المعبود الذي لا ينبغي العبادة إلا له، الذي بطن

بما لم تحط ولا تحيط به العقول من نعوت الكبرياء والعظمة والإكرام..»(١).

ومن دلائل القرآن علىٰ عظمة الله تعالىٰ أنه تكفل بحفظه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فلم تستطع يد أن تطاله، رغم تعاقب القرون، وتتابع الخطوب.

وتحدىٰ الخلق بأن يأتوا بمثله، فقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، بل لا يستطيعون علىٰ سورة من مثله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٨، ٣٩]، قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقرآن العظيم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنه الدليل والمدلول عليه، والشاهد والمشهود له. قال تعالىٰ لمن طلب آية تدل علىٰ صدق رسوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١]»(٢).

فالقرآن الكريم هو المصدر العلمي الأول للتعظيم، وكل آية فيه تجلي هذا المقصد، وما نحن بصدده إنما هو الوقوف عند إشارات من هذا المعين.

(١) نظم الدرر (١٩/ ٤٦٣-٤٦٤)، بتصرف.

(٢) شرح الطحاوية: (١/ ٥٣).

المطلب السادس: تعظيم الله تعالى من خلال الحديث عن اليوم الآخر:

اليوم الآخر من أكثر ما تحدث عنه القرآن الكريم، وقد نوع فيه ترغيبا وترهيبا، وتسمية وتلقيبا، حتىٰ عد الغزالي والقرطبي أسماء يوم القيامة فبلغت خمسين اسمًا كما ذكر الحافظ ابن حجر[1].

وكثيرا ما يقرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله تعالىٰ، مما يشرف قدره، ويعظم أمره:

- فإذا ذكر الموعظة بين أنه ينتفع بها من يؤمن بالله واليوم الآخر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. وقال: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

- وإذا ذكر الجهاد بالأموال والأنفس، خصه بمن يؤمن بالله واليوم الآخر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤٤].

- وإذا تحدث عن النفقة بين أهم صفات المخلصين فيها، وهم من يؤمنون بالله واليوم الآخر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٩٩].

- وإذا أمر بالاقتداء بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطب من يؤمن بالله واليوم الآخر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) فتح الباري: (١١/ ٣٩٦).

- وإذا وصف من يوالي في الله تعالىٰ ويعادي فيه بين أنهم المؤمنون بالله واليوم الآخر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢].

- وإذا كشف عن كذب المنافقين بين أنهم يزعمون الإيمان بالله واليوم الآخر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨].

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تستنبط منها العلقة الوثيقة بين الإيمان بالله تعالىٰ والإيمان باليوم الآخر، وهي علاقة التعظيم، فاليوم الآخر من دلائل عظمة الله تعالىٰ، فمن ينكره إنما يشك في عظمته سبحانه؛ ولذلك كلما تحدث القرآن عن اليوم الآخر أظهر مقامات العظمة لله تعالىٰ في ثنايا أحداثه الجسام، ومن ذلك ما يلي:

أولًا: إظهار تفرده بالملك في ذلك اليوم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]، وقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، وقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الحج:٥٦]، و«ال» هنا تفيد الحصر فلا ملك إلا له سبحانه.

ثانيًا: الإخبار بقيامه علىٰ الأمر كله، وتجلي ذلك يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، واضمحلت هنالك الممالك، وذهبت الرياسات، وحصل الملك للملك الجبار»[1].

(١) جامع البيان (٢٤/ ٢٧٢).

ثالثًا: بيانه لهلاك الخلق، وكمال حياته: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

رابعًا: إظهار فزع الخلق وخوفهم من قوته وقهره وغضبه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾، وكما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن خوف صفوة خلقه من رسله يوم القيامة وقولهم جميعا: «إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله، ولن يغضب بعده مثله،... نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري»[1].

خامسًا: حكايته لحال الخلق من الذلة والخضوع لجبروت العزيز، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

سادسًا: الإخبار بإقرار المنكرين، وعبادة المتكبرين، وخسارة الظالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالىٰ: (إنا أرسلنا نوحا)، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤).

ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾، وقوله: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

سابعًا: ومن تعظيم الله تعالىٰ من خلال هذا اليوم العظيم: بيان أن من كفر به فهو كافر بالله تعالىٰ؛ لأنه منكر لقدرته، وعدله، وخلقه السموات والأرض بالحق؛ ولذلك ذكر القرآن قول المكذبين وذمهم وكفَّرهم وتهدَّدهم وتوعَّدهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الرعد: ٥]، وقال: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٩-٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١].

ثامنًا: ومن تعظيم الله تعالىٰ في ذلك اليوم: بيان عظمته في سرعة حسابهم، مع كثرة أعدادهم، وتنوع أعمالهم وأقوالهم، واختلاف إراداتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾، [الرعد:٤١]، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله عَزَّوَجَلَّ عالم بما للعباد وعليهم فلا يحتاج إلىٰ تذكر وتأمل، إذا قد علم ما للحاسب وعليه، لأن الفائدة في

الحساب علم حقيقته. وقيل: سريع المجازاة للعباد بأعمالهم. وقيل: المعنىٰ لا يشغله شأن عن شأن، فيحاسبهم في حالة واحدة، كما قال وقوله الحق: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾»(١).

تاسعًا: ومن ذلك بيان عظمته في عدله في محاسبتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾، وفيه من الدلالة علىٰ سعة علمه وإحاطته ما يعمر القلوب بالتعظيم والإجلال، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بما لنا من العظمة في العلم والقدرة وجميع صفات الكمال فحاسبناه عليها»(٢).

عاشرًا: بيانه سبحانه أن كل شيء عليه يسير، ومنه الحشر والبعث، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾، وقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

ولو استعظموا شيئا لكان الخلق الأول أعظم؛ لذلك كثيرا ما يذكرهم الله تعالىٰ بهذه الحجة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

بل لكان خلق السموات والأرض أعظم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي: (٢/ ٤٣٥).

(٢) نظم الدرر: (١٢/ ٤٢٩).

يَعۡلَمُونَ﴾، وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، وقال: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

وذكر الله تعالىٰ كفرهم مع قيام هذه الحجة الظاهرة في آية واحدة تجمع ما سبق، وهي قوله تعالىٰ: ﴿۞أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا﴾، قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد علموا بدليل العقل أن من قدر علىٰ خلق السموات والأرض، فهو قادر علىٰ خلق أمثالهم من الإنس؛ لأنهم ليسوا بأشد خلقا منهن، كما قال: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾، ولا الإعادة أصعب عليه من الإبداء، بل هي أهون... وجعل لإعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلًا مضروبًا ومدة مقدرة لا بد من انقضائها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ﴾، فأبىٰ الظالمون بعد قيام الحجة عليهم ووضوح الدليل: إلا كفورا أي جحودًا وتماديًا في باطلهم وضلالهم»(١).

ووجوه التعظيم في اليوم الآخر أكثر من أن تستوعبها هذه العجالة التأصيلية.

---

(١) محاسن التأويل: (٦/ ٥١٦)، بتصرف.

المطلب السابع: تعظيم الله تعالى من خلال الإيمان بالقدر:

القدر من أعظم أركان الإيمان المتعلقة بأفعال الله تعالىٰ وصفاته، وهو من الأركان التي تتجلىٰ فيها عظمة الله تعالىٰ من جميع جهاته، فمعالم القدر علىٰ أربع مراتب[1]:

وهي المجموعة في قول القائل[2]:

علم كتابة مولانا مشيئته ... وخلقه وهو إيجاد وتكوين

وتفصيلها كما يلي:

١ - المرتبة الأولىٰ: العلم: وهو الإيمان بأن الله تعالىٰ يعلم كل شيء أزلا وأبدا جملة وتفصيلًا، كما قال تعالىٰ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، ولا شك أن في ذلك أكبر تعظيم لله تعالىٰ الذي لا يقع شيء إلا بعلمه سبحانه.

٢- المرتبة الثانية: الكتابة: وهي الإيمان بأن الله كتب مقادير كل شيء، وهي مبنية علىٰ علمه المحيط، وهي علىٰ أنواع:

الكتابة في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كتب الله مقادير

---

(١) ينظر: شفاء العليل لابن القيم ص ٢٩.

(٢) » ينظر: القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد: (٢/ ٤٠٥).

الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء)[1].

الكتابة لكل إنسان في بطن أمه كما في حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)[2].

الكتابة في كل عام كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣ - ٤]، وكل ذلك بعلم محيط، وحكمة بالغة.

٣ - المرتبة الثالثة: المشيئة: وهي الإيمان بأن كل شيء بمشيئة الله تعالىٰ، وأن مشيئة الخلق لا تخرج عن مشيئته سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ[3]:

فما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقتَ العباد علىٰ ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتىٰ والمُسِنْ
علىٰ ذا مننتَ وهذا خذلتَ ... وهذا أعنتَ وذا لم تُعِنْ
فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حَسَنْ

---

(١) » أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَىٰ عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، رقم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٨)، ومسلم، كتاب القدر، باب كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ، رقم (٢٦٣٤).

(٣) الاستذكار لابن عبد البر: (٨/ ٢٦٥)، طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي: (١/ ٢٩٥).

٤- المرتبة الرابعة: الخلق: الإيمان بأن الله خلق كل شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾، وغيرها من الآيات التي تدل علىٰ أن الأمر كله لله قبلا وبعدا، خلقا وتقديرا.

- ومن تعظيم الله تعالىٰ من خلال الإيمان بالقدر العلم بأن أفعال الله تعالىٰ دائرة بين الفضل والعدل: فكل خير فبمحض فضله، وكل شر فبمحض عدله، وكل ذلك بعظيم علمه وحكمته، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: له الحكمة التامة، والحجة البالغة في هداية من هدىٰ، وإضلال من أضل، ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره»[1].

فمن هداه الله تعالىٰ فبعظيم فضله، ومن أضله فبمحض عدله، وكل ذلك ببالغ حكمته وكمال علمه، قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يهدي من يشاء، ويعصم، ويعافي؛ فضلًا. ويضل من يشاء، ويخذل، ويبتلي عدلا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله»[2]، وقال يحي العمراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهادىٰ المهتدين بفضله، وخاذل الضالين بعدله، والعالم بكل مظهر ومكنون، الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»[3].

- ومن تعظيم الله تعالىٰ من خلال الإيمان بالقدر: عدم السؤال عن أفعاله، والخوض في تعليلات الغيب من أقداره، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (٣/ ٣٥٨).

(٢) العقيدة الطحاوية (ص: ٣٦).

(٣) الانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية الأشرار: (١/ ٨٩).

﴿عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فالله سبحانه يفعل ما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ولا يقال: لماذا أضل فلانا أو هدىٰ فلانا أو أعطىٰ فلانا أو منع فلانا؟ لأن ذلك كله راجع إلىٰ حكمته وعلمه بخلقه، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وهذه الحكم قد يخبر الله بها عَزَّوَجَلَّ فيجب الإيمان بها، وقد يخفيها فلا تتطلب ولا يتكلف البحث فيها.

والخوض في ذلك هو سبب الضلال لأنه طعن في حكمة الله تعالىٰ وشك في عدله في خلقه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

وأصل ضلال الخلق في كل فرقة ... هو الخوض في فعل الإله بعلة

وقد تغيب عنا الحكمة وقد تظهر، فقد يخذل العبد عن الخير لمصلحة أعظم أو دفع مفسدة، ومثاله قوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]،فثبطهم عن الجهاد لدفع مفاسد أعظم ذكرها بعد ذلك بقوله: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

- ومن تعظيم الله تعالىٰ من خلال الإيمان بالقدر العلم بأنه يحتج بالقدر في المصائب، لا في الذنوب والمعائب؛ تنزيها لله تعالىٰ وتعظيمًا له، مع أن الكل بتقدير الله تعالىٰ، لكنّ للإنسان مشيئة واختيارا، والاحتجاج بالقدر علىٰ المعاصي هي طريقة المشركين، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية السعدي: ص ٢٥ البيت [٦].

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

ومن هذا الأصل تتضح لنا حقيقة احتجاج آدم علىٰ موسىٰ عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: (احتج آدم وموسىٰ عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ عند ربهما، فحج آدم موسىٰ.

قال موسىٰ: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أُهبط الناس بخطيئَتك إلىٰ الأرض؟

فقال آدم: أنت موسىٰ الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيًا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟

قال موسىٰ: بأربعين عامًا. قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصىٰ آدم ربه فغوىٰ؟

قال: نعم. قال: أفتلومني علىٰ أن عملت عملًا كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: فحج آدم موسىٰ)(١).

فظاهر الحديث أن آدم احتج بالقدر في مصيبة الإخراج من الجنة، وليس في معصية الأكل من الشجرة؛ لأن موسىٰ لم يعيره بالأكل من الشجرة، فهو يعلم مغفرة الله تعالىٰ له في ذلك، وإنما كان الكلام في الإخراج من الجنة.

- ومن تعظيم الله تعالىٰ من خلال الإيمان بالقدر العلم بأن أفعال العباد مخلوقة، وهم فاعلون لها حقيقة، وهنا تتجلىٰ قدرة الله تعالىٰ وعظمته،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسىٰ، رقم (٣٤٠٩)، ومسلم، كتاب القدر، باب حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، رقم (٢٦٥٢).

كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالله خلق للعباد قوة وأعضاء للحركة، كما خلق لهم الإرادة علىٰ الفعل، فبوجود الإرادة الجازمة مع سلامة الأعضاء يحصل الفعل، وهذا القدر مخير فيه العبد فإما أن يفعل الخير وإما أن يفعل الشر كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۞٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، وغيرها من الآيات التي تدل علىٰ عظمة الخالق المقدر لحركات ما في الكون وسكناتهم، وأفعالهم وإراداتهم (١).

المطلب الثامن: تعظيم الله تعالى من خلال العبادات:

سبق الكلام عن تعظيم الله تعالىٰ من خلال الحديث عن ألوهيته، وإفراده بالعبادة، واستحقاقه سبحانه لها دون غيره، والكلام هنا حول نظرة عجلىٰ في مضامين العبادات وتجليات التعظيم في أصلها وأفرادها، ومن ذلك:

- أن أول أمر في القرآن الكريم كان للعبادة، في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۞٢١﴾، وأنها سبب الخلق، ودعوة الرسل كما سبق.

---

(١) «ينظر: عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين ص ٢٨.

- ومن مظاهر التأكيد علىٰ تعظيم الله تعالىٰ بعبادته كثرة التنويع في الأمر بها، والحث عليها، والترغيب فيها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾.

- وكذلك التأكيد علىٰ العبادات القلبية التي هي جوهر التعظيم، ومنها:

- المحبة: كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾، فالمؤمنون أشد محبة لله تعالىٰ لما قام في قلوبهم من التعظيم، بخلاف المشركين، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من وجهين:

أحدهما: أنه ما يصدر منهم من التعظيم، والمدح، والثناء والعبادة خالصة عن الشرك وعما لا ينبغي من الاعتقاد ومحبة غيرهم ليست كذلك.

والثاني: أن حبهم لله اقترن به الرجاء والثواب والرغبة في عظيم منزلته والخوف من العقاب والأخذ في طريق التخلص منه، ومن يعبد الله ويعظمه علىٰ هذا الحد تكون محبته لله أشد»(١).

- والخوف: كما قال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾، وفي هذه الآية هدايات عظيمة في التعظيم، منها ما يظهر بدلالة السياق، فذكر قبلها سجود السموات والأرض والدواب والملائكة تعظيما لله تعالىٰ، ثم بين تكامل التعظيم بالخوف، ثم انقيادهم لأمر الله تعالىٰ خوفا وتعظيما، قال البقاعي: (﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ أي الموجد لهم، المدبر

(١) «مفاتيح الغيب» (٤/ ١٧٨).

لأمورهم، المحسن إليهم، خوفًا مبتدئًا ﴿مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ إشارة إلىٰ علو الخوف عليهم وغلبته لهم، أو حال كون ربهم مع إحسانه إليهم له العلو والجبروت، فهو المخوف المرهوب، فهم عما نهوا عنه ينتهون ﴿وَيَفۡعَلُونَ﴾ أي بداعية عظيمة علمًا منهم بما عليهم لربهم من الحق، مع عدم منازع من حظ أو شهوة أو غير ذلك)[١].

- والرجاء: كما قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾، فهذا القانت الساجد القائم الخائف الراجي هو أنموذج المعظِّم الذي نصبه الله تعالىٰ بأوصاف ظاهرة، لا تجتمع إلا مع قلب قادر علىٰ حملها، لما يقوم به من جلائل التعظيم.

-التوكل: كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾، فبين أن التوكل علىٰ الله تعالىٰ من تمام الهداية، وأصل الهداية تعظيم الله تعالىٰ، قال الجزائري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾: أي طرقنا التي عرفناه بها، وعرفنا عظمته، وعزة سلطانه، فأي شيء يجعلنا لا نتوكل عليه، وهو القوي العزيز»[٢].

- والوجل: كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾: والوجل من أخص خصال المؤمنين، فهو خوف وإشفاق مع التوثق بالعمل، فهو يتضمن غاية الافتقار والتعظيم لله تعالىٰ، حيث يعمل

(١) «نظم الدرر: (١١/ ١٧٤-١٧٥).

(٢) «أيسر التفاسير: (٣/ ٤٧).

المؤمن أنه مهما عبده فلن يوفيه حقه، كما قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو أن عبدا خر علىٰ وجهه من يوم ولد، إلىٰ أن يموت هرما في طاعة الله، لحقره ذلك اليوم، ولود أنه رد إلىٰ الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب)[1].

-والإخبات: كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، فذكر صفات المخبتين، وأولها تعظيم الله تعالىٰ بالوجل عند ذكره؛ لمعرفتهم بجلائل عظمته، وهكذا في بقية العبادات القلبية.

وبقية العبادات الفعلية والقولية صادرة عن هذه العبادات القلبية.

- فمن أعظم العبادات الفعلية: الصلاة، التي يتجلىٰ التعظيم في جميع خطراتها من الخشوع والإقبال، وجميع حركاتها من الرفع والقيام والركوع والسجود والجلوس.

وفي جميع أقوالها، وأولها التكبير الذي هو تعظيم لله تعالىٰ، ثم تعظيمه بالاستفتاح والفاتحة والقرآن، ثم التكبيرات، والتعظيم في أذكار الركوع والسجود والتشهد.

ثم التعظيم في آثارها: ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنىٰ نهيها إياهم عن ذلك أنها لتضمنها صنوف العبادة من

---

(١) «أخرجه أحمد في المسند: (١٧٦٥٠)، والطبراني في الكبير: (١٩/ ٥٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣/ ٢٢٨).

التكبير والتسبيح والقراءة والوقوف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، والركوع والسجود له سبحانه الدال علىٰ غاية الخضوع والتعظيم، كأنها تقول لمن يأتي بها: لا تفعل الفحشاء والمنكر، ولا تعص ربا هو أهل لما أتيت به، وكيف يليق بك أن تفعل ذلك وتعصيه عَزَّوَجَلَّ وقد أتيت، مما يدل علىٰ عظمته تعالىٰ وكبريائه سبحانه من الأقوال والأفعال بما تكون به إن عصيت وفعلت الفحشاء أو المنكر كالمتناقض في أفعاله»[(١)].

وهكذا الشأن في بقية العبادات الفعلية من الصيام حيث ختم الله تعالىٰ آيات الصيام بالأمر بتكبيره وتعظيمه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ وفي الزكاة التي أعقبها الله تعالىٰ بتعليق القلوب بربها وتعظيمه، في قوله تعالىٰ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وفي الحج الذي جاءت آياته كلها في تعظيم الله تعالىٰ بتوحيده والتغليظ في الشرك والإخبات إليه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾، وقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

(١) روح المعاني (١٠/ ٣٢٧).

ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

فالتعظيم في العبادات الفعلية هو أصلها ومضمونها، والتذلل والخضوع جوهرها ومكنونها.

- وكذلك العبادات القولية كلها متعلقة بالتعظيم وصادرة عنه، ومنها:

- الاستغاثه: وهي طلب الغوث، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ قولان:

أحدهما: تستنصرون. والثاني: تستجيرون. والفرق بينهما أن المستنصر يطلب الظفر، والمستجير يطلب الخلاص» (١).

-والدعاء: كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، وهو أعم من الاستغاثة ويشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة، وأصله مبني علىٰ التعظيم لله تعالىٰ باعتقاد صفات الكمال من سمعه وعلمه وقدرته وغناه وعفوه وغيرها من مقتضيات الدعاء بحسب كل مسألة.

-والاستغفار: كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ لما بين صفاتهم الحميدة ذكر احتقارهم لأنفسهم وأنهم لا يرون لأنفسهم، حالا ولا مقاما، بل يرون أنفسهم مذنبين مقصرين فيستغفرون

(١) زاد المسير (٢/ ١٩١).

ربهم، ويتوقعون أوقات الإجابة وهي السحر»[1].

وغيرها من عبادات لا تصدر إلا من قلب معظم لله تعالىٰ، وكل عبادة منها مفتقرة إلىٰ دراسات تجلي وجوه التعظيم فيها، وإنما المقصود فتح الباب؛ لتيسير الأسباب، بإذن الله تعالىٰ.

المطلب التاسع: تعظيم الله تعالى من خلال المعاملات والآداب:

المعاملات في القرآن الكريم بأنواعها الاجتماعية والمالية والحكمية محاطة بسياج من الآداب والأخلاق، وكلها صادرة عن التعظيم؛ لأنها مبنية علىٰ استحضار مراقبة الله تعالىٰ فيما يشرع، ويأذن ويمنع؛ ولذلك نجد القرآن يذكرها في ثنايا أساليب التعظيم وألفاظ الإيمان والطاعة والتقوي.

ففي المعاملات الاجتماعية أمر بالتعاون والتناصر والتناصح، بلفظ الإيمان بالله تعالىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]، ونهىٰ عن التنازع فقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وأمر بالإصلاح بين المؤمنين مخاطبا أهل التقوىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠]، وحرم القتل وجعله من أعظم الذنوب، وغلظ فيه بألفاظ تنخلع لها القلوب، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٢٤).

وأمر بالمحافظة على العقل، فحرم الخمر، وبين أن من أهم الحكم الصدّ عن ذكر الله تعالى، والانشغال عن ذكره وعبادته وتعظيمه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١].

- وفي المعاملات المالية أحل الطيبات، وحرم الخبائث، وبين أن من يتحرى في ذلك هم أهل التقوى والتعظيم، فقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]، وحرم الربا، وخاطب المؤمنين بلفظ التقوى لاجتنابه، وتوعد من تعاطاه بالحرب، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وفي المعاملات الحكمية: ذكر المُلك ومدح ما كان منه بحق وبين أنه هو الواهب له؛ تعظيما له سبحانه، كما قال تعالى: ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٥٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾، ولذلك أمر بالعدل في الحكم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٨ – ٥٩].

وذكر الاستخلاف والتمكين وبين شروطه، وأصلها عبادته وحده تذللا وتعظيمًا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وأرسىٰ مبدأ الشورىٰ وربطها بالتوكل علىٰ الله تعالىٰ، فقال سبحانه لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ووصف بها المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورىٰ: ٣٨]، وكلها من مظاهر التعظيم.

وتفاصيل براهين التعظيم في مجال الحكم يطول ذكرها، فالمقصود الإشارة إلىٰ تحقيق القرآن لذلك، والتفصيل في مظانه.

-وأما الآداب والأخلاق فقد تجلت في أفعال المؤمنين وأقوالهم، وهي متصلة بجميع تعاملاتهم، ومن أمثلة هذه الأخلاق ما يلي:

الصبر: وهو من أكثر الأخلاق التي اعتنىٰ بها القرآن؛ لذا تكرر ذكره في مواضع كثيرة، قال الإمام أحمد بن حنبل: «ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعًا»[1].

(١) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (ص: ٧١).

وقد تنوعت دلالات التعظيم في آيات الصبر، ومن ذلك:

- تعليق الصبر بالله تعالىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، قال ابن كثير: «تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأن ذلك إنما ينال بمشيئة الله وإعانته، وحوله وقوته»[(١)].

- ظفرهم بمعية الله سبحانه لهم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، قال أبو علىٰ الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله تعالىٰ معيته[(٢)]، ولا تكون هذه المعية الخاصة إلا للمعظمين.

- قرن الصبر بالتقوىٰ مما يدل علىٰ التلازم بينهما، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، والجامع بينهما أن حقيقة التقوىٰ فعل المأمور واجتناب المحظور والرضا بالمقدور؛ تعظيما لله تعالىٰ، ولا يتحقق ذلك إلا بمقامات الصبر الثلاثة، وهي: الصبر علىٰ المأمورات والمحظورات والمقدورات.

ومنها أيضا الصدق: وكذلك تنوعت طرائق التعظيم من خلاله، فمن ذلك ربطه بالتقوىٰ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فصدق اللسان ثمرة الصدق في القلب، والذي حقيقته التقوىٰ، وكلها قائمة علىٰ قدم التعظيم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (٤/ ٦٥١).

(٢) عدة الصابرين لابن القيم (ص: ٧٣).

- وحث علىٰ خلق التواضع لله تعالىٰ تعظيما له، ونهىٰ عن التكبر، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]، قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين، ولا مرحين، ولا متكبرين»(١).

- وبين أنه من الصفات التي يحبها الله تعالىٰ، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقال ابن كثير:: (هذه صفات المؤمنين الكمّل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا علىٰ خصمه وعدوه، كما قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩](٢).

- وقال سبحانه: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣]، قال ابن جزي: «عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ: أي تكبرا وطغيانا لا رفعة المنزلة، فإن إرادتها جائزة»(٣).

فهذه بعض الآداب القرآنية التي تجلىٰ فيها التعظيم لله تعالىٰ، واستيعابها مما يخرج عن المقصود من هذه العجالة.

(١) معالم التنزيل (٦/ ٩٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (٣/ ١٣٦).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/ ١٢٠)، ينظر الهدايات القرآنية: (١/ ٢٠٣) وما بعدها.

تعظيم الله تعالى

المبحث الثاني

مظاهر تعظيم الله تعالى

إعداد

أ.د. طه عابدين طه

تعظيم الله تعالى

مظاهر تعظيم الله تعالى

تعظيم الله تعالىٰ من الأعمال القلبية الجليلة التي إذا تحققت في النفس وتمكنت في القلب ظهرت آثارها ومظاهرها علىٰ أقوال العبد وأفعاله وأحواله، سوف نتحدث في هذا المبحث عن بعض تلك المظاهر الملازمة للتعظيم، وهي دليل وبرهان علىٰ تعظيم صاحبها لله تعالىٰ، وبفقدها أو ضعفها يكون هنالك مؤشر علىٰ فقد التعظيم أو ضعفه، وهي كثيرة يصعب حصرها سوف أذكر أبرزها، مكتفيًا في كل نقطة بما يبرهن عليها، تاركًا الجوانب الكثيرة فيها خشية الإطالة؛ لأن الحديث عن كل مظهر من مظاهر التعظيم يحتاج أن يفرد بالبحث والدراسة، وهي تتلخص في المطالب الآتية:

المطلب الأول: تحقيق التوحيد:

من أعظم مظاهر تعظيم الله تعالىٰ تحقيق التوحيد، بعبادته تعالىٰ وحده وعدم الإشراك معه غيره، فالشرك منافٍ تمامًا للتعظيم، وقد بيَّن تعالىٰ كثيرا في كتابه العزيز أن المشركين لم يعظِّموه ويقدِّروه حق قدره؛ لأنَّهم لو عظَّموه تعالىٰ ما أشركوا به شيئًا ممن لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، كما قال تعالىٰ متحدثًا عن عظمته، وعن هوان من أشركوا به، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٢-٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ١٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٥، ١٦].

فالله تعالىٰ أجلّ وأعظم من أن يعبد معه غيره، وكيف يكون معظِّمًا لربه من أشرك معه في التعظيم والحب غيره ممن لا يخلقون ذبابًا ولو اجتمعوا له، ولا يملكون لأنفسهم موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فالشرك منافٍ دائما للتوحيد الذي أساسه التعظيم، ومحبط لجميع الأعمال، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٧]،وقد جاء في الحديث القدسي عن النبي ﷺ قال: «قال الله: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِىٰ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١)، قال ابن القيم رحمه الله: «فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره من لا يقدر علىٰ خلق أضعف حيوان وأصغر، وإن يسلبهم الذباب شيئا مما عليه لم يقدروا علىٰ الاستعاذة منه... فما قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل»(٢).

ومن هنا كان أهل التوحيد هم أهل التعظيم والتنزيه لله تعالىٰ، وأهل الشرك عكس ذلك، وقد جاءت الأدلة الكثيرة التي توضح ذلك في الكتاب

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ح رقم (٢٩٨٥).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٩٧).

والسنة، بل التعظيم هو المؤشر لدرجات الإيمان، قال ابن مندة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعباد يتفاضلون في الإيمان علىٰ قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السر والعلانية»[(١)]، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة التعظيم، وهذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالىٰ في القلب، وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيما وإجلالا، وقد ذم الله تعالىٰ من لم يعظمه حق عظمته ولا عرفه حق معرفته ولا وصفه حق صفته، وأقوالهم تدور علىٰ هذا، فقال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نوح: ١٣]، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، وقال الكلبي: لا تخافون لله عظمة... وروح العبادة: هو الإجلال والمحبة فإذا تخلىٰ أحدهما عن الآخر فسدت، فإذا اقترن بهذين الثناء علىٰ المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد والله سبحانه أعلم»[(٢)].

وقد بين العلماء أن تحقيق التوحيد من لوازمه وجود التعظيم في القلب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير هذه المسألة: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ والرسالة لعبده ورسوله ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام -الذي هو حال في القلب يظهر أثره علىٰ الجوارح؛ بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل- كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح، إذ الاعتقادات الإيمانية تزكي النفوس

(١) كتاب الإيمان (١/ ٣٠٠).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٦٣).

وتصلحها، فمتىٰ لم توجب زكاة النفس ولا صلاحها فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب ولم تصر صفة ونعتًا للنفس ولا صلاحا»[1].

المطلب الثاني: الإيمان بأسمائه تعالى وصفاته كما جاءت في الكتاب والسنة:

من مظاهر تعظيم الله الإيمان بأسماء تعالىٰ وصفاته كما جاءت، بإثبات ما أثبته الله تعالىٰ في كتابه، أو أثبتها له النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته بما يليق بجلاله وعظمته من غير تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف، ولا تحريف، ولا إلحاد،، فكل وصف له جَلَّ وَعَلَا بالغ من الكمال والجلال والجمال ما يقطع تلك الأوهام التي بنوها علىٰ التشبيه والتمثيل بالمخلوقين، الذي عقل المؤمن منزه ومعظم لربه منه؛ لأنه موقن أنه تعالىٰ لا سميّ له، ولا نِدَّ له، ولا كُفُوَ له، ولا يمكن أن يقاس بخلقه في شيء. قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلموا أن رب السماوات والأرض يستحيل عقلا أن يصف نفسه بما يلزمه محذور أو يلزمه محال أو يؤدي إلىٰ نقص. كل ذلك مستحيل عقلا. فإن الله لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين علىٰ حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]»[2]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع سلف الأمة وأئمتها علىٰ أن الرب تعالىٰ

---

(١) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص: ٣٧٥).

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص:٢٠).

بائن من مخلوقاته يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال، كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، قال ابن عباس: الصمد العليم الذىٰ كمل في علمه، العظيم الذىٰ كمل في عظمته، القدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته، السيد الكامل في سؤدده»(١).

فأهل السنة والجماعة من دلالة تعظيمهم لله تعالىٰ أنهم يثبتون له ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينزهون الله تعالىٰ عن مشابهة خلقه، ويقطعون الطمع في إدراك كيفية ذلك، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سأله أحدهم عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال: كيف استوىٰ؟ فقال: «الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالًا»، ثم أمر به فأُخرج»(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١١/ ٢٥٠).

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب، قال: كنا عند مالك فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله (الرحمن علىٰ العرش استوىٰ)؟ كيف استوىٰ، فأطرق مالك فأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: الرحمن علىٰ العرش استوىٰ، كما وصف نفسه، ويقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وما أراك إلا صاحب بدعة، أخرجوه. فتح الباري (١٣/ ٤٠٧)، وقال الذهبي هذا ثابت عن مالك، مختصر العلو (ص:١٤١)، وانظر الرواية في الأسماء والصفات للبيهقي: (ص: ٥١٥).

تمثيل، والذين ينكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته، ولا عبدوه حق عبادته، والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ما قدروا الله حق قدره في ثلاث مواضع ليثبت عظمته في نفسه، وما يستحقه من الصفات، وليثبت وحدانيته، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، وليثبت ما أنزله علىٰ رسله»[1].

ومن مظاهر عدم تعظيم الله تعالىٰ تعطيل صفاته أو تشبيهها أو تمثيلها بخلقه أو تأويلها علىٰ غير ما دلت عليه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما قدره حق قدره من نفي حقائق أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، فنفىٰ سمعه وبصره وإرادته واختياره وعلوه فوق خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد، ونفىٰ عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم، فأخرجها عن قدرته ومشيئته، وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما يشاؤون بدون مشيئة الرب، فيكون في ملكه مالا يشاء ويشاء مالا يكون، فتعالىٰ عن قوله أشباه المجوس علوا كبيرا... وما قدر الله حق قدره من نفىٰ حقيقة محبته، ورحمته، ورأفته، ورضاه، وغضبه، ومقته، ولا من نفىٰ حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله، ولا من نفىٰ حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به؛ بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه، فنفي حقيقة مجيئه وإتيانه واستوائه علىٰ عرشه وتكليمه موسىٰ من جانب الطور، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه الىٰ غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التي نفوها وزعموا أنهم بنفيها قد قدروه حق قدره، وكذلك لم يقدِّره حق قدره

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٣/ ١٦١).

من جعل له صاحبة وولدا، وجعله سبحانه يحل في جميع مخلوقاته، أو جعله عين هذا الوجود... وكذلك لم يقدِّره حق قدره من زعم أنه لا يحيىٰ الموتىٰ ولا يبعث من في القبور، ولا يجمع الخلق ليوم يجازىٰ المحسن فيه بإحسانه، والمسيء فيه بإساءته، ويأخذ للمظلوم حقه من ظالمه، ويكرم للمتحملين المشاق في هذه الدار من أجله وفى مرضاته بأفضل كرامته...»(١).

والكلام في هذا الباب طويل ومبسوط في كتب العقيدة والتفسير وشروح السنة أحببنا فقط بيان ما يحقق مقصود المبحث وهو أن هذا الإثبات القائم علىٰ ما جاء في الكتابة والسنة هو مظهر من مظاهر التعظيم التي سلكها سلف الأمة الأخير.

المطلب الثالث: تعظيم القرآن الكريم:

من مظاهر تعظيم الله تعالىٰ تعظيم كلامه العزيز العظيم المجيد، وتنزيهه وصيانته وعدم الاستخفاف به؛ لأن من لوازم تعظيم الله تعالىٰ تعظيم كلامه المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، والاستخفاف بالقرآن الكريم والاستهانة به وعدم تعظيمه استهانة بمن تكلم به عَزَّوَجَلَّ، وقد وصف الله تعالىٰ المستهزئين به، أو بآياته، أو برسوله بالمجرمين، ووعدهم بالعذاب الأليم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٩٧).

﴿يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية:٧- ٩]، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الانقياد إجلال وإكرام، والاستخفاف إهانة وإذلال، وهذان ضدان، فمتىٰ حصل في القلب أحدهما انتفىٰ الآخر، فعلم أن الاستخفاف والاستهانة به ينافي الإيمان منافاة الضد للضد»[١]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أَنَّ مَن استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفًا منه، أو آية، أو كذب به، أو بشيءٍ مما صرح به فيه مِن حكمٍ، أو خَبَرٍ، أو أَثْبَتَ ما نفاهُ، أو نفىٰ ما أثبته، علىٰ عِلْمٍ منه بذلك، أو شكَّ في شيءٍ من ذلك - فهو كافر عند أهل العلم بإجماع» [٢]، وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع المسلمون علىٰ وجوب تعظيم القرآن العزيز علىٰ الإطلاق وتنزيهه وصيانته، وأجمعوا علىٰ أن من جحد منه حرفا مما أجمع عليه أو زاد حرفا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر»[٣]، ومن هنا فإنك لا تجد معظمًا لله تعالىٰ إلا وهو معظم لكتابه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء ١٠٧-١٠٩]. قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسجودهم سجود تعظيم لله عند مشاهدة آية من دلائل علمه وصدق رسله وتحقيق وعده. وعطفت ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ علىٰ ﴿يَخِرُّونَ﴾ للإشارة إلىٰ أنهم يجمعون بين الفعل الدال علىٰ الخضوع، والقول الدال علىٰ

---

(١) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول، ابن تيمية (ص:٥٢١).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (٢/ ١١٠١)، وينظر: (٢/ ١٠٧٦).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن (١ / ١٦١).

التنزيه والتعظيم»[1]، فهذا هو شأن العلماء المعظمين لله تعالىٰ مع كتابه.

قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ وتعظيم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يحمل علىٰ مصحف القرآن ولا علىٰ جوامع السنن كتاب ولا شيء من متاع البيت، وأن ينفض الغبار عنه إذا أصابه، أو لا يمسح أحد يده من طعام ولا غيره بورقة فيها ذكر الله تعالىٰ، أو ذكر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يمزقها تمزيقا؛ ولكن إن أراد به تعطيلها فليغسلها بالماء حتىٰ تذهب الكتابة منها، وإن أحرقها بالنار[2] فلا بأس حرق عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مصاحف كانت فيها آيات وقرآن منسوخة ولم ينكر ذلك عليه أحد والله أعلم»[3].

المطلب الرابع: الخشية والوجل عند ذكر الله تعالى:

ذكر الله تعالىٰ من الأمور العظيمة التي أمر الله تعالىٰ به في كتابه في جميع الأوقات والأحوال، والذاكر لله حقيقة هو المعظم المحب له، الذي لا يجد أنسه إلا به، وذكره جَلَّ وَعَلَا عنده أكبر من كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، قال ابن زيد وقتادة: في قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ معناه: لا شيء أكبر من ذكر الله، وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ أما تقرأ القرآن ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾، وأخرج أحمد في الزهد وابن المنذر عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ما عمل آدمي عملا أنجىٰ له من عذاب الله من ذكر الله[4]، ويشهد لهذا ما جاء عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٣٤).

(٢) وهذا لا بد أن يكون من باب الصيانة وليس من باب الاهانة.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٢٢٦).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٠/ ٤٤)، بحر العلوم (٢/ ٦٣٥)، تفسير القرآن السمعاني (٣/ ٢٠٦).

قال: قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعمالِكُمْ، وَأَزْكاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وأَرْفَعِها في دَرَجَاتِكُمْ، وخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَير مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ؟ قالوا: بلىٰ، قال: ذِكْرُ اللهِ تَعالىٰ»[1].

وما لا شك فيه أن هذا الذكر الذي يتحقق به هذا الفضل هو كما قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذكر الكامل، وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنىٰ، واستحضار عظمة الله تعالىٰ، وأن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلا من غير استحضار لذلك»[2].

فأكمل الذكر أن يقول العبد بلسانه كلمات الحمد والثناء والتسبيح والتمجيد لله تعالىٰ، ويعقل معانيها المشتملة علىٰ التعظيم والتنزيه لله تعالىٰ والثناء عليه، فيكون اللسان منبهـًا للجنان عن تلك المعاني العظيمة والمقاصد الكبيرة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده»[3] فهم يجتمع لهم بذكره محبته والأنس به وتعظيمه.

وقد قرن الله تعالىٰ الأمر بذكره في كتابه بما يدل علىٰ عظمته ومجده حتىٰ يكون الذكر تعظيما له تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ١٨ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ

(١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم ٢١٧٥٠، والترمذي في سننه ح رقم ٣٣٧٧، ومالك في الموطأ ح رقم ٤٩٢، وقال الحاكم: (٢/ ٣٠٨): حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٢) فتح الباري (٥/ ٣٥١).

(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ٢١٣).

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١٩ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ١٧-٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١-٥]، قال أبو حيان الأندلسي وهو ينقل عن الرازي - رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ - قوله في المنتخب ما ملخصه: «الذكر يكون باللسان، وهو: الحمد، والتسبيح، والتمجيد، وقراءة كتب الله؛ وبالقلب، وهو: الفكر في الدلائل الدالة علىٰ التكاليف والأحكام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والفكر في الصفات الإلهية، والفكر في أسرار مخلوقات الله تعالىٰ حتىٰ تصير كل ذرة كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم التقديس، فإذا نظر العبد إليها انعكس شعاع بصره منها إلىٰ عالم الجلال»(١).

ومن مظاهر تعظيم الله تعالىٰ عند عباده المؤمنين الذاكرين له كثيرًا استحضارهم لعظمته فتظهر آثار هذا التعظيم عند ذكره في قلوبهم خوفًا ووجلًا، وتقشعر أبدانهم، وتدمع أعينهم من خشيته؛ لأن ذكره منبه لهم عن عظمته كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الانفال:٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

(١) البحر المحيط (١/ ٦١٩).

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

فكل هذه الآيات تبين أثر ذكر الله تعالىٰ عليهم، وما يحصل لهم من الوجل والخوف هيبة لله تعالىٰ المعظم في قلوبهم، ومن لين القلوب والجلود، والبكاء والخشوع والسجود ونحو ذلك؛ ولذا تجدهم كذلك من تعظيمهم لاسم ربهم يعطون من سأل به، ويتركون كثرة الحلف به، «لما في كثرة الحلف بالله من استخفاف واستهانة وتجرؤ علىٰ الله»[(١)]، وينزهون اسمه جَلَّ وَعَلَا عن أي شيء ينافي إكرامه وتعظيمه وإجلاله كما قال تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

المطلب الخامس: تعظيم قدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

من مظاهر تعظيم الله تعالىٰ تعظيم من عظمه الله تعالىٰ وأجله وأعلىٰ قدره، ورفع ذكره، وجعله قدوة لخلقه، وأمر عباده بتعظيمه وتبجيله وتعزيزه، وتوقيره بكمال الأدب معه واتباع هديه، ألا وهو نبيه الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ

(١) التفسير المنير للزحيلي (٢/ ٣١٠).

﴿وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٨-٩]، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي تعظموه وتفخموه، قاله الحسن والكلبي والتعزيز: التعظيم والتوقير. وقال قتادة: تنصروه وتمنعوا منه... وقال بعض أهل اللغة: تطيعوه. ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تسودوه، قاله السدي. وقيل: تعظموه. والتوقير: التعظيم والترزين أيضا»[١]، وقال التستري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ قال: أي تعظموه غاية التعظيم في قلوبكم، وتطيعوه بأبدانكم؛ ولهذا سمىٰ التعزير تعزيرًا لأنه أكبر التأديب»[٢].

وقال تعالىٰ في تعظيمه وتبجيله: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]، قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة علَّم الله فيها المؤمنين أن يعظموا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ويحترموه، ويوقروه، فنهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته، وعن أن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، أي ينادونه باسمه: يا محمد، يا أحمد، كما ينادي بعضهم بعضًا»[٣].

فمن صفات عباد الله تعالىٰ الفائزين المفلحين المرحومين تحقيق تعظيمه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، بكمال توقيره، وكثرة الصلاة والثناء عليه، والابتعاد عن

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٦٧).

(٢) تفسير التستري (٢/ ٣٦).

(٣) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٧/ ٤٦٢).

كل ما يؤذيه في نفسه ودينه وأمته، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٦، ٥٧]، وغيرها من أدلة كثيرة جاءت في الحث علىٰ توقيره، ومحبته، واتباع سنته، والتسليم لما ثبت عنه، والدفاع عن منهجه، ورد كل بدعة تخالف ما ثبت عنه، والذب عن عرضه وآل بيته، فلا تجد معظمًا لله تعالىٰ إلا وهو معظم محب متبع لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا متضمن للأدب مع الله تعالىٰ، ومع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر الله عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان بالله وبرسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أمورهم، وأن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا حتىٰ يقول، ولا يأمروا حتىٰ يأمر، فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته، تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ قوله، فإنه متىٰ

استبانت سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجب اتباعها، وتقديمها علىٰ غيرها، كائنا ما كان»[1]. وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعلينا معاشر المسلمين أن ننتبه من نومة الجهل وأن نعظم ربنا بامتثال أمره واجتناب نهيه، وإخلاص العبادة له، وتعظيم نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباعه والاقتداء به في تعظيم الله والإخلاص له والاقتداء به في كل ما جاء به، وألا نخالفه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا نعصيه، وألا نفعل شيئا يشعر بعدم التعظيم والاحترام، كرفع الأصوات قرب قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقصدنا النصيحة والشفقة لإخواننا المسلمين ليعملوا بكتاب الله، ويعظموه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيم الموافق لما جاء به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتركوا ما يسميه الجهلة محبة وتعظيما وهو في الحقيقة احتقار وازدراء وانتهاك لحرمات الله، ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

وقد نبه صاحب معارج القبول إلىٰ نقطة مهمة في تعظيم الأنبياء وكيف يكون ذلك من مظاهر تعظيم الله، ويكون هو عين التعظيم الذي شرعه الله تعالىٰ وأمر به؛ لأن عدم التوازن فيه يؤدي إلىٰ غلو مناف لتعظيم الله تعالىٰ، فقال: «فإن الله تعالىٰ قد أمر بتعظيم الرسل، بأن يطاعوا فلا يعصوا، ويحبوا ويتبعوا، وأن طاعة الرسول هي طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ومعصيته معصية الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا تعظيم لا يتم الإيمان بالله إلا به، إذ هو عين تعظيم الله تعالىٰ، فإنهم إنما عظموا لأجل عظمة المرسل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأحبوا لأجله، واتبعوا علىٰ شرعه، فعاد ذلك إلىٰ تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، فلو أن أحدا عظم رسولا من الرسل بما لم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٧٩٩).

(٢) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٧/ ٤٠٩).

يأذن الله به، ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ وغلا فيه حتىٰ اعتقد فيه شيئا من الإلهية لانعكس الأمر وصار عين التنقص والاستهانة بالله وبرسله، كفعل اليهود والنصارىٰ الذين ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم من غلوهم في الأنبياء والصالحين كعيسىٰ وعزير فكذبوا الكتاب وتنقصوا الرب عَزَّوَجَلَّ بنسبة الولد إليه وغير ذلك، وكذبوا الرسل في قوله:﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم:٣٠]، فصار ذلك التعظيم في اعتقادهم هو عين التنقص والشتم،سبحان الله عما يصفون وسلام علىٰ المرسلين»[١].

المطلب السادس: تعظيم أمره تعالى ونهيه:

إن من مظاهر تعظيم الله تعظيم أمره ونهيه، بالاستجابة والامتثال لما أمر به من واجب ومستحب إخلاصًا لله جلَّ وعلا، من صلاة وزكاة وصوم وحج وبر للوالدين وصلة للرحم وغيرها طاعةً له تعالىٰ وقربة، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر دون اعتراض أو اختيار لأمر مخالف أو نهيه إذا خالف أمره تعالىٰ ونهيه، ويكون التفريط عنده فيما أوجبه أو ارتكاب ما نهىٰ عنه وزجر عظيمًا في نفسه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن أول مراتب تعظيم الحق عَزَّوَجَلَّ تعظيم أمره ونهيه؛ وذلك المؤمن يعرف ربه عَزَّوَجَلَّ برسالته التي أرسل بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلىٰ كافة الناس ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عَزَّوَجَلَّ واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالىٰ ونهيه دالًا علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والصدق وصحة العقيدة

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول (٢/ ٥١٤).

والبراءة من النفاق الأكبر»[1]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ويكون ذلك بالاستسلام الكامل لشرعه دون حرج أو تردد، مع طمأنينة نفس وانشراح صدر قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]؛ لأنه يعرف قدر من أمره ونهاه، وأنه أمر جاء عن علم تام وحكمة كاملة، مع كمال رحمة وعدل فيما أمره فيه ونهاه، وأنها كلها حق وهدىً وخير ورحمة. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن عظمة الله تعالىٰ وجلاله في قلب العبد»تقتضي تعظيم حرماته» وتعظيم حرماته تحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون علىٰ معاصيه ما قدروا الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره أو يعظمه ويكبره ويرجو وقاره ويجله من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال وأبين الباطل، وكفىٰ بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جَلَّ جَلَالُهُ وتعظيم حرماته ويهون عليه حقه»[2].

ولما كان من صفات أهل التقوىٰ والإيمان تعظيم أمره ونهيه والسمع والطاعة له، كان من صفات أهل الكفر والنفاق والعصيان عدم الاستجابة لأمره تعالىٰ، والاعتراض علىٰ حكمه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص:١٠).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٢/ ٨٠).

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٨-٥١]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يقدره حق قدره من هان عليه أمره فعصاه، ونهيه فارتكبه، وحقه فضيعه، وذكره فأهمله، وغفل قلبه عنه، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه، وطاعة المخلوق أهم عنده من طاعة الله، فلله الفضلة من قلبه وعلمه وقوله وعمله وماله وسواه المقدم في ذلك؛ لأنه المهم عنده، يستخف بنظر الله إليه، واطلاعه عليه، وهو في قبضته، وناصيته بيده، ويعظم نظر المخلوق إليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه، ويستخفىٰ من الناس ولا يستخفىٰ من الله، ويخشىٰ الناس ولا يخشىٰ الله، ويعامل الخلق بأفضل ما عنده وما يقدر عليه، وإن عامل الله عامله بأهون ما عنده وأحقره، وإن قام في خدمة من يحبه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة، وقد افرغ له قلبه وجوارحه وقدمه علىٰ كثير من مصالحه، حتىٰ إذا قام في حق ربه إن ساعد القدر قام قياما لا يرضاه مخلوق من مخلوق مثله، وبذل له من ماله ما يستحي أن يواجه به مخلوق مثله، فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه، وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الإجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء»[1].

وهذا المظهر هنالك دلائل كثيرة تشير إليه، وعلامات تدل عليه، فمن»علامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص علىٰ تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٩٧ -٩٩).

وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن علىٰ فوت الجماعة، ويعلم أنه لو تقبلت منه صلاته منفردا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفا... وأما علامات تعظيم المناهي: فالحرص علىٰ التباعد من مظانها وأسبابها، وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأن يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس... ومجانبة من يجاهر بارتكابها، ويحسنها، ويدعو إليها، ويتهاون بها، ولا يبالي بما ارتكب منها؛ فإن مخالطة مثل هذا داعية إلىٰ سخط الله تعالىٰ وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالىٰ وحرماته. ومن علامات تعظيم النهي: أن يغضب لله عَزَّوَجَلَّ إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وحسرة إذا عُصِيَ الله تعالىٰ في أرضه، ولم يُضطلع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك»[(١)]. وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في علامات تعظيم الامر والنهي هو: «أن لا يُعارَضا بترخص جاف، ولا يُعرَّضا لتشديد غال، ولا يُحْمَلَا علىٰ علة توهن الانقياد»[(٢)]. وقال أبو القاسمِ إسماعيلُ الأصبهانيُّ في صفةِ العظمةِ: «فينبغي لمن عَرَفَ حقَّ عظمةِ اللهِ أن لا يتكلمَ بكلمةٍ يكرهُها اللهُ، ولا يرتكبَ معصيةً لا يرضاها اللهُ، إذ هو القائمُ علىٰ كلِّ نفسٍ بما كسبتْ»[(٣)]، وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويظهر تعظيم الله في شدة المحافظة علىٰ امتثال أمره واجتناب نهيه، والمسارعة إلىٰ كل ما يرضيه»[(٤)].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٥).

(٢) المصدر السابق (ص: ٦).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤١، ١٤٢).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٩٠).

المطلب السابع: تعظيم شعائر الله تعالى وحرماته:

من مظاهر تعظيم الله تعالىٰ تعظيم شعائر الله تعالىٰ، والتي تشمل ما عظمه الله تعالىٰ من الأمكنة كبلده الحرام، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النمل:٢٧]، وفي الحديث «لَا تَزَالُ هذِهِ الأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هذِهِ الحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا فَإِذَا ضَيَّعُوا ذلِكَ هَلَكُوا»(١)، والمشاعر المقدسة (عرفات، ومزدلفة، ومنىٰ)، وكالمسجد النبوي، وحرم المدينة المنورة، والمسجد الأقصىٰ، بل يدخل في ذلك جميع المساجد التي أسست علىٰ التقوىٰ التي هي أماكن لتعظيم الله تعالىٰ وحده لا شريك له كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن:١٨].

وتشمل شعائره كذلك الأزمنة المعظَّمة كرمضان، والأشهر الحرم (رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم)، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]، ويوم الجمعة ويوم عيد الفطر والنحر وعرفة وعاشوراء.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم (١٩٠٢٧)، وابن ماجة في سننه ح رقم (٣١١٠)، وقال ابن حجر في فتح الباري (١٤/ ٢١٣):» أخرجه أحمد وابن ماجة وعمر بن شبة في كتاب مكة وسنده حسن».

ومن مظاهر تعظيم الله تعظيم الشعائر التي جعلها الله تعالىٰ معلمًا للطاعات والقربات كالكعبة المشرفة التي جعلها الله قبلة لعباده، ومقام إبراهيم، والصفا والمروة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنىٰ وصف الصفا والمروة بأنهما من شعائر الله أن الله جعلهما علامتين علىٰ مكان عبادة كتسمية مواقيت الحج مواقيت فوصفهما بذلك تصريح بأن السعي بينهما عبادة إذ لا تتعلق بهما عبادة جعلا علامة عليها غير السعي بينهما، وإضافتهما إلىٰ الله لأنهما علامتان علىٰ عبادته أو لأنه جعلهما كذلك»(١)، وكرمي الجمار، وكالهدي والقلائد كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٣٦]، وغيرها مما جعلت معلما لتعظيم الله تعالىٰ وحده دون سواه.

ومن مظاهر تعظيمه وتوقيره تعظيم جميع ما شرعه الله تعالىٰ من معالم دينه، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وهي تشمل بالإضافة لما سبق جميع أعلام الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها؛ بل قال الحسن يشمل ذلك: «دين الله كله، وتعظيمها التزامها، والقيام بها، ومراعاة آدابها»(٢)، وقال الجصاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٢] قد انتظم جميع معالم دين الله، وهو ما أعلمناه الله تعالىٰ وحده من فرائض دينه

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٦١).

(٢) ينظر: جامع البيان (٩/ ٤٦٢)، والنكت والعيون (٤/ ٢٣).

وعلاماتها، بأن لا يتجاوزوا حدوده، ولا يقصروا دونها، ولا يضيعوها، فينتظم ذلك جميع المعاني التي رويت عن السلف من تأويلها»(١)، وقال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال عطاء بن أبي رباح »شعائر الله« جميع ما أمر به أو نهىٰ عنه، وهذا هو القول الراجح»(٢)، وقال السعدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «أي: ذلك الذي ذكرنا لكم من تعظيم حرماته وشعائره، والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ومنها الهدايا والقربان للبيت، وتقدم أن معنىٰ تعظيمها: إجلالها، والقيام بها، وتكميلها علىٰ أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها الهدايا، فتعظيمها: باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مكمَّلة من كل وجه، فتعظيم شعائر الله صادر من تقوىٰ القلوب، فالمعظِّم لها يبرهن علىٰ تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله»(٣).

ومن أعظم شعائر الدين التي تُعظَّم الصلاة التي هي الركن الثاني في الإسلام بعد الشهادتين، وهي الفريضة التي شرعت فوق السماء السابعة في ليلة الإسراء والمعراج، وكانت آخر وصية رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من الدنيا، وهي أول ما يحاسب به العبد من عمله يوم القيامة، ويظهر تعظيم قدرها من خلال شدة العناية بها كما قال تعالىٰ آمرًا بالمحافظة عليها: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، ومن حسن إقامتها في الظاهر من خلال رعاية أركانها وشروطها وواجباتها وسننها

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٩٢).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٧٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٥٣٨).

والمداومة عليها، وإقامة باطنها بالخشوع وتدبر ما يتلوه ويقوله العبد ويفعله، فهي كلها دالة علىٰ التعظيم ومنبهة عليه، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الصلاة أفعال وأقوال دالة علىٰ تعظيم الله والثناء عليه وذلك شكر لنعمته»(١)، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكلّ مستخفٍّ بالصّلاة مستهينٍ بها: هو مستخفٌ بالإسلام مستهين به، وإنما حظّهم من الإسلام علىٰ قدر حظّهم من الصّلاة، ورغبتهم في الإسلام علىٰ قدر رغبتهم في الصّلاة، فاعرف نفسك يا عبد الله، واعلم أنّ حظّك من الإسلام وقدر الإسلام عندك بقدر حظّك من الصّلاة وقدرها عندك. واحذر أن تلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ولا قدر للإسلام عندك، فإنّ قدر الإسلام في قلبك كقدر الصّلاة في قلبك»(٢).

ومن تأمل في الصلاة وما يتعلق بها ابتداء من النداء وحتىٰ التشهد والتسليم وما يقال بعدها من أذكار يجدها كلها تعظيم وتكبير لله تعالىٰ، بل القيام لها وهو قيام لله بالتعظيم كما قال تعالىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨] فكيف لا يعظمها وهو واقف بين يدي ربه جَلَّ وَعَلَا، وهكذا نحن التعظيم هو لب الشعائر كلها.

المطلب الثامن: مراقبة الله تعالى والخوف من لقائه:

إن من مظاهر تعظيم الله تعالىٰ مراقبة العبد لربه في كل حركاته وسكناته، خاصة في خلواته؛ لأن المراقبة ناتجة من معرفة عظمة الله تعالىٰ، الذي يعلم السر وأخفىٰ، العليم بكل شيء، السميع البصير، الحفيظ الرقيب علىٰ كل

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٧٤).

(٢) كتاب الصلاة للإمام أحمد (ص: ٥٣، ٥٤).

شيء، لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء، الغيب والشهادة عنده سواء قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ٩، ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٢ - ١٤]؛ ولذا تجد المعظِّم لربه دائم المراقبة لله في الدنيا، كما تجده خائفا من وقوفه بين يدي ربه للحساب يوم العرض عليه، في ذلك اليوم الذي تبلىٰ فيه السرائر، ولا تخفىٰ عليه خافية من عباده، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٥٨].

وتحقيق هذه المنزلة بمراقبة الله في الدنيا، والخوف من العرض عليه في الآخرة في ذلك اليوم العظيم الخطب والهول يوم يأتيه كل عبد فردا، الكل يقول نفسي نفسي، يوم ترىٰ الناس فيها سكارىٰ وما هم بسكارىٰ، يوم يكلم كل عبد ربه كفاحًا ليس بينه وبين ربه حجاب، هذا هو المقام الذي قال تعالىٰ عنه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]،

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ مقام ربه: «قيل: هو العبد يهوىٰ المعصية فيذكر مقام ربه عليه في الدنيا، ومقامه بين يديه في الآخرة فيتركها لله»[1]، وقال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي قيامه بين يدي ربه للسؤال والحساب، ويقال هو من قدر علىٰ الذنب فذكر ربه فخاف منه وتركه»[2]، وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ مقامه سبحانه هو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب كما في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦] فالمقام مصدر بمعنىٰ القيام، وقيل المعنىٰ: خاف قيام ربه عليه وهو إشرافه علىٰ أحواله واطلاعه علىٰ أفعاله وأقواله كما في قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣]، قال مجاهد والنخعي هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه»[3].

فالمعظم لله تعالىٰ كما هو مراقب له في الدنيا هو معظم للقيام بين يديه في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

وكما نجد مراقبة الله تعالىٰ والخوف من لقائه من صفات عباده المعظمين له، نجد من أبرز صفات الكافرين والمنافقين عدم مراقبتهم لربهم، وخشيتهم من الناس وخوفهم أكثر من خشية ربهم وخوفهم منه، وعدم الخوف من لقائه

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزي (ص:٤٠١).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٨٢).
(٣) فتح القدير (٥/ ١٤٠).

قال تعالىٰ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء:١٠٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورىٰ: ٤٢].

المبحث الثالث

الطرق المحققة لتعظيم الله تعالى

إعداد

أ.د. طه عابدين طه

تعظيم الله تعالى

الطرق المحققة لتعظيم الله تعالى في النفوس

تعظيم الله تعالىٰ هو ثمرة معرفة العبد لربه وتوحيده، وصفة الصفوة المخبتين الخاشعين من عباده، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١]، وهو أساس صلاح العبد وسعادته، لأنه السبيل للمعرفة الحق لربه جَلَّ وَعَلَا والذل والخضوع له، وتعظيم أمره ونهيه، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا سعادة - أي للعباد-، ولا فلاح ولا صلاح لهم ولا نعيم إلا بأن يعرفوه-أي ربهم - ويعبدوه ويكون وحده غاية مطلوبهم، ونهاية مرادهم، وذكره والتقرب إليه قرة عيونهم وحياة قلوبهم، فمتىٰ فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام بكثير، وكانت الأنعام أطيب عيش منهم في العاجل، وأسلم عاقبة في الآجل»[(١)].

وتعظيم الله تعالىٰ الذي هو غاية يسعىٰ لها كل مؤمن حتىٰ تتحقق في النفوس يستلزم ذلك معرفة الطرق الموصلة إليه مع السعي في سلوكها وتحقيقها؛ ولكن قبل أن نذكر تلك الطرق الموصلة للتعظيم تفصيلًا؛ لابد أن يستشعر المؤمن أهمية هذا الموضوع، ويجعله في سلم أولويات تدينه، ويخلص النية للوصول إليه، ويسأل الله تعالىٰ أن يجعله من المعظمين له، ولما كانت الطرق الموصلة لتعظيم الله تعالىٰ كثيرة متعددة أحببت أن اكتفي

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٣٦٦).

هنا بذكر أهم الطرق الكلية، تاركين تفاصيل تلك الطرق لبحوث تفصيلية سوف تأتي بعد هذه الدراسة التأصيلية؛ لأن التفصيل فيها يحتاج لبحوث كثيرة لا يصلح لها مثل هذه المقدمات التأصيلية، ومن أبرها ما جاء في المطالب الآتية:

المطلب الأول: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته:

الطرق الموصلة إلىٰ تعظيم الله تعالىٰ في النفوس كثيرة؛ ولكن أساسها معرفة العبد لربه تعالىٰ من خلال ما جاء في الكتاب والسنة من معاني كثيرة دالة علىٰ كماله وعظمته وجلاله في ذاته وفي أسمائه وصفاته، فالعلم به هو أساس تعظيمه، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]؛ فكلما كان العبد أكثر معرفة بالله كان أشد لله تعظيما وإجلالا له، وأعظم مخافة وخشية منه، وأكثر تحقيقا لتقواه جل شأنه، فالقلب إذا عظَّم ربه خضع له، وانقاد لحكمه، وامتثل أمره، فجميع صنوف الانحرافات وأنواع الأباطيل والضلالات في جميع الناس منشؤها من ضعف التعظيم لله أو انعدامه في القلوب، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «منزلة التعظيم، وهذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالىٰ في القلب، وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيما وإجلالًا» (١). وقال أحمد بن عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كان بالله أعرف كان له أخوف» (٢)، وقال بعض السلف: «ومن عرف الله أحبه علىٰ قدر معرفته به، وخافه ورجاه وتوكل عليه وأناب إليه ولهج بذكره واشتاق إلىٰ لقائه، واستحيا

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٦٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٦٣).

منه وأجلَّه وعظَّمه علىٰ قدر معرفته به، وعلامة العارف أن يكون قلبه مرآة إذا نظر فيها الغيب الذي دعي إلىٰ الإيمان به، فعلىٰ قدر جلاء تلك المرآة يتراءىٰ له فيها الله سبحانه والدار الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل صلوات الله وسلامه عليهم»[(١)].

ومن أعظم الجوانب التي تحقق التعظيم المعرفة بالله والتي من أعظمها المعرفة بأسمائه تعالىٰ الحسنىٰ وصفاته العلا، خاصة تلك التي تتعلق بعظمته وكبريائه، فهو العظيم، الكبير، المهيمن، الجبار، المتكبر، العزيز، القادر، القاهر، المعز، المذل، المجيد، ذو الجلال والإكرام، وكل وصف فيها بالغ في الكمال منتهاه، فهو القدير الذي له القدرة التامة النافذة، وهو الكبير الذي له الكبرياء المطلق الذي قهر كل شيء وعلا علىٰ كل شيء، وهو العزيز الذي له العزة المطلقة التي لا تغالب، وهو الحي الذي له الحياة الكاملة المطلقة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، وهكذا في سائر الصفات، يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإنسان إذا سمع وصفًا وصف به خالق السموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله، فليملأ صدره من التعظيم، ويجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزهًا معظمًا له جلَّ وعلا، غير متنجّس بأقذار التشبيه»[(٢)]. ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبحسب معرفته -أي العبد - بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفةً بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله

(١) المصدر السابق (١/ ٦٣).

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص: ١٩).

إلىٰ ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن»[1].

فالعبد إذا عرف الله تعالىٰ من خلال أسمائه وصفاته وجل قلبه، وخشعت جوارحه لربه العظيم جَلَّجَلَالُهُ؛ ولذا لما عرف صفوة خلقه ربهم بعظيم صفاته الدالة علىٰ عظمته وكبريائه عظَّموه وأجلُّوه وهابوه، بل وأصبحوا من خشيته مشفقين، قال تعالىٰ عن ملائكته: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالىٰ عن الأنبياء والمرسلين صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الذين هم أعلم الناس بالله وصفاته، وأعرفهم بحقوقه وما يستحق من التعظيم: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، وقال النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «فَوَاللهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[2]، وقال تعالىٰ عن العلماء الذين عرفوا الله بعظمته وكبريائه وجلاله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]، قال الرازي رَحِمَهُٱللَّهُ: «لأنهم عرفوا عظمة الله فخافوه لا لذل منهم، بل لعظمة جانب الله»[3]، فهم لما علموا أن الله تعالىٰ أكبر وأجل وأعظم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٣٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي العِلْمِ، وَالغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالبِدَعِ، ح رقم (٧٣٠١).

(٣) مفاتيح الغيب (١٥/ ٩٩).

من كل شيء، ويستحق من التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه ما ليس لمخلوق على وجه الأرض أو في السماء خافوه وخشوه، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلىٰ، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، والخضوع له والتذلل لكبريائه»[1]. فعلى قدر العلم به تعالىٰ تكون الخشية والخضوع الإنابة، وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قالَ: «إنَّ للهِ تسعةً وتسعينَ اسمًا، مائةً إلا واحدًا، من أَحْصَاهَا دخلَ الجنةَ»[2] أي من حَفِظَهَا وفهمَ معانِيها ومدلولَها، وأثْنَىٰ على اللهِ بها، وسأَلَهُ بها، واعْتَقَدَها دخلَ الجنةَ، والجنةُ لا يدخُلُها إلا المؤمنونَ، فعُلِمَ أنَّ ذلك أعظمُ ينبوعٍ ومادةٍ لحصولِ الإيمانِ وقوتِهِ وثباتِهِ»[3].

المطلب الثاني: تدبر القرآن الكريم:

القرآن الكريم من أعظم ما هدىٰ إليه حديثه الدقيق والشامل عن الله تعالىٰ بكل صفات كماله، ونعوت جلاله، ونزَّهه عن الشبيه والمثيل، وبرأه عن النقائص والعيوب، ورد علىٰ كل قول فاسد لا يليق بعظمته وكبريائه مما قاله اليهود وأمثالهم بما يقطع شبهتهم، ويخرس ألسنتهم كما قال تعالىٰ:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٤٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين، ح رقم (٢٧٣٦)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابٌ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، (٢٦٧٧).

(٣) شرح أسماء الله الحسنىٰ في ضوء الكتاب والسنة (ص:٣-٤).

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقد تميز القرآن الكريم بمنهجه الفريد في غرس عظمة الله تعالىٰ في قلب العبد من خلال الحديث المباشر عن عظمته كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٥، ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، قال السعديُّ في تفسيرِه: «يقول تعالىٰ وما قدر هؤلاءِ المشركون ربَّهم حقَّ قدرِه، ولا عظَّموه

حقَّ تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به مَنْ هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كلِّ وجه، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمرِ شيئًا. فَسَوَّوْا هذا المخلوق الناقص بالخالقِ الربِّ العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أنَّ جميع الأرضِ يوم القيامة قبضة للرحمنِ، وأنَّ السماوات -علىٰ سَعَتِها وعِظَمِها- مطويات بيمينه، فلا عظَّمه حقَّ عَظَمَته من سوَّىٰ به غيره، ولا أظلم منه؛ ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي: تنزَّه وتعاظَم عن شركهم به»[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النور:٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [لقمان ٢٦ - ٣٠] وغيرها من عشرات الآيات.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٢٩).

أو من خلال أسلوب خطابه الذي يفيض بدلالات العظمة والتمجيد والإجلال النابعة من معاني الربوبية الدالة على كبريائه وعظمته، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:٤٠]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، قال الشنقيطي: «والمراد بهما هنا التعظيم قطعا لاستحالة التعدد أو إرادة معنى الجمع. فقد صرح في موضع آخر باللفظ الصريح في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣]، والمراد به القرآن قطعا، فدل على أن المراد بتلك الضمائر تعظيم الله تعالى. وقد يشعر بذلك المعنى وبالاختصاص تقديم الضمير المتصل (إنا)، وهذا المقام مقام تعظيم واختصاص لله تعالى سبحانه، ومثله ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح:١]...»[1]، وكقوله: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٨ -٣١]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمّل خطاب القرآن تجد ملكًا له المُلك كله، وله الحمد كله، أزِمَّة الأمور كلها بيده ومصدرها منه ومردّها إليه، مستويًا على سرير ملكه، لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته، عالمًا بما في

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ٣٠).

نفس عبيده، مطلعًا علىٰ أسرارهم وعلانيتهم، منفردًا بتدبير المملكة، يسمع ويرىٰ، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويدبر الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها، وصاعدة إليه لا تتحرك في ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه. فتأمل كيف تجده يثني علىٰ نفسه، ويمجد نفسه، ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويدلهم علىٰ ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغبهم فيه، ويحذرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه...»[1].

أو من خلال ما جاء من حديث طويل عن عظيم صفاته التي تدور بين الإجلال والإكرام، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١ -٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ -٢٤].

---

(١) كتاب الفوائد (ص: ٣١).

أو من خلال حديثه عن عظم مخلوقاته التي أمر بالنظر والتفكر فيها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٩٥ - ٩٩]، كما أقسم ببعضها بما ينبه علىٰ عظمتها، وبديع صنعه الدال علىٰ عظمته، القسم بالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها، أو بالليل إذا عسعس والفجر إذا تنفس، وبالسماء ذات البروج وغيرها.

أو من خلال الآيات الكثيرة التي تتحدث وتبين هوان الآلهة التي عبدت من دونه ممن لا يملكون من قطمير، ومن مثقال ذرة في السموات والأرض، وممن لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؛ فالعلم بذلك مما يرسخ عظمة الله تعالىٰ في النفوس، والقرآن كثير ما يتحدث عن عظمة صفات الخالق وهوان وحقارة صفات الآلهة التي عبدوها، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا

يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٢، ٣]، وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

أو من خلال بيان خضوع الكون كله لعظمته وتسبيحه بحمده، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٥، ١٦]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٣، ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤] وغيرها من جوانب كثيرة.

فمن تدبر القرآن من أول سورة بدأت بحمده إلىٰ آخر سورة ختمت بالاستعاذة برب الناس، ملك الناس، إله الناس وجد موضوع التعظيم هو السمة البارزة في خطابه؛ وصف أهل الإيمان والعلم مع القرآن خضوع وخشوع قلوبهم ووجل وبكاء كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]، فتدبر القرآن من أعظم السبل الموصلة للتعظيم، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذه المعرفة بابان واسعان: باب التفكّر والتأمّل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه ودله وقيامه بالقسط علىٰ خلقه. وجماع ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنىٰ وجلالها وكمالها وتفرُّده بذلك، وتعلُّقها بالخلق والأمر... الرب يدعو عباده في القرآن إلىٰ معرفته من طريقين: أحدهما: النظر في مفعولاته. ثانيهما: التفكر في آياته وتدبّرها، فتلك آياته المشهودة وهذه آياته المسموعة المعقولة»(١)، وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يذكر الطرق المعرِّفة بالله فقال في ختامها: «والطريق الأعظم الجامع لذلك كله تدبر القرآن العظيم والتأمل في آياته، فإنه الباب الأعظم إلىٰ العلم بالتوحيد، ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل من غيره»(٢)، فقراءة القرآن بتدبر وتفكر من أعظم الأمور التي تزيد تعظيم الله وإجلاله في القلوب.

---

(١) كتاب الفوائد (ص١٧٠).

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير الأحكام (١/ ٣٢).

المطلب الثالث: النظر والتفكر في هذا الكون المنظور:

من الأمور المحققة لتعظيم الله وإجلاله في القلوب وزيادته في النفوس النظر والتفكر في هذا الكون الواسع الفسيح، مخلوقاته وآياته الكونية الدالة علىٰ عظمة مبدعها، وكمال خالقها وموجدها، كما قال تعالىٰ عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو يريد أن يحقق تعظيم الله تعالىٰ في نفوس قومه: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ [نوح: ١٣ - ٢٠]؛ وذلك لأن هذا الكون شاهد من أعظم شواهد عظمته جَلَّ وَعَلَا وعظيم قدرته تعالىٰ، وبديع صنعه، وعجيب خلقه، فهذه المخلوقات بعظمها، ودقتها، وشدة تناسقها من أعظم براهين ومظاهر عظمته، واقصر الطرق لبناء تعظيمه في النفوس، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤]، وهي واحد من الطرق التي سلكها العارفون به للوصول إلىٰ تعظيمه، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]، ولذا نجد أن النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربط بين ملكوته وعظمته كما جاء في الحديث الصَّحيح عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»[1].

فكل مخلوقات الله تعالىٰ شاهدة بعظمته، فهو العظيم الذي خلق السموات ورفعها بغير عمد، ونثر فيها نجومًا بلا عدد، وجعلها زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدىٰ بها، وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا، وقدره منازل، وجعل الليل والنهار آيتين متعقبتين، وجعل الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، وجعلهما في فلك منتظم يسبحون، وهو الذي خلق الأرض ومهَّدها، وأرسىٰ جبالها، وفجَّر عيونها، وأجرىٰ أنهارها وخلق بحارها، وجعل الفلك فيها مواخر، وهو الذي أجرىٰ السحاب، وأنزل الأمطار، وأنبت الأشجار، وأخرج جميع الثمرات، وخلق الحيوانات المختلفة المتنوعة في أجناسها وأنواعها وألوانها ومنافعها، لها جمال حين تروح وتسرح، وهو الذي خلق الطيور الجميلة العجيبة المتنوعة السابحة بين السماء والأرض ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير، وهو الذي خلق الرياح وصرفها، فامتع الإنسان بهواء جميل وجو كريم، فالنظر في هذه الآيات السماوية والأرضية يدهش القلوب من عظيم خلقها، وبديع صنعها، وكمال حسنها، وتعدد منافعها، وهي براهين ناطقة بعظمة وكمال مبدعها،

(١) أخرجه أحمد ح رقم (٢٣٩٨٠)، وأبو داود ح رقم(٨٧٣) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وهي من أعظم الأدلة علىٰ وحدانيته، والطرق الموصلة إلىٰ تعظيمه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النحل ٩٥ –١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ

رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٢، ١٣] وغيرها من آيات كثيرة من تفكر ونظر واستبصر فيها أثمرت في قلبه تعظيم الله تعالىٰ ومخافته بلا ريب، وقد صدق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث جعل ذلك واحدة من الطرق المهمة إلىٰ تحقيق تعظيم الله تعالىٰ في النفوس، لأنها آيات بينات علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ۝٢٢ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٢٣ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٢٤ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ۝٢٥ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝٢٦ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٠ -٢٧].

ولما كان النظر والتفكر في مخلوقاته واحدة من الطرق المحققة لتوحيده وتعظيمه أمر الله تعالىٰ به كثيرًا، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ

فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [ق: ٦-٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨]، وبيَّن لنا في كتابه كيف قاد التفكر في مخلوقاته لتعظيمه والخضوع له قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٢، ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٦٥ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٦٧ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٥، ٦٩].

فمن تفكر ونظر في ملكوت الله تعالىٰ الواسع وما خلقه وبثه فيه من مخلوقاته المتعددة المتنوعة التي لا يحصي عددها سواه أيقن بعظمة قدرة خالقها وبارئها ومبدعها، وجليل علمه وحكمته، وعظيم ملكه، وكمال

تدبيره، كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠ – ٣٣]، قال تعالىٰ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ٥ – ٨].

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن كل ما في الوجود مما سوىٰ الله تعالىٰ فهو فعل الله وخلقه، وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته، وإحصاء ذلك غير ممكن؛ لأنه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره ولكنا نشير إلىٰ جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه... فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها، والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيوانها ونباتها، وما بين السماء والأرض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها، فهذه هي الأجناس المشاهدة من السموات والأرض وما بينهما، وكل جنس منها ينقسم إلىٰ أنواع، وكل نوع ينقسم إلىٰ أقسام، ويتشعب كل قسم إلىٰ

أصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة، وجميع ذلك مجال الفكر، فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب إلا والله تعالىٰ هو محركها، وفي حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة، كل ذلك شاهد لله تعالىٰ بالوحدانية ودال علىٰ جلاله وكبريائه، وهي الآيات الدالة عليه، وقد ورد القرآن بالحث علىٰ التفكر في هذه الآيات... ثم ذكر كلاما دقيقًا عجيبًا طويلًا في التأمل في آيات الله في الآفاق والأنفس ثم قال: «ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فإنه مجال لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر علىٰ شرح ما تفضل الله تعالىٰ علينا بمعرفته، وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالإضافة إلىٰ ما عرفه جملة العلماء والأولياء، وما عرفوه قليل نزر حقير بالإضافة إلىٰ ما عرفه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلىٰ ما عرفه محمد نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلىٰ ما عرفته الملائكة المقربون كإسرافيل وجبريل وغيرهما، ثم جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أضيف إلىٰ علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يستحق أن يسمىٰ علما؛ بل هو إلىٰ أن يسمىٰ دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب، فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فهذا بيان معاقد الجمل التي تجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالىٰ، وليس فيها فكر في ذات الله تعالىٰ؛ ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته، وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالىٰ كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم، وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع

علىٰ غريبه من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتىٰ إن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيده محلا من قلبك يستدعي التعظيم له في نفسك، فهكذا تأمل في خلق الله تعالىٰ وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهىٰ أبدا، وإنما لكل عبد منها بقدر ما رزق فلنقتصر»(١). وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتفكر في ملكوت السموات والأرض وفي أمور الآخرة وما فيها من الوعد والوعيد ونحو ذلك مما يزيد الإيمان في القلب وينشأ عنه كثير من أعمال القلوب كالخشية والمحبة والرجاء والتوكل وغير ذلك، وقد قيل إن هذا التفكر أفضل من نوافل الأعمال البدنية، روي ذلك عن غير واحد من التابعين منهم سعيد بن المسيب والحسن وعمر ابن عبدالعزيز، وفي كلام الإمام أحمد ما يدل عليه، وقال كعب لأن أبكي من خشية الله أحب إلىٰ من أن أتصدق بوزني ذهبا»(٢).

المطلب الرابع: التفكر في نعم الله تعالى وآلائه:

من الأمور المحققة لتعظيم الله النظر والتفكر في نعمه تعالىٰ وآلائه علىٰ عباده، وهي كثيرة لا تحصىٰ عددًا في أنواعها فضلًا عن أفرادها وأجزائها، وهي تغمر الإنسان في كل جوانب حياته، وفي جميع أوقاته، فهي نعم متجددة غير متناهية، فجميع النعم التي وسعت خلقه منه جَلَّ وَعَلَا وحده كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]،

(١) ينظر: إحياء علوم الدين لمحمد الغزالي (٤/ ٤٢٧ - ٤٤٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ٢٤٩).

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٢، ٣].

والله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا ما يعدد نعمه علىٰ عباده في كتابه حتىٰ يدركوا من خلال الانتباه إلىٰ كثرتها، وعظمتها، وتنوع منافعها في المطاعم والمشارب والمناكح، وسائر شؤون الحياة عظمة المنعم وعظيم فضله، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٥٩-٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ

لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا
أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ
ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى
ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٤ وَأَلۡقَىٰ فِي
ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ
وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ وَإِن
تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٠ - ١٨]،

قال النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ أي لا تقدرون علىٰ تعدادها لكثرتها بل لعدم تناهيها. قال الواحدي: النعمة ههنا اسم أقيم مقام المصدر كالنفقة بمعنىٰ الإنفاق ولهذا لم تجمع. ومن تأمل في تشريح الأبدان وفي أعضاء الحيوان وأجزائه من العروق الدقاق والأوردة والشرايين وفي كل واحد من الأعضاء البسيطة والمركبة ووقف علىٰ منافعها، عرف بعض دقائق نعم الله تعالىٰ علىٰ عباده. وإذا جاوز النفس إلىٰ الآفاق وسير فكره في أحوال الأجسام السفلية والعلوية، وقف من بديع صنعتها وعظيم منفعتها علىٰ ما يقضىٰ منه العجب. وإذا عبر الملك إلىٰ الملكوت تاه في أودية الحيرة والدهشة وتلاشىٰ عقله عند أدنىٰ سرادقات العزة والهيبة»(١)، وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن محمد بن صالح - رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ - قال: كان بعض العلماء إذا تلا ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٩٤).

قال: سبحان من لم يجعل من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد من أدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه»(١)، فهي كثيرة لا تحصىٰ ولا يستطيع العبد أن يكذب بها وينكرها؛ بل هو مقر بها، كما قال تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

فالنظر والتفكر في هذه النعم الكثيرة العظيمة يدل بلا ريب علىٰ عظمة المنعم، فمن غيره تعالىٰ الكبير المتعال يعطي نعمة الخلق والسمع أو البصر والفؤاد، أو من غيره يخرج هذه الزروع والثمرات المختلفة الأنواع والأشكال والطعوم والروائح، أو يجري هذه الأنهار العذب الذلال، أو يسخر هذا السحاب، أو من غيره يدبر ويرزق من في السموات والأرض من دآبة أو طير سارحة في جو السماء ما يمسكهن إلا الرحمن، أم من غيره خلق الأرض ومهدها، وأدخر فيها للخلق منافع لا تحصىٰ، فنعمه عظيمة، وعظمة النعمة خير رابط ومذكر بالمنعم العظيم، وتجعله وهو يستمع بنعمه أن يسبح بعظمته وحمده كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٠ -١٣].

فالتفكر في هذه النعم الظاهرة والباطنة موصول إلىٰ عظمة المنعم ومحقق لتعظيمه، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ

(١) الدار المنثور للسيوطي (٧/ ٣٩٦).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٧، ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

فالتذكر لآلاء الله تعالىٰ، والتفكر فيها موجب لتعظيمه ومحبته وتوحيده وشكره وطاعته، ولذا قال تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]، ومن هنا فقد جعل الأنبياء الحديث عن نعمه مدخلًا عظيمًا للخضوع لتوحيده قال الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يظهر لقومه عظمة ربه وهوان وعجز آلهتهم: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝٧٧ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٧-٨١]. فمن كانت تلك صفاته فكيف لا يمجَّد ويعظَّم ويبجَّل ويكبَّر.

المطلب الخامس: النظر والاعتبار بمصرع المتكبرين المكذبين:

من أعظم الطرق الموصلة لتعظيم الله تعالىٰ النظر والاعتبار بسنن الله تعالىٰ في الظالمين، وكيفية أخذه للمجرمين، وشدة بطشه لأعدائه المكذبين، ونصرته لأوليائه المؤمنين مع قلتهم وضعفهم، فإن من مقاصد القصص إدراك عظمته. فانظر كيف أخذ فرعون لما طغىٰ، وقال أنا ربكم الأعلىٰ، فجعله للناس آية وعبرة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ

فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةًۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ – ٩٢]، وكيف خسف بقارون الأرض لما خرج على قومه في زينته وهو يتعالى على ولي نعمته، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]، وكيف فعل بأصحاب الفيل لما أرادوا بطغيانهم هدم بيته العتيق، فجعل كيدهم في تضليل، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١-٥]، وكيف أخذ قوم عاد لما قالوا من أشد منا قوة، فأهلكهم بريح صرر عاتية، وكيف أخذ ثمود لما طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فأبادهم بصاعقة حارقة، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٥ -١٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًاۖ فَتَرَى

﴿ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ٥ -١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦ -١٤]، وكيف كانت عاقبة قوم لوط وقبلهم قوم نوح وغيرهم ممن قصصهم شاهدة لله تعالىٰ بمعاني الكبرياء والعظمة والعزة والهيمنة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة:٧٠] فلا كبير ولا عظيم ولا قوي مع الله تعالىٰ الكبير المتعال.

فلما كان النظر والتأمل والتفكر في أحوال تلك الأمم موصل لعظمته وكبرياءه، محقق لتوحيده والخضوع له؛ لأنه تتجلىٰ فيه معاني العظمة في جوانب كثيرة أمر الله تعالىٰ به كثيرًا في كتابه، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟

كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١].

المطلب السادس: النظر في سِيرِ المعظِّمين لله تعالى:

النظر والقراءة ومدارسة سير المعظِّمين لله من أعظم الأمور المحققة لتعظيم الله تعالىٰ في النفوس، وهي كثيرة لا تحصىٰ؛ جاءت في الكتاب والسنة وما نقل عن خيار الأمة؛ بل حكىٰ القرآن التعظيم حتىٰ عند الطيور والجمادات قال تعالىٰ عن هدهد سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٣ - ٢٦]، وقال تعالىٰ عن تعظيم الجمادات: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٣]. قال الضحاك والسدي: «يتفطرن» أي يتشققن من عظمة الله وجلاله فوقهن»[١].

فالكلام عن سير المعظمين لله تعالىٰ هو مسيرة التوحيد التي قادها الأنبياء والرسل علىٰ مر التاريخ، فهو يحتاج أن يفرد بمؤلفات خاصة؛ ولكني سأكتفي هنا ببعض الحديث عن خير معظِّم ومتقي لربه، الذي ليس فوق

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٦/ ٤).

تعظيمه تعظيم، وهو الذي جعله ربه تعالىٰ قدوة لخلقه في تعظيمه تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معظمًا لله تعالىٰ في كل حركاته وسكناته، وتظهر جوانب هذا التعظيم في مواقف كثيرة؛ من ذلك: عندما كان يطلب منه أهل الشرك بما لا يكون إلا لله تعالىٰ، كان الرد بما يدل علىٰ تعظيمه لربه، ومخافته لمعصيته، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠ -٩٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥، ١٦].

وقد كان النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعرِّف الخلق بعظمة ربه من خلال عشرات الأحاديث التي يتحدث فيها عن عظمته كما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَدُ اللهِ مَلأَىٰ لاَ تَغِيضُهَا[١] نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا

(١) يغيضها: ينقصها.

فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»(١). وعن عبدِ اللهِ بن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»(٢). وعن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(٣). وعن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: جاءَ حبرٌ إلىٰ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] »(٤). وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ: إن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وكان عرشه علىٰ الماء) [هود: ٧]، ح رقم (٤٦٨٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ح رقم (٢٧٨٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، ح رقم (٢٩٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) [الأنعام: ٩١]، ح رقم(٤٨١١)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح رقم (٢٧٨٦).

العزَّ إزَارِي، والكبرياءَ ردائِي، فمن نازَعَني فيهما عذَّبتُهُ»[١].

ومن تعظيم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، كان ينهىٰ عن الغلو في شخصه أو يرد علىٰ كل من يحاول إخراجه من حد العبودية لربه، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «لا تُطْروني كما أطرتِ النصارىٰ ابنَ مريمَ، إنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُه»[٢]، وعن ابن عباسٍ قال: قال رجلٌ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما شاءُ اللهُ وشئتَ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَعَلْتَنِي للهِ ندًّا؛ لا بل ما شاءَ اللهُ وحدَهُ»[٣]. وعن عبدِ اللهِ بن الشخيرِ قال: انطلقتُ في وفدِ بني عامرٍ إلىٰ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: أنت سيدُنا. فقال: «السيدُ اللهُ» فقلنا: وأفضلُنَا فضلًا وأعظمُنَا طَوْلًا. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قولوا بقولِكم أو بعضِ قولِكم، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشيطانُ»[٤]. قال في (النهاية): «أي لا يَسْتَغْلِبَنَّكُم فيتخِذُكم جَريًّا، أي رسولًا ووكيلًا، وذلك أنهم كانوا مَدَحُوه، فكَرِهَ لهمُ المبالغةَ في المدحِ، فنهاهم عنه»[٥].

وكان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعظمُ اللهَ تعالىٰ من خلالِ تدبرِ آياتِ القرآنِ، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخشىٰ من نزولِ العذابِ علىٰ هذه الأمةِ ففي صحيحِ البخاريِّ من حديثِ جابرِ بن عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: لمَّا نزلت هذه الآية:

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ح رقم (٥٥٢)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللهِ ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾(مريم: ١٦)، ح رقم (٣٤٤٥).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٤٢)، والبخاري في الأدب المفرد ح رقم (٧٨٣) وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أبو داود (٤١٧٢)، وأحمد (١٥٧٢٦)، والبخاري في الأدب المفرد ح رقم(٢١١) وصححه الألباني.

(٥) النهاية (١/ ٧٣٩).

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعوذ بوجهِك». قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قالَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعوذُ بوجهِكَ» قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هذا أهونُ أو هذا أيسرُ»[1].

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تعظيمِه لربِّه تأثره بالآياتِ التي يخوفُ اللهُ بها عبادَه فعن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّىٰ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا، فَصَلَّىٰ بِنَا رَكْعَتَيْنِ حَتَّىٰ انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَصَلُّوا، وَادْعُوا حَتَّىٰ يُكْشَفَ مَا بِكُمْ»[2]، كما كان يعظمه إذا ظهر تغير في الجو كما جاء عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: وَكَانَ إِذَا رَأَىٰ غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الكَرَاهِيَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَىٰ قَوْمٌ العَذَابَ، فَقَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، بَابُ قَوْلِهِ: (قُلْ: هُوَ القَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) [الأنعام: ٦٥]، ح رقم (٤٢٦٢).

(٢) أخرجه البخاري، أبواب الكسوف، بَابُ الصَّلاَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ، ح رقم (١٠٤٠)، ومسلم كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، ح رقم (٩٠٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، بَابُ قَوْلِهِ: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الأحقاف: ٢٤]، ح رقم(٤٨٢٩)، ومسلم، كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، ح رقم (٨٩٩).

بل كان يعلمهم التعظيم حتىٰ من خلال ما يقولونه من دعاء كما في صحيح مسلم عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ». وَكَانَ يَرْوِىٰ ذَلِكَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ من تعظيمه لربه جَلَّ وَعَلَا لا يرد من سأله بالله، ويصدق كل من حلف بالله العظيم، عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ بِهِ فَأَثْنُوا عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[2].

فمن تتبع عبادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما ورد عن ذكره ودعائه وسائر ما نقل عن أحواله علم أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان سيد المعظِّمين لربه جَلَّ وَعَلَا بما جعله قدوة لخلقه.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، ح رقم (٢٧١٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح رقم ٥٣٦٥، وأبو داود في سننه ح رقم (٥١٠٩)، والنسائي في السنن الكبرىٰ للنسائي ح رقم (٢٣٤٨)، وقال الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (٢/ ٣٢٧): هذا حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح وضعيف الجامع (٢/ ٣٤) ح رقم (٦٠٢١) (صحيح).

المطلب السابع: طرق متنوعة لتعظيم الله تعالى:

هنالك طرق أخرىٰ محققة للتعظيم غير ما سبق نذكرها علىٰ سبيل الإجمال من ذلك: تدبر الأذكار التي يقولها العبد في صلاته وفي سائر العبادات والأحوال مثال ذلك: فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستفتحُ الصلاةَ بعباراتِ التعظيمِ والتمجيدِ والإجلالِ للهِ عَزَّوَجَلَّ. ففي السننِ عن عائشةَ وأبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ إذا استفتحَ الصلاةَ قال: «سبحانك اللهمَّ وبحمدِك وتبارَكَ اسمُكَ، وتعالىٰ جدُّك ولا إله غيرُك»(١). وفي صحيح مسلمٍ عن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قامَ إلىٰ الصلاةِ قال: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(٢). وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام إلىٰ الصلاة في جوف الليل قال: «اللهُمَّ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥)، والنسائي (٨٨٩)، وصححه الألباني في إرواء الغليل لمحمد الألباني (٢/ ٤٨) ح رقم (٣٤٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، ح رقم (٧٧١).

لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ: لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ»[1].

ومن تأمل في فاتحة الكتاب التي يكثر تلاوة العبد لها يجدها تفيض بمعاني التعظيم لله تعالىٰ، ولذلك جاءَ في الحديثِ القُدْسِيِّ: «قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفينِ، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال الله تعالىٰ: حَمِدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالىٰ: أثنَىٰ عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مَجَّدني عبدي وقال مرةً فَوَّضَ إليَّ عبدي فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبينَ عبدي ولعبدِي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: هذا لعبدِي ولعبدِي ما سألَ»[2] فضلاً عما يقوله العبد في ركوعه الذي قال فيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ الدُّعَاءِ إِذَا انْتَبَهَ بِاللَّيْلِ، ح رقم (٦٣١٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، ح رقم (٧٦٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ح رقم (٥٩٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ح رقم(٤٧٩).

وفي مسلم عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ»[١]، فضلاً عن ما يفتتح بها من التكبير ويقوله في ركوعه وسجوده ورفعه منهما. كما ثبت أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا رفعَ رأسَه من الركوع قال: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ: اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»[٢]، وهكذا التدبر والتأمل في كل ما يقوله من أذكار في الليل والنهار فهي تحيي في نفسه معاني الكبرياء والعظمة لله تعالىٰ.

وكذلك من الطرق المحققة للتعظيم الوقوف علىٰ ما سطره العلماء من معاني الثناء والتمجيد لله تعالىٰ من خلال ما فهموه وتعلموه من نور الكتاب والسنة، وهي كثيرة لا تحصىٰ، فقط أذكر عنها بعض الأبيات التي سطرها الإمام ابن القيم في الثناء علىٰ الله تعالىٰ وتعظيمه وتمجيده[٣]:

وهو العظيم بكل معنىٰ يوجـ ـب التعظيم لا يحصيه من إنسان
وهو الجليل فكل أوصا ف الجلال له محققة بلا بطلان
وهو الجميل علىٰ الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكوان

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، ح رقم(٧٧٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، ح رقم (٤٧٧).

(٣) الكافية الشافية (ص: ٢٠٣).

مـن بعـض آثـار الجميـل فربها	أولىٰ وأجـدر عنـد ذي العرفـان
فجمالـه بالذات والأوصـاف والـ	أفعـال والأسـماء بالبرهـان
لا شـيء يشـبه ذاتـه وصفاتـه	سـبحانه عـن إفـك ذي بهتـان
وهـو المجيد صفاتـه أوصاف تعظ	ـيم فشـان الوصـف أعظـم شـان

ومن الطرق الموصولة لتعظيم الله تعالىٰ في النفوس معرفة العبد لقدر نفسه، وضعفه وفقره، وحاجته لربه وأنه لا قوة له ولا حول إلا بالله، وأنه به عليم وعليه قدير، وأنه لا يعجزه هربا، وليس له فرار منه إلا إليه، ومن هنا لما علم أهل الإيمان عظمته نبذوا الكبرياء من قلوبهم وتسربلوا بثوب الخضوع والتواضع كما قال تعالىٰ في أول صفات عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان:٦٣]، قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ ﴿هَوۡنٗا﴾: «من غير فخر ولا خيلاء لما شاهدوا من كبرياء الله تعالىٰ وجلاله جل شأنه»(١) فكان هذا المشي المتواضع الذي ظهر عليهم لما في قلوبهم من المعرفة بعظمة ربهم وخالقهم الذي تستلزم تلك المعرفة الخضوع والتواضع لعظمته.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤/ ١١٤).

المبحث الرابع

أساليب القرآن في عرض موضوع تعظيم الله تعالى

إعداد

د. فخر الدين الزبير علي

تعظيم الله تعالى

أساليب القرآن في عرض موضوع تعظيم الله تعالى

تعظيم الله تعالىٰ هو الغاية من إنزال القرآن، فكل آية فيه دالة عليه، بل كل كلمة دالة علىٰ التعظيم؛ لأنه تكلم بها العظيم سبحانه: لذلك قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا تكلم الله عَزَّوَجَلَّ بالوحي سمع صوته أهل السماء، فيخرون سجدا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ قال: سكن عن قلوبهم -نادىٰ أهل السماء: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ »[(١)].

بل إن كل حرف في القرآن دال علىٰ التعظيم؛ لذلك عظم الله تعالىٰ حروفه، فقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[(٢)].

فتناول أساليب القرآن في الدلالة علىٰ التعظيم يستلزم تناول كلماته بل حروفه، وهذا مما يتعذر علىٰ الخلق الإحاطة به، لكن حسبنا في هذه الكلمات

---

(١) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) (٤/ ٤٠٠)، وأخرج نحوه من حديث عكرمة مولىٰ ابن عباس عن أبي هريرة في كتاب التفسير، باب (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) رقم (٤٧٠١) (٣/ ٢٤٧)، باب (حتىٰ إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ...) رقم (٤٨٠٠) (٣/ ٢٨١)، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القرآن، رقم (٤٧٣٨)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد من عدة طرق ص١٤٥-١٤٨..

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب فصائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر: (٥/ ١٧٥)، رقم: (٢٩١٠)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

أن نحلق مع جمل من ذلك على سبيل التأصيلات والإشارات، من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: قصص القرآن ودورها في تعظيم الله تعالى:

للقصص القرآني فوائد كثيرة، منها:

-الاعتبار بحال الأمم، والعبرة والاتعاظ بأخبارهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

التصديق بالرسل، وزيادة الإيمان بما جاؤوا به من الحق، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١١١].

- الاهتداء بهدي المتقين، والاقتداء بالأنبياء والمرسلين والصالحين، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٨٩-٩٠].

- تثبيت قلب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته على الحق، والتسرية عنهم، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

وغيرها من الفوائد الكثيرة، إلا أن تعظيم الله تعالى هو أهم ما ينبغي أن يستفاد منها، وذلك من خلال ما يظهره سبحانه من قدرته وقوته، وحلمه ورحمته، وعلمه وحكمته، وقد أشار القرآن إلى ذلك في كثير من القصص:

- فكلما ذكر قصة في سورة الشعراء ختمها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي

ﵟذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُﵞ [الشعراء: ٦٧ - ٦٨]، وهما اسمان يدلان علىٰ غاية التعظيم، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العزيز الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته»(١)، والرحيم ذو الرحمة الواصلة لجميع عباده، كما قال تعالىٰ: ﵟوَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖﵞ [الأعراف:١٥٦]، والجمع بينهما يزيد الصفتين عظمة، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعا»(٢).

- ومما يتجلىٰ من مظاهر التعظيم ما يذكره الله تعالىٰ من قيام أنبيائه والمرسلين، وعباده الصالحين من مقامات التعظيم القولية والفعلية:

- فذكر في قصة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قوله: ﵟقَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَﵞ [الأعراف:٢٣]، وفيها التعظيم لله تعالىٰ بالتوبة وطلب المغفرة والرحمة، وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأصل يا ربنا. وقيل: إن في حذف «يا» معنىٰ التعظيم»(٣).

-وعن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه قال: ﵟقَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَﵞ [هود:٤٧]، وهو موقف في غاية التعظيم لما يحمله من معاني الاعتذار والانكسار والافتقار.

(١) تيسير الكريم الرحمن(ص: ٩٤٦).

(٢) التفسير الكبير: (٢٤/ ٤٩٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٧/ ١٨١).

- وكذلك موقفه من قومه وتوكله على الله تعالىٰ رغم ضعفه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾ [القمر:١٠]، وفيه تعليق القلب برب الأسباب رغم انقطاعها، والثقة التامة بنصر الله تعالىٰ مع خذلان أكثر أهل الأرض له.

- وكذلك إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي إذا ذكر تجلت مواقف التوحيد والتعظيم، فتبرأ من المشركين وآلهتهم، وقال كلمات التعظيم، كما قال الله تعالىٰ عنه: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٧-٨٢].

- وناظر لإثبات العظمة لله تعالىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، وفي قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الانعام:٧٥]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الانعام:٧٨-٧٩].

- وأجاب أمر الله تعالىٰ في أعظم تكليف، وهو ذبح ابنه فكان التعظيم هاديًا له، مع رقة الأبوة، وقوة الحنوة، فحكىٰ الله تعالىٰ موقفه بعبارات دقيقة، فقال: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ

صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات:١٠٣-١٠٦].

عَـذابُهُ فيـكَ عَـذْبُ وبُـعْـدُه فِيـكَ قُـرْبُ
وَأنْـتَ عِنـدي كَـرُوحِي بَـلْ أَنْـتَ مِنْـها أحَـبُّ
حَسْـبِي مِـنَ الْحُـبِّ أَنّـي لِمَـا تُحِـبُّ أُحِــبُّ(١)

ولذلك كانت العاقبة في الدنيا والآخرة: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:١٠٧-١١١].

- ثم كان التعظيم في بناء الكعبة وهي قبلة العبادة والتعظيم، فذكر الله تعالىٰ كلماته في بنائه، فقال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧] قال وهب بن ورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا خَليلَ الرَّحمنِ، تَرْفعُ قَوائِمَ بيْتِ الرَّحْمنِ، وأنْتَ مُشْفِقٌ أنْ لا يُتَقبَّلَ منْكَ، يَعملُ أفضلَ عَمَلٍ، ويَخَافُ ألاّ يتَقبَّلَ مِنْه»(٢)، وذلك لتعظيمه لمولاه، والافتقار إليه واعتقاد أنه شرفه بهذا البناء مع استغنائه عنه، فالمنة لربه من قبل ومن بعد.

ولمجموع هذه القلائد من التعظيم خلد الله تعالىٰ ذكره، ورفع قدره، وأثنىٰ عليه بأعظم ثناء، وشهد له بأجلّ شهادة، فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧]، وقد أطلقت عن الإضافة لتشمل كل توفية في كمالات المخلوق، من التعظيم والعبادة والدعوة والصبر، وغيرها.

(١) ينظر: زاد الحجيج ص١١٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير(١/ ٢٣٣)، رقم:(١٢٤٠).

وقال فيه أيضا: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل:١٢٠-١٢٢].

وكذلك يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي قال كلمات التعظيم في أشد المواقف بلاء، وفي أكثرها رخاء، فلازم التعظيم في الضراء والسراء:

- فقال في ابتلاء الإكراه بالفحشاء: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣].

- وقال في بلاء السجن: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٣٩-٤٠].

- وقال بعد التمكين والرفعة في الأرض: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

- وعن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما لا يحصىٰ من مقامات التعظيم، وهي أكثر القصص القرآني ذكرًا، فقد تكررت نحو ثلاثين مرة [١]:

- ففي أول التكليف بالرسالة يقول الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه:٢٥-٣٥].

(١) ينظر: الأهداف التربوية في القصص القرآني، للموسىٰ، (ص:٩٥).

- وفي مقام التكريم بالتكليم يقول تعالىٰ فيه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

- وفي الابتلاء والتمحيص يقول تعالىٰ عنه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٨-١٢٩].

-وبعد الاستخلاف في الأرض يقول تعالىٰ عنه: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٦﴾ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٦-٨].

-وعن عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي بدأ حياته بكلمات التعظيم، فقال تعالىٰ عنه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾ [مريم:٣٠-٣١].

-ثم تابع مسيرة التعظيم في دعوته فقال تعالىٰ عنه: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

- ثم سيلازم التعظيم في الآخرة، كما حكى الله تعالى عنه أنه سيقول: ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٦-١١٨].

- وهذا هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يقف أعظم مقام في تعظيم الله تعالى، وهو يتحدى قومه، ويعلق قلبه بربه متوكلًا عليه، كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٤-٥٦] قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من أعظم آيات الرسل، أن يكون الرسول وحده وأمته متعاونة عليه، فيقول لهم: كيدوني، فلا يستطيع أحد منهم ضرّه»(١).

فكل هذه المقامات وغيرها من جلائل التعظيم تضيء بين تلك القصص؛ لذلك قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١].

ومن مقامات التعظيم في القصص القرآني: ما تحدث عنه من مآل الظلم، وذكر أخبارًا وقصصًا تحكي جانبًا من مصارع الظلمة، وعاقبة التقوى، ومن

(١) زاد المسير (٢/ ٣٨٠).

أهم ما يستخلص من ذلك زيادة التعظيم لله تعالىٰ، والذي تجلت عظمته من خلال ظهور صفات الكمال في جميع هذه المحال، ومن ذلك:

أولًا: تظهر صفة العلم والإحاطة بما يعملون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢].

ثانيًا: وتظهر صفة الحلم والصبر علىٰ علوهم وفسادهم في الأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:٦١].

ثالثًا: وتظهر صفة الاستدراج والإملاء للظالم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٢-١٨٣]، وقال: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٤-٤٥].

رابعًا: تظهر صفة العزة والقهر والبطش الشديد، كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الانعام:٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤١-٤٢].

خامسًا: وتظهر صفة القوة والقدرة علىٰ نصر المؤمنين، كما قال تعالىٰ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠] وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

﴿ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥١-٥٢].

سادسًا: وتظهر صفة الرحمة والمحبة لعباده، والحفظ لهم، واللطف بهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الانفال:٣٤].

سابعًا: وتظهر صفة عدله تعالىٰ بعقوبة المكذبين، وإهلاك الظالمين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠١].

ومن أظهر الأمثلة علىٰ جميع ذلك قصة إهلاك فرعون وملئه، ونجاة موسىٰ وقومه؛ ولذلك جعل الله تعالىٰ هذه العاقبة عبرة وذكرىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٥-٢٦]، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ أي أمرًا عظيمًا يتعمد الاعتبار به من معنىً إلىٰ معنىً حتىٰ يقع به الوصول إلىٰ كثير من المعارف ﴿لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ أي من شأنه الخوف العظيم من الله...، فأول العبور أن ينقل السامع حال غيره إليه فيتذكر بإنجاء بني إسرائيل علىٰ ضعفهم منهم علىٰ قوتهم ثم بقوة ما حصل لهم من القهر من ذلك حتىٰ أوجب اتباعهم بالجنود

ثم بفرق البحر ثم بإيرادهم إياه ثم بإغراقهم فيه كلمح البصر لم يخرج منهم مخبر قدرة الله تعالىٰ علىٰ إيراد الكفار النار وقهر كل جبار»[1].

وهكذا بقية الطغاة في سلسلة قرآنية بليغة، قال تعالىٰ؛ جامعًا هذه المثلات والعبر والعظات: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٣٨-٤٠]، قال ابن كثير:: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ أي: كانت عقوبته بما يناسبه، ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾، وهم عاد، وذلك أنهم قالوا: من أشد منا قوة؟ فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب جدا، تحمل عليهم حصباء الأرض فتقلبها عليهم، وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلىٰ عنان السماء، ثم تنكسه علىٰ أم رأسه فتشدخه فيبقىٰ بدنا بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر. ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾، وهم ثمود، قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة... ومع هذا ما آمنوا بل استمروا علىٰ طغيانهم وكفرهم، وتهددوا نبي الله صالحا ومن آمن معه، وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم، فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات. ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾، وهو قارون الذي طغىٰ وبغىٰ وعتا، وعصىٰ الرب

(١) نظم الدرر (٢١/ ٢٣٧).

الأعلىٰ، ومشىٰ في الأرض مرحا، وفرح ومرح وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فخسف الله به وبداره الأرض، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾، وهم فرعون ووزيره هامان، وجنوده عن آخرهم، أغرقوا في صبيحة واحدة، فلم ينج منهم مخبر»[1].

ثم نجاة المتقين تدل علىٰ صدق ما جاؤوا به وهو التوحيد الملازم للتعظيم، فإن غالب أمرهم أنهم أقل عددا وعدة، كما في آيات كثيرة، كقوله تعالىٰ في نوح: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، وقوله: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس:٨٣]، وكذلك النبي: وأصحابه في أكثر أحوالهم، ومع ذلك يعد الله بالنصر ويتحقق لهم ذلك، كما قال تعالىٰ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم ٤٧] قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ في الأمم السابقين ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ حين جحدوا توحيد اللّٰه وكذبوا بالحق فجاءتهم رسلهم يدعونهم إلىٰ التوحيد والإخلاص والتصديق بالحق وبطلان ما هم عليه من الكفر والضلال، وجاءوهم بالبينات والأدلة علىٰ ذلك فلم يؤمنوا ولم يزولوا عن غيهم، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أوجبنا ذلك علىٰ أنفسنا وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناهم به فلا بد من وقوعه»[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (٦/ ٢٧٨) مختصرا.

(٢) تيسير الكريم الرحمن(ص: ٦٤٤).

المطلب الثاني: أمثال القرآن ودورها في تعظيم الله تعالى:

أما الأمثال فهي محط التعظيم لله تعالىٰ، حيث يقرب فيها البعيد، وييسر فيها الفهم، وتوضح فيها الفكرة، وقد ذكر ابن القيم أن عددها بضعة وأربعون مثلًا، لكنها عند التفصيل تصل إلىٰ أكثر من الستين (١).

وكلها تدور حول مقاصد رئيسة، متضمنة للتعظيم، ومنها:

أولًا: بيان ضلال المنحرفين عن التعظيم: كما في المثل الناري والمائي للمنافقين في قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:١٧-٢٠].

وكما في مثل المرائين بالصدقة، في قوله تعالىٰ: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٦٤].

وكذلك مثل المغتابين، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات:١٢].

---

(١) كما حرر ذلك في كتاب: هدايات الأمثال القرآنية، (ص:٧).

وأمثلة ضياع الأعمال الخاسرة، كقوله تعالىٰ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة:٢٦٦]، وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم:١٨].

وتشبيه الذي انسلخ عن الآيات بالكلب، في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦].

وتشبيه الذين لم يحملوا الهدىٰ في التوراة بالحمار يحمل أسفارًا، وكذلك مثل صاحب الجنتين في سورة الكهف الذي ضل عن تعظيم المنعم وشكره، وأمثلة تشبيه الكفار بالأنعام، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١]، فهم كالحمر المستنفرة، وفيها دلالة بليغة ليس علىٰ مجرد النفور فقط بل علىٰ استنفار بعضهم لبعض، وتواطئهم علىٰ الفرار، وهذا حال الكفار والمنافقين مع بعضهم في تعاونهم علىٰ المنكر، وصدهم عن الدين.

ثانيًا: بيان حال المهتدين إلىٰ التعظيم: كما في مثل الصحابة، وهم سادة المعظمين في هذه الأمة، حيث قال تعالىٰ فيهم: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، وكما في أمثال ثواب المخلصين، ومضاعفة أعمالهم،

كمثل السنابل، في قوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١]، وقوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

ثالثًا: بيان حال الدنيا وأنها مع عظمة خلقها وإتقانها إلا أنها لا شيء أمام الآخرة: وفي ذلك دلالة علىٰ عظمة خالقهما: كما في أمثال كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤]؛ لذلك قال بعدها: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥]، فكل ما في الدنيا لا شيء أمام دار السلام فهي السليمة من الآفات والمنغصات والمكدرات، الدائمة في النعيم والخيرات(١)، كما قال ﷺ: «يؤتىٰ بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا، ويؤتىٰ بأشد الناس عذابا في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة ثم يقال له: هل رأيت بؤسا قط؟ فيقول: لا» (٢).

(١) ينظر: التفسير القيم لابن القيم: (١/ ٣١٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤسا في الجنة، رقم: (٢٨٠٧).

رابعًا: إثبات البعث وتعظيم الله تعالىٰ من خلاله كما سبق، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

-وأما الأمثال المتعلقة مباشرة بتعظيم الله تعالىٰ وتوحيده: فهي علىٰ صور:

الأولىٰ: تقرير فضل التوحيد، وشناعة الشرك، كما في مثلي الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، وكما في مثل المشرك، في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١] فالإيمان هو السمو الذي يرقىٰ بصاحبه إلىٰ الشرف والعلو، فهو علو في الدنيا، ومآله إلىٰ العلو في الآخرة في جنات عالية، وتارك هذا الإيمان هو الساقط إلىٰ أسفل السافلين، في الدنيا والآخرة، والطيور التي تتخطفه هي الشياطين التي تجتاله وتضله.

الثانية: تحقيق وحدانية الله تعالىٰ وانفراده بالألوهية: كما في مثل العنكبوت في قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١]، فهؤلاء لم يستفيدوا من اتخاذهم لآلهتهم والاستنصار بهم إلا بعدا عن نصرة الله تعالىٰ، وتأييده وتوفيقه، فحصل لهم باتخاذ هذه الآلهة نقيض مقصودهم، وعاملهم الله بضد مرادهم كما قال سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم:٨١-٨٢]، وقال سبحانه:

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ٧٤ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٌ مُّحۡضَرُونَ﴾ [يس:٧٤-٧٥].

فحقيقة الأمر أنهم كتلك العنكبوت التي تلقىٰ غاية التعب والعناء، وتشقىٰ غاية الشقاء، وتبذل جهدها في بناء بيتها، ومع ذلك لا ينفعها ولا يدفع الضر عنها، ولا يقيها الريح والمطر، ولا الحر والقر(١).

وكذلك قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩]، فالمشرك لا قرار له ولا استقرار ولا راحة له ولا اطمئنان، بل هو في اضطراب وقلق، وتفرق للقلب مع النصب والتعب، بينما يعبد الموحد ربا واحدا لا شريك له، ويدعوه وحده ويطيعه وحده ويتقرب إليه دون غيره، وهو يعلم حقه عليه، فينشرح صدره، ويطمئن قلبه، ويسقر أمره(٢).

الثالثة: تعظيم صفات الله تعالىٰ وتقرير تفرده بالكمال والجلال، كما في مثل النور، وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل:٧٦]، «كما تقرر في أوائل العقول أن الأبكم العاجز لا يكون مساويًا في الفضل والشرف للناطق القادر الكامل مع استوائهما في البشرية، فلأن يحكم بأن الجماد لا يكون مساويًا لرب العالمين في المعبودية كان أولىٰ»(٣).

---

(١) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني: (٤/ ١٨٢)، بتصرف.

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ٤٩٧).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢٤٨).

الرابعة: تعظيم أفعال الله تعالىٰ، وربوبيته المطلقة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل:٧٥]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] ففي هذا المثل بيان تفرد الله تعالىٰ بالخلق، فمهما تطور الزمان، وتعلم هذا الإنسان فهو عاجز عن خلق شيء من العدم، ولو كان من أحقر المخلوقات، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ذُبَابًا﴾، ولم يقل: ذبابة، مع أنهم لن يقدروا علىٰ واحدة فضلًا عن الجمع: إشارة إلىٰ كثرتها وعدم إحصائهم لها، ومع ذلك هم عاجزون عن خلقها.

لذلك قال بعده: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي ما عظموه حق تعظيمه، حيث جعلوا هذه الأصنام علىٰ نهاية خساستها شريكة له في المعبودية، وهذه الكلمة مفسرة في سورة الأنعام، وهو قوي لا يتعذر عليه فعل شيء وعزيز لا يقدر أحد علىٰ مغالبته، فأي حاجة إلىٰ القول بالشريك» (١).

- فهذه جملة من مقاصد الأمثال في القرآن، وكلها متعلقة بالتعظيم إما مطابقة أو تضمنا، وإنما يعقل حقيقتها أهل التعظيم العالمون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]، ومن هدايات سياق الآية أنها أردفت بآية في تعظيم الله تعالىٰ

(١) التفسير الكبير (٢٣/ ٢٥٢).

في ربوبيته، وهي قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [العنكبوت:٤٤]، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ أي الذي لا يداني في عظمة ولا جلال، ولا جمال ولا كمال ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي الأمر الذي يطابقه الواقع، أو بسبب إظهار أن الواقع يطابق إخباره، أو بسبب إثبات الحق وإبطال الباطل، فلا تجد أحدًا يفهم عنه حق الفهم مع تساويهم في الإنسانية إلا وهو من أهل السكينة، والإخبات والطمأنينة، ولا يعجزه أحد يريد أخذه، ولا يفلح أحد عصىٰ أنبياءه، فبانت عزته، وظهرت حكمته، فطابق الواقع ما أخبر به» (١).

المطلب الثالث: القَسم في القرآن ودوره في تعظيم الله تعالى:

يأتي القسم المتعلق بالله تعالىٰ، الدال علىٰ عظمته في القرآن علىٰ طريقتين:

الطريقة الأولىٰ: هي القسم من الله تعالىٰ، وله أنواع:

١- أن يقسم بذاته العلية، إما لتأكيد صدق أخباره، كقوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣].

أو لتأكيد الرسالة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [النحل:٦٣].

أو لتأكيد اليوم الآخر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا﴾ [مريم:٦٨]، ﴿فَوَرَبِّكَ

(١) نظم الدرر (١٤/ ٤٤٥-٤٤٦).

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

٢-أن يقسم بالقرآن، وهو كلامه العظيم؛ وعظمته لذاته، ولتعلقه بالعظيم كما في آيات كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق:١-٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:١-٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:١-٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:١-٣].

٣-أن يقسم بمخلوقاته، وهي تفيد التعظيم لخالقها، قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معللًا لذلك: «أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه، والله تعالىٰ ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه، وتارة بمصنوعاته؛ لأنها تدل علىٰ بارئ وصانع، وقال ابن أبي الإصبع في أسرار الفواتح: القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل؛ إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل»(١)، وهو علىٰ صور كثيرة، ومنها:

- القسم بنبيه الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أفضل خلقه، وقد وقع مرة واحدة في إبطال دعوىٰ المفترين، في قوله تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢]، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم علىٰ الله من محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره»(٢)، والسر في ذلك التشنيع بفعلهم الذي ينافي تعظيم الله

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٥٥).

(٢) جامع البيان (١٧/ ١١٨).

تعالىٰ، ويناقض فطرته التي فطر الناس عليها، ودعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومه إليها.

- أن يقسم بملائكته المقربين، وهي من أعظم مخلوقاته، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾ [الصافات: ١ - ٤]؛ بيانًا لعظم خلقهم فكيف بعظمة خالقهم، الواحد المتفرد بملكه.

وقوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الذاريات:١ - ٦]، وقوله: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾ [المرسلات:١ - ٧]، وقوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [النازعات:١ - ٧]، وفي كل هذه السور برهان علىٰ أن من خلق هذه المخلوقات العظيمة من العدم قادر علىٰ إحياء الموتىٰ وبعثهم وجمعهم وحسابهم.

- أن يقسم بالنفس وخصائصها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠]، وفيها التأكيد علىٰ تزكية النفس لتستقيم علىٰ التعظيم، وكذلك قوله: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢]، علىٰ المعنيين: المدح أو الذم.

- أن يقسم بالخيل وأفعالها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ

جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ [العاديات: ١ - ٦]، وفيها بيان فضل تلك الخيل التي تجاهد وتضحي مع من يرعاها ويطعمها، فهي بهذا خير من هذا الإنسان إذا تمرد عن طاعة من خلقه، وسوَّاه، وعدَّله، ورزقه.

- أن يقسم بالأمكنة الفاضلة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين: ٢ - ٣]، وقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد:١ -٢]، وهو لبيان فضلها؛ فالطور وقع فيه أعظم أحداث التعظيم وهو تجلي العظيم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهذا البلد هو قبلة التعظيم والعبادة، ومحل نزول كلامه الكريم.

- أن يقسم بالأزمنة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحىٰ: ١-٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر: ١-٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر:١-٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل:١ -٢] وغيرها.

- أن يقسم بالقيامة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة:١]، قال ابن الجوزي:: «اتفقوا علىٰ أن المعنىٰ «قسم»، واختلفوا في «لا»: فجعلها بعضهم زائدة، كقوله تعالىٰ: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد:٢٩]، وجعلها بعضهم توكيدا للقسم كقولك: لا والله لا أفعل، وجعلها بعضهم ردًا علىٰ منكري البعث»[1]، وقال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أشار سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إلىٰ أن الأمر قد صار غنيًا عن الإقسام لما له من الظهور الذي لا

(١) زاد المسير (٤/ ٣٦٨).

ينكره إلا معاند، فقال مشيرًا إلىٰ تعظيمها والتهويل في أمرها بذكرها وإثبات أمرها بعدم الإقسام أو تأكيده: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ أي لا أوقع الإقسام أو أوقعه مؤكدًا»(١).

- أن يقسم بمخلوقاته الكونية، الدالة علىٰ عظيم قدرته وعلمه وحكمته، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥ -٧٦]، قال الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمراد بمواقع النجوم: مساقطها التي تسقط فيها عند غروبها.. وقيل: مواضعها من بروجها في السماء، ومنازلها منها.. وقيل: المراد مواقعها يوم القيامة عدما تنتشر وتتفرق.

وأقسم - سبحانه- بذلك؛ للتنويه بشأنها، ولما فيها من الدلالة علىٰ أن لهذا الكون خالقا قادرا حكيما، يسير كواكبه بدقة ونظام بديع، لا اختلال معه ولا اضطراب.. إذ كل نجم من هذه النجوم المتناثرة في الفضاء، له مجاله الذي يغيب فيه، وله مكانه الذي لا يصطدم فيه بغيره.

قال بعض العلماء: إن من هذه النجوم والكواكب، التي تزيد علىٰ عدة بلايين نجم، ما يمكن رؤيته بالعين المجردة، وما لا يرىٰ إلا بالمجاهر والأجهزة، وما يمكن أن تحس به الأجهزة، دون أن تراه كلها تسبح في الفلك الغامض، ولا يوجد أي احتمال أن يقترب مجال مغناطيسي لنجم، من مجال نجم آخر، أو يصطدم بكوكب آخر» (٢).

(١) نظم الدرر (٢١/ ٨٤).

(٢) التفسير الوسيط (١٤/ ١٨٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس:١ - ٦].

والطريقة الثانية: هي الأمر بالقسم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣].

وهو أمر لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعم أمته من بعده؛ تعظيما للمقسم به وهو الله تعالىٰ، والمقسم عليه وهو البعث في الأولىٰ، والقرآن في الثانية.

المطلب الرابع: الاستفهام ودلالاته على تعظيم الله تعالى:

وهو من الأساليب الواسعة، وحقه أن يفصل فيه، لكن المقصود هنا العد لا الحد، علىٰ سبيل الانتقاء، لا الاستقراء.

والاستفهام إما أن يكون من الله تعالىٰ، أو حكاية عن رسله، أو أمرا لهم بأن يستفهموا عن شيء.

ومن الأول: قوله تعالىٰ: ﴿أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، وما بعدها.

ومن الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [إبراهيم:١٠].

ويأتي الاستفهام للتقرير، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] أي: أنا ربكم، والاستفهام هنا يكسب الخبر قوة، ويحمل السامع علىٰ الإقرار بالحقيقة في نفسه، وإن جحدها بلسانه.

ويأتي للتوبيخ: ويكون علىٰ أمر وقع، ومنه في مقام تعظيم الله تعالىٰ قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥]، فهنا توبيخ لهم علىٰ فعلهم الذي لا وجه له بحال، فكيف تقرون بخالقكم، ثم تدعون مخلوقا له مفتقرا إليه؟

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣]،قال الزمخشري: «تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها»[1]، فالأحق بالخشية من تؤمنون بأن له الأمر كله، خالق الكون ومدبره.

ويأتي للعتاب: وذلك كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، ففيها معاتبة للمؤمنين ليتعاهدوا قلوبهم، ويزيدوا إيمانهم وتعظيما لربهم؛ لذلك قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين»[2].

ويأتي للتعجب: كقوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، فالاستفهام هنا للتعجب مع التقريع، لعدم وجود مقتض للكفر بالذي خلقهم

---

(١) ()الكشاف (٢/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب التفسير، باب في قوله تعالىٰ: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» برقم: (٣٠٢٧).

وأحياهم ويميتهم، قال في اللباب: «فيها معنى الاستفهام الذي معناه التعجب»[1]، وغيرها من الأغراض البلاغية للاستفهام في مقام تعظيم الله تعالى[2].

ومن الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٩].

المطلب الخامس: الترغيب والترهيب ودورهما في تعظيم الله تعالى:

الترغيب والترهيب في حقيقته هو تقرير للتعظيم؛ فإنه لا يتحقق مقصوده وغايته إلا إن صدر ممن يُخاف ويُرجى، ولا يكون كماله إلا بتمام المحبة، فإذا اجتمع في قلب المؤمن محبته لله تعالى، وخوفه من عقابه، وطمعه ورجاؤه لثوابه: حصلت الغاية من الترغيب والترهيب، وتتفاضل مراتبه بحسب ترقي العبد في هذه الكمالات التي هي أصل التعظيم، ولذلك كانت هذه المقامات أخصَّ مقامات الأنبياء التي استحقوا بها أعلى الدرجات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، أي رغبا فيما رغبهم الله تعالى فيه، ورهبا مما رهبهم عنه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (١/ ٤٨٠).

(٢) ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (١/ ٢٩٧).

وتتنوع دلالات التعظيم في الترغيب والترهيب؛ بحسب المقصود به، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: يأتي التعظيم في الترغيب والترهيب من صفاته؛ ليزداد المؤمن رغبة ورهبة من ربه سبحانه، كقوله تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩ -٥٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد:٦]، وفيها تعظيم الله تعالىٰ باعتقاد كمال المغفرة والرحمة، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وباعتقاد قوته وقهره وعظمة عذابه لمن ناقض توحيده كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت:٢٣]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد»[1].

ثانيًا: ويأتي التعظيم بالترغيب والترهيب من أفعاله تعالىٰ في الآخرة، من إكرام المؤمنين وتعذيب المجرمين، وهو أكثر ما يرد في هذا الباب؛ تشويقًا إلىٰ الجنة، وتخويفًا من النار، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣ - ١٤].

ومن أجلّ آيات الترغيب في الآخرة قوله تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر:٣٤ - ٣٥]، فقد جمعت

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه، رقم: (٢٧٥٥).

معاني الإحسان والفضل والتجاوز والعفو، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ﴾ أي يستر سترًا عظيمًا...، وعبر بالاسم الأعظم لفتًا عن صفة الإحسان إشارة إلىٰ عظيم الاجتهاد في العمل والإيذان بأنه لا يقدر علىٰ الغفران لمن يريد إلا مطلق التصرف، فقال: ﴿ٱللَّهُ﴾ أي الذي نصب المحسن جلاله وجماله بين عينيه، فاستغرق في صفاته ابتغاء مرضاته، فعبده كأنه يراه»(١)؛ لذلك كفر عنه أسوأ عمله، وجازاه علىٰ أفضل إحسانه.

- وكثيرا ما تحاط آيات الترغيب في الآخرة بآيات العظمة لله تعالىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾ [النجم:٣١]، فأحيطت هذه الآيات في الترهيب من السوء، والترغيب في الخير بالآيات الدالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ؛ فسبقت بالآيات الكونية من ملك السموات والأرض خلقا وتصرفا، وألحقت بآيات الأنفس، من بدء الخلق من الأرض ثم تصوير الأجنة، فمن خلق ذلك وقدره قادر علىٰ إنفاذ وعده ووعيده.

ثالثًا: ويأتي تعظيمه بالترغيب والترهيب في أفعاله في الدنيا من بيان ثمرات عبادة الله تعالىٰ وتعظيمه، ومن آثار معصية الله تعالىٰ: أما آثار الطاعة فكقوله تعالىٰ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ [نوح:١٠ - ١٤].

(١) نظم الدرر (١٦/ ٥٠٧) مختصرا.

وأما آثار المعصية فكقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤١- ٤٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥ - ٥٦].

ومثله الترغيب في رزقه والترهيب من منعه، كما في آيات كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٥٢]، ففيها التعرض لرزقه وابتغاء فضله، والخوف من منعه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

المطلب السادس: الدعوة إلى النظر والتأمل ودورهما في تعظيم الله تعالى:

دعا القرآن الإنس والجان إلىٰ النظر والتأمل في الكون الدال علىٰ عظمة الله تعالىٰ، وبين الله تعالىٰ أنه ستظهر دلائل الحق، وتنقطع حجج الباطل بما أودعها الله فيه من البراهين والبينات، فقال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وفي ختمه بالشهادة يقول الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشاهد الحقيقي ليس إلا الله؛ وذلك لأنه تعالىٰ هو الذي خلق الأشياء وجعلها دلائل علىٰ توحيده، ولولا تلك الدلائل لما صحت الشهادة،

ثم بعد ذلك نصب تلك الدلائل هو الذي وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل، ولولا تلك الدلائل التي نصبها الله تعالىٰ وهدىٰ إليها لعجزوا عن التوصل بها إلىٰ معرفة التوحيد، وإذا كان الأمر كذلك كان الشاهد علىٰ الوحدانية ليس إلا الله وحده، ولهذا قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]»[١].

لذلك قال جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]؛ كاد قلبي أن يطير»[٢]، فبمجرد أن سمع هذه الآية علم كوامن التعظيم فيها.

ويتجلىٰ تعظيم الله تعالىٰ في مخلوقاته العيانية، وآياته الكونية بأحدىٰ طريقتين:

الطريقة الأولىٰ: دلالتها علىٰ التعظيم بما فيها من إحكام وإتقان، يبهر العقول، ويحير الجنان؛ ولذلك دل القرآن علىٰ التفكر والتعقل فيها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [نوح:٣- ٤]، وقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ

(١) التفسير الكبير (٧/ ١٦٩).

(٢) كما في البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)، رقم (٤٨٥٤)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، رقم (٤٦٣).

يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [يس:٣٧-٤٠]، وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ - ٧].

-و كذلك ذكره لأنواع الدواب كالنمل والنحل والبعوضة والعنكبوت والذبابة والإبل وغيرها؛ لدلائل التعظيم فيها، ثم يبين أنه تولىٰ رزق وتقدير كل هذه الخلائق، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [هود: ٦].

الطريقة الثانية: بيان أنها معظمة لله تعالىٰ، مسبحة بحمده، متعبدة له، متصرفة تحت قهره كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إخبار عن عظمته تعالىٰ وسلطانه الذي قهر كل شيء، بأنه يقاد لجلاله وإرادته وتصريفه المكونات بأسرها من أهل الملإ الأعلىٰ والأسفل، طائعين وكارهين لا يقدرون أن يمتنعوا عليه، وكذا تنقاد له تعالىٰ ظلالهم حيث تتصف علىٰ مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال»[1]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٩]، وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ

(١) محاسن التأويل (٦/ ٢٧٢).

﴿حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج:١٨]، وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤].

المطلب السابع: تعبيرات بلاغية متنوعة دالة على عظمة الله تعالى:

تنوعت التعبيرات البلاغية الدالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ، والتي تأخذ الألباب إلىٰ رحابه، وتأوي بالقلوب إلىٰ محرابه، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال، وعلىٰ وجه الإشارات والاختصار ما يلي:

١-التمدح، وتعظيمه لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو الأعلم بنفسه، فإذا عظم العظيم نفسه تقاصر كل وصف عن الاحاطة بهذه العظمة، وتحتم علىٰ كل خلقه أن يعظموه، وقد تكرر هذا الأسلوب في مواضع كثيرة، فلا تكاد تخلو آية عن التعظيم؛ فكل آية تختم بأسماء الله تعالىٰ أو صفاته أو أفعاله: فهي من تعظيم الله تعالىٰ لذاته العلية، وهناك سور وآيات مختصة بالتعظيم كما في سورة الفاتحة والإخلاص، وآية الكرسي؛ لذلك قال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة:٢٥٥]: «وردت في معرض التمدح والثناء وافتقاد السنة أبلغ في التنزيه فبدأ بالأفضل؛ لأنه إذا استحالت عليه السنة فأحرىٰ أن يستحيل عليه النوم»(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]، قال ابن أبي العز:: «فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد علىٰ

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٤٠).

جميع طوائف الضلال، فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به»[1].

- وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:١-٣].

٢-أمر الناس بالتعظيم، وهو أسلوب مباشر، تكرر كثيرا في القرآن، كما سبق في الأمر بالعبادة في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الانعام:١٤].

٣-نفي أن يستكمل الخلق مقامات التعظيم، كما قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس:٢٣]، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿كَلَّا﴾ أي ليرتدع هذا الإنسان الذي عرف أن هذه حالاته أولًا وآخرًا واثناءً ومخرجًا تارة من مخرج البول وأخرىٰ من مخرج الحيض ومقبرًا، ولينزجر وليعرف، نفسه بالذلة والخسة والحاجة والعجز، وليعرف ربه سبحانه بالعزة والعظمة والكبرياء والفناء والقدرة علىٰ تشريف الحقير وتحقير الشريف، وبأنه سبحانه لا يلزمه شيء فلا يلزم من تعريف هذا الإنسان السبيل وتمييزه له لأنه لا يفعل إلا

(١) شرح الطحاوية (١/ ٤٤).

ما لا يعاتب عليه، فإنه لا يكون من الإنسان وغيره إلا ما يريده، وتارة يريد هداه، وتارة يريد ضلاله، فقد يأمر بما لا يريده ويريد ما لا يأمر به ولا يرضاه، ولذلك قال مستأنفًا نفي ما أفهمه بتيسيره للسبيل من أن الإنسان يفعل جميع ما أمره به الله الذي يسر له السبيل: ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ أي يفعل الإنسان فعلًا نافذًا ماضيًا ﴿مَآ أَمَرَهُۥ﴾ أي به الله كله من غير تقصير ما من حين تكليفه إلىٰ حين إقباره بل من حين وجد آدم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلىٰ حين نزول هذه الآية وإلىٰ آخر الدهر، لأن الإنسان مبني علىٰ النقصان والإله منزه التنزه الأكمل، وما قدروا الله حق قدره»[1]؛ ولذلك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم» [2].

٤- الحذف: وهو أسلوب شائع في القرآن الكريم ومن أغراضه التعظيم، قال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن يحذف صيانة له كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الشعراء:٢٣-٢٨]: حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع: قبل ذكر الرب، أي هو

---

(١) نظم الدرر (٢١/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٢)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٦٩٩)، وابن ماجة، كتاب الإيمان، باب في القدر، رقم (٧٧)، وعبد الله بن أحمد في: السنة: ٨٤٤، وابن حبان: ٧٢٧، عن أبي بن كعب، وزيد بن ثابت ب، وصححه الألباني في صحيح السنن، وفي تحقيق الطحاوية (٤٥٦).

رب السموات. والله ربكم. والله رب المشرق؛ لأن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ استعظم حال فرعون وإقدامه علىٰ السؤال تهيبا وتفخيما فاقتصر علىٰ ما يستدل به من أفعاله الخاصة به؛ ليعرفه أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[1].

٥- الجدل والمناظرة بالبراهين الظاهرة كمناظرة ابراهيم لقومه في ربوبية الله تعالىٰ، وموسىٰ لفرعون، ومجادلة القرآن للمشركين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦٠ - ٦١]، إلىٰ آخر الآيات، فكلها استخدام لأسلوب المناظرة في الانتقال من المسلمات إلىٰ المطلوبات، فهم يسلمون بخلقه سبحانه للسموات والأرض، وإنزاله للمطر، وإنباته للشجر، وإجرائه للنهر، فألزمهم بهذا التسليم أن يفردوه بالعبادة، فقال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي أن الذي خلق ما تقرون به هو المستحق للعبادة دون غيره.

٦- الامتنان الدال علىٰ عظمة الممتن، حيث امتن عليهم بخلقهم، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٠-٢٣]، ثم بتسخير الكون لهم، وإسباغ النعم عليهم، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٠٧).

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [لقمان:٢٠]، ثم بهدايته لهم، فقال تعالىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧]، فمن عليهم بهداية الخلق، ثم بهداية الدلالة والإرشاد بآياته العيانية والشرعية، ثم بهداية التوفيق وشرح الصدر بالتعظيم والانقياد، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الانعام:١٢٥].

٧- التوكيد، بنوعيه اللفظي والمعنوي، وشواهده كثيرة جدا في القرآن، وهو كاسمه يزيد المعنىٰ قوة، فإذا تعلق بالله تعالىٰ يزيد المعنىٰ كمالا وتعظيما، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يكون مبدأ لجميع الممكنات، وإليه يكون مرجع كل المحدثات والكائنات، كان عظيم القدرة، نافذ المشيئة، قهارا للعدم بالوجود والتحصيل، جبارا له بالقوة والفعل والتكميل»(١).

٨-التحدي بتفرده بالخلق والملك: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سبأ:٢٢].

وقال: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ

---

(١) التفسير الكبير (١٨/ ٤١٤).

مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر:٤٠].

أروني: أمر للتعجيز، ومعناه: إذا كنتم علمتم أن هذه الأصنام عاجزة، فكيف تعبدونها؟ وإن وقع لكم توهم أن لها قدرة ما بوجه من الوجوه، فأروني تلك القدرة المزعومة: أهي في الأرض؟ أم في السماء؟(١).

والتحدي بعلمه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الاسراء:٨٨].

التحدي بقهره وسلطانه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن:٣٣-٣٥].

٩- المباهلة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦٠-٦١]، ففيها الدلالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ وتنزيهه عن الولد والشريك، وأن ذلك حق قطعي، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تفريع علىٰ قوله: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾؛ لما فيه من إيماء إلىٰ أن وفد نجران ممترون في هذا الذي بين الله لهم في هذه الآيات: أي فإن استمروا علىٰ محاجتهم إياك مكابرة في هذا الحق أو في شأن عيسىٰ فادعهم إلىٰ المباهلة والملاعنة.

(١) ينظر: التفسير الكبير (٢٦/ ٢٩)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠٢).

ذلك أن تصميمهم علىٰ معتقدهم بعد هذا البيان مكابرة محضة بعد ما جاءك من العلم وبينت لهم، فلم يبق أوضح مما حاججتهم به فعلمت أنهم إنما يحاجونك عن مكابرة، وقلة يقين، فادعهم إلىٰ المباهلة بالملاعنة الموصوفة هنا»(١).

١٠- الطباق والمقابلة: والطباق: أن تذكر الكلمة وضدها، والمقابلة: أن يذكر لفظان فأكثر ثم أضدادها علىٰ الترتيب، وهي من الأساليب التي تزيد الكلام قوة وتأكيدا، فبضدها تتبين الأشياء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، فيها طباق بين الإيتاء والنزع، والعزة والذلة، قال الزحيلي:: «هذه بعض الأدلة علىٰ قدرة الله تعالىٰ وعظمته، فهو مالك الملك، وهو المعطي والمانع، يؤتي الملك والنبوة من يشاء من عباده كآل إبراهيم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٥٤]، وقد يعطي الله ملكا فقط كسائر الملوك الدنيويين القدامىٰ والمعاصرين، وقد ينزع الله الملك ممن يشاء من الأفراد والأمم بسبب ظلمهم وفسادهم وسوء سياستهم، كما نزع الملك من كثير من الدول والأشخاص، والله سبحانه يعز من يشاء ويذلّ من يشاء، والعزة والذلة لا تتوقف علىٰ الملك أو المال، فكل إنسان معرض للذل والعز بمقتضىٰ إرادة الله، والله وحده بيده الخير»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٦٤).

(٢) التفسير الوسيط: (١/ ١٨٤).

١١-التكرار: وهو يفيد تأكيد وفي مقام الكلام عن الله تعالىٰ، يفيد التعظيم، كما سبق في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:١٩٠-١٩١]، في سورة «الشعراء» ثماني مرات.

وكذلك تكرر قوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:١٣]، في سورة «الرحمن» إحدىٰ وثلاثين مرة. وتكرر قوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٦-١٧]، في سورة القمر، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا ما فيها من معاني التعظيم: «وقد بينا أنه تعالىٰ ذكر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ في حكاية نوح للتعظيم، وفي حكاية ثمود للبيان، وفي حكاية عاد أعادها مرتين للتعظيم والبيان جميعًا، واعلم أنه تعالىٰ ذكر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ في ثلاث حكايات أربع مرات: فالمرة الواحدة للإنذار، والمرات الثلاث للإدكار، لأن المقصود حصل بالمرة الواحدة، وقوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ذكره مرةً للبيان، وأعادها ثلاثين مرةً غير المرة الأولىٰ كما أعاد: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ثلاث مرات غير المرة الأولىٰ، فكان ذكر الآلاء عشرة أمثال ذكر العذاب إشارةً إلىٰ الرحمة التي قال في بيانها: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]»[(١)].

١٢-التقديم والتأخير، وله مقاصد منها: الاختصاص المتضمن للإخلاص، كقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]

(١) التفسير الكبير: (٢٩/ ٣١٣).

أي: نخصك بالعبادة، فلا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة، فلا نستعين بأحد سواك. ونحو هذا قوله سبحانه: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، أي: إن كنتم تخصونه بالعبادة، دون سواه[١]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد:٣٦].

١٣-الالتفات: وهو الانتقال من أسلوب إلىٰ أسلوب، وله أنواع مختلفة [٢]، ويكثر في القرآن وله فوائد كثيرة، منها غرس التعظيم في القلوب، وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]، قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ التفات عن الغيبة، مبالغة في الترهيب؛ فإن تخويف الحاضر مواجهة، أبلغ من ترهيب الغائب، لا سيما بعد وصفه بالوحدة والألوهية المقتضية للعظمة والقدرة التامة علىٰ الانتقام»[٣]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٨-٨٩]، فكان الأسلوب للغيبة بحكاية قولهم المنافي للتعظيم: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾، ثم انتقل إلىٰ أسلوب الخطاب في قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾، ولم يقل: (لقد جاؤوا)، وفي هذا الالتفات زيادة التوبيخ لهم، والتشنيع عليهم، ومواجهتهم بجرمهم، قال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ على الالتفات

---

(١) ()ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (ص:٧٦).

(٢) ()تنظر تفصيلاً في الهدايات القرآنية-دراسة تأصيلية (١/ ٣١٨).

(٣) محاسن التأويل (٦/ ٣٧٨).

للمبالغة في الذم، والتسجيل عليهم بالجراءة علىٰ الله تعالىٰ»[1]، وعدم التعظيم له سبحانه. وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠]، فكلها بصيغة الخطاب، ثم قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣]، بصيغة الغيبة؛ إعراضا عنهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهنا التفات من أسلوب خطاب الله تعالىٰ للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلىٰ أسلوب المتكلم، فلم يقل: (فقل إني قريب)، وإنما قال: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وفي هذا الالتفات أنواع من الهدايات العظيمة، بين طرفا منها ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «وإنما قال تعالىٰ: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: فقل لهم إني قريب: إيجازا لظهوره من قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾، وتنبيها علىٰ أن السؤال مفروض غير واقع منهم بالفعل، وفيه لطيفة قرآنية وهي إيهام أن الله تعالىٰ تولىٰ جوابهم عن سؤالهم بنفسه؛ إذ حذف في اللفظ ما يدل علىٰ وساطة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تنبيها علىٰ شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء»[2].

١٤-الحصر: كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا يستحق ذلك علىٰ العباد إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له، فإن كل شيء فقير إليه، عبد

(١) معالم التنزيل (٤/ ٣٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ١٧٩).

لربه»(١)، وأمر نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتبليغ كلمة التوحيد والتي فيها حصر التعظيم في الله تعالىٰ، كما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٨].

فكلها تفيد حصر الألوهية في الله تعالىٰ تقريرا وتأكيدا.

والمقصود في هذا المقام التأصيلات دون التفصيلات، والإشارات دون الاستطرادات(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥/ ٣١٤).

(٢) ينظر: كتاب: دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم لعائشة عبيزة (ص: ٧١-٧٥).

الخاتمة

بعد البحث والدراسة حول موضوع تعظيم الله تعالىٰ، الذي هو في غاية الأهمية والأولوية من حيث تصدره لمنزلة أعمال القلوب، وأثره العظيم في الإيمان والسلوك، توصل الباحثون إلىٰ نتائج وخلاصات مهمة تتلخص في النقاط الآتية:

- قضية تعظيم الله تعالىٰ من أبرز القضايا التي جاءت في هدىٰ القرآن الكريم وتنوعت فيها الدلالات والأساليب، بما يجعل البحث والدراسة فيها غير متناهية مهما بذل فيها من جهد.

- تنوعت عبارات العلماء في بيان مفهوم تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ؛ وذلك لسعة متعلقاته وكثرة أنواعه التي لا يحصيها العدُّ، ولكن عرفناه من خلال البحث من باب التقريب بـ«اعتقاد إجلاله وكبرياءه جَلَّجَلَالُهُ بما لا يحيط بكنهه الواصفون، مع تنزيهه عن كل ما لا يليق به، وتحقيق ذلك قولًا وفعلًا وفق ما ورد به الوحي».

- الألفاظ الدالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ في القرآن الكريم كثيرة يصعب عدَّها، وقد جاءت في مقدمتها الكثير من أسمائه وصفاته والتي منها: الكبير، والمتكبر، والعظيم، والعلي، والأعلىٰ، والمتعال، والملك، ومالك الملك وغيرها.

- منزلة تعظيم الله تعالىٰ من أرفع المنازل قدرًا، وأجلها شأنًا، وأعلاها مكانة، ومما يدل عليها ارتباط الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ بها، وهي قضية دعوة الرسل

جميعًا، وكل أسماء الله الحسنىٰ وصفاته دالة عليها، وبها تتحقق محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

◉ مراتب التعظيم ومنازله لا يعلمها إلا الله تعالىٰ، وقد قسمت في هذا البحث إلىٰ ثلاث مراتب من حيث التأصيل، لا من حيث التكميل، وهي: مرتبة أصل التعظيم، ومرتبة التعظيم الواجب، ومرتبة كمال التعظيم.

◉ أركان التعظيم ثلاثة، الركن الأول: تعظيم الله تعالىٰ في القلب، والركن الثاني: تعظيم الله تعالىٰ بالأقوال، والركن الثالث: تعظيم الله تعالىٰ بالأفعال.

◉ مجالات تعظيم الله تعالىٰ في القرآن تستوعب جميع الآيات، فلا يمكن استقصاؤها، وهي مما يتعذر استيفاؤها، وهي تدور حول مراحل التعظيم الأربع، وهي: التأسيس له، ثم التأكيد عليه، ثم التكميل والزيادة، ثم الحماية وسد الذرائع المنافية له.

◉ مظاهر التعظيم كثيرة من أبرزها: تحقيق التوحيد، والإيمان بأسمائه تعالىٰ وصفاته كما جاءت في الكتاب والسنة، وتعظيم القرآن الكريم، والخشية والوجل عند ذكر الله تعالىٰ، وتعظيم قدر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيم أمره تعالىٰ ونهيه، وتعظيم شعائر الله تعالىٰ وحرماته وغيرها.

◉ الطرق المحققة لتعظيم الله تعالىٰ متعددة منها: معرفة الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته، وتدبر القرآن الكريم، والنظر والتفكر في هذا الكون المنظور، والتفكر في نعم الله تعالىٰ وآلائه، والنظر والاعتبار بمصرع المتكبرين المكذبين والنظر في سِيرِ المعظِّمين لله تعالىٰ، وغيرها.

◉ الأساليب التي عرض بها موضوع تعظيم الله تعالىٰ في القرآن كثيرة ومتنوعة منها: القصص، والأمثال، والقسم، والترغيب والترهيب، والدعوة إلىٰ النظر والتأمل، والاستفهام، وغيرها.

تعظيم الله تعالى

فهرس المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. الإبانة الكبرىٰ، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري، المعروف بابن بَطَّة، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع.

٣. الإبانة عن أصول الديانة، لعلي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٧ه، دار الأنصار – القاهرة.

٤. الإبهاج في شرح المنهاج لتقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، بدون طبعة١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م، دار الكتب العلمية –بيروت.

٥. الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تحقيق وطبع: مركز الدراسات القرآنية، التابع لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤٢٦ه.

٦. أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥هـ.

٧. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٨. الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وعليها تعليقات الألباني، الطبعة الثالثة، بيروت: دار البشائر الإسلامية ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٩. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

١٠. الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢١/ ٢٠٠٠م .

١١. أسماء الله الحسنىٰ الثابتة في الكتاب والسنة، لـ د/ محمود عبد الرازق الرضواني، الطبعة الأولىٰ مكتبة سلسبيل -القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

١٢. أسماء الله الحسنىٰ جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة، للشيخ ماهر مقدم، طبعة مكتبة تسجيلات الإمام الذهبي، الكويت، ط١/ ١٤٣٥/ ٢٠١٤م.

١٣. أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا دراسة نظرية تطبيقية في مؤلفات شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، جمع وإعداد وتحقيق عماد زكي البارودي

١٤. أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، شمس الدين، أبو عبد الله، المعروف بابن قيم الجوزية، طبعة المكتبة الوقفية.

١٥. الأسماء والصفات، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ البيهقي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولىٰ، دار الجيل - بيروت ١٤١٧هـ.

١٦. اشتقاق أسماء الله، لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، المحقق: د. عبد الحسين المبارك، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٧. أصول السرخسي، لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبىٰ سهل السرخسي، الطبعة الاولىٰ دار الكتاب العلمية بيروت لبنان، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

١٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشنقيطي، محمَّد الأمين بن محمَّد المختار. طبعة: دار عالم الفوائد، مكّة المكرّمة، ط١/ ١٤٢٦ ه.

١٩. اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، طبعة دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٠. الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين البيهقي تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولىٰ، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٤٠١ه.

٢١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ط١/ ١٤١١ه - ١٩٩١م، ت: محمد عبد السلام إبراهيم.

٢٢. الانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين يحيىٰ بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة الأولىٰ، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٣. أنوار التّنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي، عبد اللّه بن عمر، طبعة: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت/ ط١/ [بدون].

٢٤. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر بن موسىٰ الجزائري، الطبعة الخامسة، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٢٥. الإيمان لابن منده لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيىٰ بن مَنْدَه العبدي، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

٢٦. الإيمان، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، عمان: المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٧. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، المكتبة الشاملة، موافقة للمطبوع.

٢٨. البحر المحيط في التفسير. أبو حيّان، محمَّد بن يوسف، طبعة: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١/ ١٤٢٣ ه/ ٢٠٠٢ م، ت: عبد الرزّاق المهدي.

٢٩. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت: المكتبة العلمية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

٣١. التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، الطبعة الثالثة بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣٢. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع ١٩٩٧م.

٣٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٤. التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، الطبعة السادسة، مكتبة العبيكان – الرياض، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٣٥. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، الطبعة الأولىٰ، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ١٤١٦هـ.

٣٦. تعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ «تأملات وقصائد»، لأحمد بن عثمان المزيد، الطبعة الأولىٰ، مدار الوطن للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

٣٧. التعليق علىٰ القواعد المثلىٰ، لعبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، الطبعة الأولىٰ، دار التدمرية ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٣٨. تفسير ابن عثيمين، لمحمد بن صالح العثيمين، الدمام: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣هـ.

٣٩. تفسير أسماء الله الحسنىٰ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية- دمشق.

٤٠. تفسير أسماء الله الحسنىٰ، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ.

٤١. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الطبعة الأولىٰ عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ١٤٣٠ هـ.

٤٢. تفسير التستري، لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣هـ.

٤٣. تفسير السمعاني، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٤٤. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الثالثة، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز - المملكة العربية السعودية- ١٤١٩ هـ.

٤٥. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الرياض، ط٢/ ١٤٢٥ ه/ ٢٠٠٤ م، ت: سامي السّلامة .

٤٦. التفسير القيم، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار ومكتبة الهلال ١٤١٠هـ .

٤٧. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي التميمي، الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار الفكر ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤٨. تفسير المراغي، لأحمد مصطفىٰ المراغي، الطبعة الأولىٰ، القاهرة: مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

٤٩. تفسير المنار، للسيد محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م .

٥٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لـ د وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر - دمشق-١٤١٨ هـ.

٥١. تفسير النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان.، الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٢٦ه، ت: الشيخ زكريا عميرات.

٥٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولىٰ ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، و١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٥٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ.

٥٤. التفسير الوسيط، علي بن أحمد الواحدي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٥ ه - ١٩٩٤ م، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،

الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس

٥٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٠ه – ١٩٨٠م.

٥٦. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار إحياء التراث العربي ٢٠٠١م.

٥٧. التوحيد ومعرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته علىٰ الاتفاق والتفرد لابن منده، لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيىٰ بن مَنْدَه العبدي، تحقيق: د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، الطبعة الأولىٰ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٨. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الطبعة الأولىٰ، دار النوادر، دمشق - سوريا -١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٥٩. التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الطبعة الأولىٰ، القاهرة، عالم الكتب ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٦٠. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الأولىٰ، بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٦١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠ه -٢٠٠٠ م، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

٦٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بتحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولىٰ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٦٣. جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ.

٦٤. الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمور رسولِ اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيّامه (صحيح البخاريّ). البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل. الطَّبعة الثّانية. اعتنىٰ به: محمَّد زهير بن ناصر البدر، طبعة: دار المنهاج، جدّة وبيروت: دار طوق النّجاة، ط١/ ١٤٢٩ ه.

٦٥. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٦. الْجَوَابُ الْكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنْ الدَّوَاءِ الشَّافِي، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، بدون طبعة، دار المعرفة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦٧. الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الطبعة الرابعة، دار الشروق - بيروت، ١٤٠١ه.

٦٨. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لإسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، أبي القاسم، الملقب بقوام السنة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الرياض: دار الراية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٦٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ه - ١٩٧٤م.

٧٠. دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم لعائشة عبيزة، رسالة دكتوراه، من جامعة الحاج لخضر بالجزائر ٢٠٠٨م/ ٢٠٠٩م.

٧١. الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية ابن تيمية - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، االمحقق: أشرف بن عبد المقصود أبو محمد، الناشر: أضواء السلف، سنة النشر: ١٤١٩ - ١٩٩٨م .

٧٢. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٧٣. دلالات التقديم والتأخير في القرآن، لمنير محمود المسيري، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٧٤. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٠٥ ه.

٧٥. ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الطبعة الأولىٰ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة- ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

٧٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، عني بنشره وتصحيحه المرحوم السيد محمود شكري الألوسي، بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٧٧. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت: دار الكتب العلمية الطبعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧٨. رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، لأبي حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدين الفاكهاني، تحقيق: نور الدين طالب، الطبعة الأولىٰ، دار النوادر، سوريا، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

٧٩. زاد الحجيج، للدكتور فخر الدين الزبير علي، طبعة: دار الأثرية، الأردن، ط١/ ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٨٠. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٤هـ.

٨١. الزهد والرقائق لابن المبارك، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية.

٨٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، (لمكتبة المعارف).

٨٣. السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولىٰ، المكتب الإسلامي - بيروت- ١٤٠٠ه.

٨٤. السنة، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الطبعة الأولىٰ، الدمام: دار ابن القيم، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

٨٥. سنن أبي داود. أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، طبعة: المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ نشر، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٨٦. سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، أبىٰ عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي، طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف.

٨٧. السنن الكبرىٰ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٨٨. السنن، أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر.

٨٩. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، إشراف/ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٩٠. شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، الطبعة الثالثة، دار الثقافة العربية ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٩١. شرح أسماء الله الحسنىٰ في ضوء الكتاب والسُّنَّة، لـ د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، بدون طبعة مطبعة سفير، الرياض توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض بدون تاريخ.

٩٢. شرح الرسالة التدمرية، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، بدون طبعة، دار أطلس الخضراء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

٩٣. شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة الأولىٰ، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ.

٩٤. شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الطبعة السادسة دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١ هـ.

٩٥. الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجُرِّيُّ البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الطبعة الثانية، الرياض: دار الوطن١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

٩٦. شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، تحقيق: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٩٧. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، لعياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، الطبعة الثانية، دار الفيحاء - عمان- ١٤٠٧ هـ.

٩٨. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٩٩. الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، للدكتور/ عبد الرزاق البدر، مكتبة الرشد، الرياض.

١٠٠. الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بدون طبعة، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

١٠١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/ ١٤١٤ - ١٩٩٣م، ت: شعيب الأرنؤوط.

١٠٢. صَحِيح التَّرغِيب وَالتَّرهِيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، الرياض: مكتبَة المَعارف لِلنَشرِ والتوزيع، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠٣. صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي.

١٠٤. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٠٥. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

١٠٦. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

١٠٧. صحيح وضعيف سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، ط١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٠٨. صحيح وضعيف سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، ط١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٠٩. الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي، الطبعة: الأولىٰ، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١١٠. صفة الصفوة، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي تحقيق: أحمد بن علي، بدون طبعة، دار الحديث، القاهرة، مصر ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

١١١. الصلاة للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق صبري سلامة ياسين، بدون طبعة، دار القاسم، بدون تاريخ.

١١٢. الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، ط٣/ ١٤١٨ - ١٩٩٨م، ت: د. علي بن محمد الدخيل الله.

١١٣. طبقات الشافعية الكبرىٰ، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، الدمام: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣هـ.

١١٤. طريق الهجرتين وباب السعادتين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، القاهرة: دار السلفية، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.

١١٥. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطبعة الثالثة، دمشق وبيروت: دار ابن كثير ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١١٦. العرش وما رُوِي فيه، لأبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الطبعة الأولىٰ، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

١١٧. عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، للشيخ صالح الفوزان، طبعة: دار المنهج، الرياض، ط١/ ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١١٨. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق: ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، طبعة: دار العاصمة، سنة النشر: ١٤١٩ - ١٩٩٨م.

١١٩. العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي، الطبعة الأولىٰ، المكتب الإسلامي،١٣٩٧ه - ١٩٧٧م.

١٢٠. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال .

١٢١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان.، الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٢٦ه، ت: الشيخ زكريا عميرات.

١٢٢. فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنىٰ، المؤلف: ابن القيم، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الكويت، طبعة مكتبة غراس، سنة النشر: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣م .

١٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

١٢٤. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرِّواية والدّراية من علم التَّفسير، محمَّد بن عليّ الشّوكاني، طبعة: دار النّدوة العالميّة للنّشر والتَّوزيع، الرياض/ ط٣/ ١٤٢٦ ه/ ٢٠٠٥ م، ت: عبد الرَّحمن عميرة، الرِّياض.

١٢٥. الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ، لتقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الطبعة الثانية، دار الصميعي - الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٢٦. فقه الأسماء الحسنىٰ للأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. طبعة: دار التوحيد، الرياض، ط١/ ١٤٢٩هـ.

١٢٧. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/ ١٣٩٣ ه - ١٩٧٣ م.

١٢٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مصر: المكتبة التجارية الكبرىٰ، الطبعة الأولىٰ ١٣٥٦هـ.

١٢٩. القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الطبعة الثامنة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٣٠. القواعد الحسان لتفسير القرآن. آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، طبعة: مكتبة الرشد، الرياض، ط١/ ١٤٢٠ ه - ١٩٩٩ م.

١٣١. القول السديد شرح كتاب التوحيد، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي تحقيق: المرتضىٰ الزين أحمد، الطبعة الثالثة، مجموعة التحف النفائس الدولية، بدون تاريخ.

١٣٢. القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الطبعة الثانية، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية- محرم ١٤٢٤هـ.

١٣٣. الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية المتوفى، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي، ناصر بن يحيىٰ الجنيني، عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل، فهد بن علي المساعد الطبعة الأولىٰ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، ١٤٢٨هـ.

١٣٤. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الطبعة الخامسة، مكتبة الرشد الرياض- السعودية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٣٥. كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولىٰ، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١٣٦. الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٣٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الطبعة الأولىٰ، الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٣٨. كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: علىٰ حسين البواب، طبعة: دار الوطن، الرياض، ط١/ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٣٩. كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتبليس، لعبد الرحمن بن حسن التميمي

١٤٠. الكشف والبيان (تفسير الثَّعلبيّ)، أحمد بن محمَّد الثَّعلبيّ، ت: أبي محمَّد بن عاشور. طبعة: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١/ ١٤٢٢ ه/ ٢٠٠٢ م.

١٤١. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية - بيروت- ١٤١٥ هـ.

١٤٢. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الطبعة الأولىٰ، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٤٣. لسان العرب، محمَّد بن مكرم بن منظور، طبعة: دار إحياء التراث العربيّ، ومؤسّسة التَّاريخ العربيّ، بيروت، ط٢/ ١٤١٧ ه / ١٩٩٧ م، اعتنىٰ بتصحيحها: أمين محمَّد عبد الوهاب، ومحمّد الصَّادق العبيدي.

١٤٤. المجتبىٰ (المعروف بالسنن الصغرىٰ)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، الطبعة الأولىٰ، دار التأصيل - القاهرة، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

١٤٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، سنة النشر: ١٤١٤ ه، ١٩٩٤ م، ت: حسام الدين القدسي.

١٤٦. مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة. جمع وترتيب: عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم، وابنه محمَّد. الطَّبعة: [بدون]. [النَّاشر: بدون].

١٤٧. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، الطبعة الأولىٰ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

١٤٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٤٩. المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الطبعة الأولىٰ، دار العاصمة - الرياض،، ١٤٠٨

١٥٠. مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم شمس الدين، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، القاهرة: دار الحديث، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٥١. مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٥٢. المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولىٰ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

١٥٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢/ ١٣٩٣ - ١٩٧٣م، ت: محمد حامد الفقي.

١٥٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٥٥. المستدرك علىٰ الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، وبذيله: التلخيص، للحافظ الذهبي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١٥٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: ط١/ ١٤٢١ ه - ٢٠٠١ م.

١٥٧. مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٨٥م.

١٥٨. المصنف، لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولىٰ، الرياض: مكتبة الراشد ١٤٠٩هـ.

١٥٩. المصنف، لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولىٰ، الرياض: مكتبة الراشد ١٤٠٩هـ.

١٦٠. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الأولىٰ، دار ابن القيم - الدمام، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

١٦١. معالم التّنزيل، محمَّد الحسين بن مسعود البغوي، طبعة: دار طيبة للنّشر والتَّوزيع، الرِّياض، ط٤/ ١٤١٧ ﻫ / ١٩٩٧ م، ت: محمَّد عبد اللّه النّمر، وعثمان جمعة ضميريّة، وسليمان مسلم الحرش.

١٦٢. معالم التّنزيل، محمَّد الحسين بن مسعود البغوي، طبعة: دار طيبة للنّشر والتَّوزيع، الرِّياض، ط٤/ ١٤١٧ﻫ/ ١٩٩٧ م، ت: محمَّد عبد اللّه النّمر، وعثمان جمعة ضميريّة، وسليمان مسلم الحرش.

١٦٣. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح الشلبي، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولىٰ.

١٦٤. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح الشلبي، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولىٰ.

١٦٥. المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، القاهرة: دار الحرمين ١٤١٥هـ.

١٦٦. المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، الموصل: مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

١٦٧. مفاتيح الغيب، محمَّد بن عمر الرّازيّ، طبعة: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٤/ ١٤٢٢ه / ٢٠٠١ م.

١٦٨. مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١/ ١٤١٢ه، ت: صفوان عدنان الداودي.

١٦٩. مقاييس اللّغة. أحمد بن فارس بن زكريّا، طبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢/ ١٣٩٠ه/ ١٩٧٠م، ت: عبد السّلام هارون.

١٧٠. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الطبعة الأولى، الجفان والجابي - قبرص، ١٤٠٧ه - ١٩٨٧م.

١٧١. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٧٢. منازل السائرين، لعبد الله الأنصاري الهروي، بدون طبعة، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨ه - ١٩٨٨م.

١٧٣. منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين الطبعة الأولى، دار الشريعة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٧٤. منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، الطبعة الأولى، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦ هـ.

١٧٥. الموطأ، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

١٧٦. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، بدون طبعة، دار الكتب العلمية ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٧٧. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفىٰ: ٣٦٩هـ)

١٧٨. الميسر في شرح مصابيح السنة، لفضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الثانية، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ.

١٧٩. نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، إبراهيم بن عمر البقاعي، طبعة: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢/ ١٤١٣ ه/ ١٩٩٢ م.

١٨٠. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من التوحيد، لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة الأولىٰ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٨١. النّكت والعيون (تفسير الماورديّ)، عليّ بن محمَّد الماورديّ، طبعة: دار الكتب العلميّة، بيروت، [التّاريخ: بدون]، ت: السيّد بن عبد المقصود.

١٨٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٨٣. هدايات الأمثال القرآنية، للدكتور فخر الدين الزبير علي، طبعة:دار الإمام مسلم، المدينة النبوية، ط/ ١٤٣٩هـ .

١٨٤. الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، أ.د طه عابدين طه وآخرون، الناشر: دار المتنبي، الدمام ١٤٣٨ه.
١٨٥. الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .
١٨٦. الوابل الصيب من الكلم الطيب، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية تحقيق: سيد إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار الحديث – القاهرة ١٩٩٩م.
١٨٧. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولىٰ، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٥هـ.
١٨٨. ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها، لعبد العزيز بن ناصر الجليل، ط: دار طيبة، الرياض، ط٣/ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٨٩. وما قدروا الله حق قدره، لعبد العزيز بن ناصر الجليل، ط: العبيكانة، الرياض، ط١/ ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

فهرس الموضوعات

مقدمة كرسي الهدايات القرآنية ٧

المقدمة ٩

التمهيد ١٧

الفصل الأول: تعظيم الله تعالىٰ مفهومه وألفاظه ومنزلته ٢١

المبحث الأول: مفهوم تعظيم الله تعالىٰ ٢٣

المبحث الثاني: الألفاظ الدالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ ٣٧

المبحث الثالث: منزلة تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ ٦٧

الفصل الثاني: مراتب التعظيم وأركانه وثماره ١٢٧

المبحث الأول: مراتب تعظيم الله ١٢٩

المبحث الثاني: أركان تعظيم الله تعالىٰ ١٤١

المبحث الثالث: ثمار تعظيم الله تعالىٰ ١٦٣

الفصل الثالث: مجالات تعظيم الله تعالىٰ ومظاهره وطرق تحقيقه ٢٠٥

المبحث الأول: مجالات تعظيم الله تعالىٰ............................ ٢٠٧

المبحث الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالىٰ............................ ٢٦٣

المبحث الثالث: الطرق المحققة لتعظيم الله تعالىٰ ٢٩١

المبحث الرابع: أساليب القرآن في عرض موضوع تعظيم الله تعالىٰ ...٣٢٩
الخاتمة ...٣٧٣
فهرس المصادر ...٣٧٧
فهرس الموضوعات ...٣٩٩